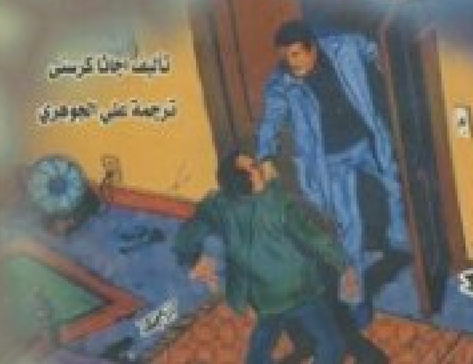
من حكايات أجاثا كريستي

أفضل ترجمة لأحسن رواية

عشاء القتلة
والأوراق المضرة



تأليف أجاثا كريستي

ترجمة علي الجوهري

من حكايات أجاثا كرستي

أفضل ترجمة لأحسن رواية

عشاء القتلة .. والأوراق المهددة

تأليف / أجاثا كريستي

ترجمة / على الجوهرى

مكتبة ابن سينا للطباعة والنشر والتوزيع والتصدير

٧٦ شارع محمد فريد - جامع الفتح - مصر الجديدة - القاهرة ت : ٦٣٧٩٨٦٣ - ٦٣٨٩٣٧٢ فاكس : ٦٣٨٠٤٨٣

IBN SINA BOOKSHOP *Printing - Publishing - Distributing - Exporting*

76 Mohamed Farid St., Heliopolis, Cairo Tel. : (202) 6379863 - 6389372 - Fax : (202) 6380483

بسم الله الرحمن الرحيم

شخصيات الرواية

هركيول بوارو *Hercule Poirot*

مخبر سرى بلچيكى الجنسية ، مقيم فى لندن، متقاعد عن العمل ، شديد الذكاء.

السيد شيتانا *Mr Shaitana*

رجل ثرى جدا . كانت هوايته جمع أسرار القتلة الذين لم يكشف أحد جرائمهم ولا يزالون مطلقى السراح .

السيدة أوليڤر *Mrs. Araidne Oliver*

روائية تعتقد أن المرأة يمكن أن تعمل مع رجال الشرطة. اهتمت بكشف الجريمة .

كبير مفتشى الشرطة باتل *Superintendent Battle*

ضابط شرطة ذو كفاءة عالية كان يحترم خبرة بوارو ويستعين بها .

الكولونيل ريس *Colonel Race*

ضابط مخابرات بالقوات المسلحة . كان كثير الأسفار بحكم طبيعة عمله.

الدكتور روبرتس *Doctor Roberts*

طبيب مرح .

السيدة لوريمير *Mrs Lorrimer*

سيدة متقدمة فى السن ، وقورة ، متزنة الشخصية ، أرملة ، تجيد لعبة البريدچ وتتسلى بها كثيرا.

الميچور ديسبارد *Major Dispard*

كان ضابطا بالجيش اعتزل الخدمة وتفرغ للقيام برحلات كشفية فى أمريكا الجنوبية وإفريقيا وغيرها ، واكتسب خبرة استطاع بفضلها العمل كمرشد فى الرحلات العلمية .

الآنسة آن ميرديث *Miss Anne Meredith*

فتاة شابة جميلة كان أبوها ضابطا فى الجيش ، مات ولم يترك لها مالا بعد وفاة أمها أيضا ، وهكذا كانت يتيمة الأبوين تعمل بالخدمة لدى بعض العائلات لكى تكسب عيشها .

رودا داويز *Roda Dawes*

كانت زميلة دراسة للآنسة آن ميرديث . اشترت منزلا ريفيا صغيرا ومزرعة صغيرة ، واستدعت زميلتها آن للإقامة معها ، وكانت بينهما زمالة قوية في الحياة .

السيدة آستويل *Mrs Astwell*

خادمة كانت تعمل عند الآنسة رودا داويز والآنسة آن ميرديث .

الرقيب أوكونور *Sergeant O'Connor*

رقيب يعمل في قسم تحريات شرطة سكوتلانديارد . كان وسيما مقربا من كبير المفتشين باتل الذي كان يكلفه بالمهام الصعبة .

البروفيسور لوكسيمور *Professor Luxmore*

عالم من علماء النبات اصطحب معه الميجور ديسبارد في رحلة علمية إلى غابات نهر الأمازون في أمريكا الجنوبية .

السيدة لوكسيمور *Mrs. Luxmore*

زوجة البروفيسور لوكسيمور كانت تصحب زوجها في رحلته إلى أمريكا الجنوبية .

المفتش هاربار *Jnspector Harper*

قائد الشرطة في جهة كومباكر حيث كانت قد وقعت حادثة وفاة بالسم.

السيدة إلدون بنسون *Mrs Eldon Benson*

سيدة ماتت مسمومة وكانت آن ميرديث تعمل في خدمتها في تشيلتنهام.

السيد ستيفنز *M . Stephens*

المفروض أنه كان عامل نظافة في شركة تتعهد بتنظيف نوافذ المنازل في الصباح .

•• مقدمة المترجم ••

كانت المؤلفة الشهيرة أجاثا كريستى قد أفردت هذه الرواية دون غيرها تقريبا فيما أعلم بمقدمة وجيزة ذكرت فيها أن القراء ربما يجدون هذه الرواية مملة عند قراءتها .

ولقد قرأت أنا هذه الرواية بعنوان Cards on the Table ولم أجدها مملة على الإطلاق ، بل إن العكس من ذلك صحيح تماما فهى رواية شائقة إلى أكبر حد يمكن أن يصل إليه التشويق فى رواية على الإطلاق . بسبب عظمة الإبداع الفنى الذى تسنى للكاتبة العالمية القديرة أجاثا كريستى وجعلها تتسنم أعلى ذروة من ذراه الشاهقة فى كتابتها لهذه الرواية على وجه الخصوص .

حقا . المعلومات المتاحة فى بداية الرواية عن القاتل جدٌّ قليلة جدا ، بل هى معدومة . أربعة أشخاص يلعبون لعبة البريدج فى حجرة ، وعلى بعد بضعة أمتار منهم يجلس مضيفهم صاحب المنزل ، الوجيه الثرى شيتانا ، ولا يشاركهم اللعب لأنه لا يحب هذه اللعبة ، وفي نهاية السهرة يتم اكتشاف أنه قد تم قتله مطعونا بالخنجر فى مؤخرة رقبته . مَن من الأشخاص الأربعة هو الذى كان قد طعنه ؟ والأشخاص الأربعة جميعا على قَدم المساواة من حيث إمكان الإدانه أو البراءة ، ومع ذلك فمن الضرورى أن واحدا منهم هو الذى قتله ، والسؤال هو : من منهم هو القاتل ؟

يبدو السؤال دون إجابة ممكنة ..

ومن خلال البحث الدائب ، ومن خلال الذكاء العبقرى للسيد هركيول بوارو، من خلال الجهد المتصل لكبير المفتشين باتل يتم ببطء شديد وجهد جهيد تجميع الأدلة ضد القاتل الحقيقى ، وخلال ذلك كله تتغلغل الكاتبة العبقرية فى أعماق الحياة البشرية لتلقى الضوء على كثير من حقائق الحياة المتحضرة مما يجعل هذه الرواية تحفة فنية نادرة عندما يتجاوز القارئ الكريم فصولها الأولى لتتبدى له روعة الرواية وعندئذ تصبح قراءتها غير مملة على الإطلاق بل تغدو الرواية مثيرة مسلية مفيدة شائقة كل التشويق ،،،

المترجم

الفصل الأول
السيد شيتانا

* * * * *

كان صوتاً ناعماً تشيع فيه نبرات السرور عند لقاء صديق عزيز بالصدفة ذلك الصوت الذى سمعة بوارو يهتف باسمه قائلاً : «عزيزى السيد بوارو!»

وعلى إثر سماع ذلك الصوت التفت بوارو وراءه ، وانحنى ، وصافح الرجل الذى هتف باسمه وهو يقول له : «عزيزى السيد شيتانا!»

وتوقفا عن الكلام برهة وكل منهما ينظر إلى الآخر كما لو كانا طرفى مبارزة ، وكان جماعة من الناس قد تجمعوا حولهما بالتدريج وعلا همسهم يقول أحدهم : «شىء رائع جدا» فيرد عليه شخص آخر بقوله :«هذا تدبير إلهى ، أليس كذلك ياعزيزى؟» وكان هنالك استعراض فنى فى وكسس هاوس ، وكان رسم الدخول جنيها إنجليزياً واحداً ، وكان من المعروف أن حصيلة بيع التذاكر إنما هى لصالح مستشفيات لندن .

قال السيد شيتانا:« أيها الرجل العزيز . كم هو جميل أن ألقاك ! ألا تشنق أحدا ولا ترسل أحدا إلى المقصلة الآن ؟ هل هذا موسم هزيل فى عالم الجرائم ؟ أم أنه ستقع جريمة هنا فى هذه الظهيرة ، كم يكون هذا لذيذا!» فقال بوارو :« للأسف ياسيدى ، أنا هنا الآن لقضاء وقت خالص للراحة » .

وكان انتباه السيد شيتانا قد تشتت الآن من جراء قدوم فتاة جميلة عقصت جانبا من شعر رأسها بطريقة مبتكرة ، وعقصت الجانب الآخر من شعر رأسها بطريقة أخرى، وعندما وصلت الفتاة عندهما قال لها السيد شيتانا :« ياعزيزتى ، لماذا لم تحضرى الحفلة التى أقمتها ؟ لقد كانت حفلة رائعة جدا ، لقد تكلم معى كثير من الناس لدرجة أن سيدة جميلة قالت لى: كيف حالك ؟ وقالت الأخرى : نشكرك جدا. وقالت الثالثة : إلى اللقاء! وكانت قد جاءت إلى الحفلة من جاردن سيتى ياعزيزتى» .

وبينما كانت الفتاة ترد على مداعبات السيد شيتانا كان بوارو يتأمل الفتاة، ويتأمل شفتى السيد شيتانا .

كان شارب السيد شيتانا رائعا ، وربما كان هو الشارب الوحيد فى كل لندن الذى يمكن أن يضارع شارب بوارو ، وتمتم بوارو لنفسه قائلا : «ولكنه يستحيل أن يرقى إلى فخامة شاربى . كلا ، إنه بالتأكيد أقل روعة وبهاء فى كل شىء ، وعلى كل حال فهو شارب يلفت النظر» .

كان كل ما يتعلق بالسيد شيتانا يلفت النظر إليه فى حقيقة الأمر . كان السيد شيتانا قد صمم كل شىء فى مظهره بحيث يبدو لافتا للنظر . كان رجلا طويل القامة ممشوق القوام. وكان وجهه طويلاً جاد الملامح ، وكان حاجباه يعلوهما شعر كثيف أسود اللون ، وكان فوق شفتيه شارب مفتول الطرفين مبروم ومدهون بالشمع ، وكانت ملابسه رائعة الأناقة يغلب على انتقائه لها ذوق فنى رفيع المستوى ، ويغلب عليها الطابع الاستعراضى .

وكان كل شخص يراه يود لو يركله ، وكان كل من يراه يقول فى نفسه: «هذا هو الشيطان الملعون شيتانا!» وكانت الزوجات والبنات والأخوات والعمات والخالات وأمهاتهن يقلن أقوالا مشابهة وإن اختلفت الصيغة حسب مراحل العمر المختلفة ، ولكن كان فحوى التعبيرات المختلفة هو نفس فحوى هذه العبارة باتفاق من الجميع على ذلك ، كانت إحداهما تقول مثلا للأخرى :« أنا أعرف ذلك ياعزيزتى . إن شيتانا هذا هو رجل مخيف جدا . ولكنه غنى جدا !، وهو يقيم حفلات رائعة ، وهو دائما يقول أشياء مسلية جدا ومؤذية جدا عن الناس الآخرين » .

ولم يكن أحد يعرف بالضبط ما إذا كان شيتانا هذا أرجنتينياً أو برتغاليا أو يونانيا أو ينتمى إلى أى جنسية أخرى من الجنسيات التى يحتقرها ويكرهها الإنجليز ، لم يكن أحد يعرف جنسيته فى حقيقة الأمر .

ولكن كانت هنالك ثلاث حقائق مؤكدة : كان ينفق ببذخ ويعيش حياة مرفهة فى شقة فاخرة فى بارك لين ، وكان يقيم حفلات ضخمة راقية ، يحضرها عدد كبير من المدعوين أحيانا ، وكان يقيم حفلات أخرى لعدد محدود جدا من المدعوين فى بعض الأحيان الأخرى ، وكانت بعض الحفلات التى يقيمها ذات طابع غريب جدا ، وثالثة هذه الحقائق المؤكدة عنه هى أنه كان رجلاً يخشاه ويخاف منه كل الناس ولو لم يكن لديهم سبب ظاهر معين للخوف منه .

لماذا كان يخاف الناس منه؟ لا يكاد أحد يعرف لذلك سببا يمكن أن يصوغه فى كلمات محددة ، ربما كان هنالك شعور سائد بين الناس أنه يعرف أكثر مما ينبغى عن أى شخص ، وكان هنالك شعور أيضا أنه يمتلك قدرة كبيرة جدا على السخرية من أى شخص

بحيث يضحك عليه الآخرين .

وخلاصة القول هى أن الناس كانوا يشعرون كلهم تقريبا أنه من الأفضل لهم.ألا يسيئوا إلى السيد شيتانا ، ولقد كان يحلو للسيد شيتانا فى ذلك المساء أن يغرى ويستدرج هذا الرجل الضئيل الجسم الغريب المنظر الواسع الشهرة ، هركيول بوارو لكى يحضر عنده حفلة من حفلاته ، ولذلك بدأ على الفور فى محاولة استدراج بوارو فقال له : «حتى رجل الشرطة يحتاج إلى شيء من التغيير فى طبيعة عمله ، هل تدرس الفن فى سنك المتقدمة هذه ياسيد بوارو ؟» وابتسم بوارو وهو يقول :«أنا أعرف أنك أرسلت صندوقين من الأعمال الفنية إلى المعرض» .

ولَوَّحَ السيد شيتانا بيده وقال :« إننى ألتقط أشياء تافهة من هنا أو من هناك ، يجب أن تأتى إلى مسكنى يوما ما . عندى بعض التحف الرائعة . وأنا لا أقيد نفسى بأى عصر من العصور أو بأى نوعية من نوعيات الفن ومذاهبه المختلفة» .

وقال بوارو وهو يبتسم : «أنت كلاسيكى الميول الفنية». فقال شيتانا: «حقا ، ميولى كلاسيكية كما تقول» .

ولمعت عينا شيتانا فجأة، وازدادت ملامح وجهه حيوية وأضاف قائلا :«وأنا أستطيع أيضا أن أطلعك على تحف فنية من اللون الذى تفضله أنت ياسيد بوارو». فقال له بوارو: « عندك إذن متحف سرى خصوصى؟» فقال شيتانا :« ياه ، الكأس التى كان يستخدمها قاتل برايتون عندى ، وجوهرة لص شهير . هوايات أطفال ! أنا أقتنى فقط أفضل الأشياء من كل نوع» . فقال له بوارو: «وماذا تعتقد أنه أفضل الأشياء من وجهة النظر الفنية فى الجريمة ؟» ومال السيد شيتانا قليلا نحو الأمام ووضع يده على كتف بوارو وقال : «البشر الذين يرتكبون الجريمة ياسيد بوارو» . ورفع بوارو حاجبيه من فرط الدهشة فقال السيد شيتانا :«آه ها ! لقد أفزعتك ياعزيزى ، أيها الرجل العزيز . أنت وأنا ، ننظر إلى هذه الأشياء من وجهتى نظر على طرفى النقيض! الجريمة بالنسبة لك إنما هى مسألة روتين : جريمة قتل ، وتحريات عن القاتل ، ثم الإمساك بمفتاح للجريمة وفى خاتمة المطاف (ولأنك رجل تتمتع بقدرات خارقة) العقاب الرادع للقاتل ، مثل هذه العقوبات لا تجذب اهتمامى ! أنا لا أهتم بهذه النوعية من الناس البائسين ، والقاتل الذى تم القبض عليه هو بالضرورة واحد من الفاشلين. وأنا أهتم فقط بالأفضل من القتلة الذين لم يتم القبض عليهم » . قال بوارو : «هل هم الأفضل لكونهم ؟» فقال شيتانا :« ياصديقى العزيز ، هم الأفضل لأنهم ذهبوا بها ! الجرائم الناجحة هى الجرائم التى يفلت القتلة من الوقوع بين يدى العدالة وينجح فيها

اللصوص من أن يسترد من بين أيديهم ما كانوا قد سرقوه . هؤلاء هم الناجحون ، وجرائمهم جرائم ناجحة ! إنهم المجرمون الذين يعيشون بفضل جرائمهم حياة مرفهة دون أن يتطرق أى شك أو اتهام إليهم ! أعترف ياصديقى العزيز أن هوايتى هذه هواية مسلية» ، فقال بوارو : «لقد كنت فى الحقيقة أبحث عن وصف آخر مناقض للوصف الذى تصف به هذه الهواية . إنها هواية غير مسلية» .

قال شيتانا :« هذه فكرة عشاء صغير ! عشاء تلتقى فيه بهذه المعروضات البشرية الإجرامية ، هذه فكرة مسلية جدا ،وأنا لا أعرف لماذا لم تخطر لى هذه الفكرة من قبل، نعم. نعم ، لقد ألممت بالفكرة بكل تفاصيلها . أنا أرى التفاصيل كلها ... يجب أن تتيح لى قليلا من الوقت – ليس الأسبوع القادم – دعنا نَقُلْ الأسبوع بعد القادم – هل سيسمح وقتك فى الأسبوع بعد القادم ؟ أى يوم من أيام الأسبوع بعد القادم هو الذى يناسبك ؟» فقال بوارو :« أى يوم من أيام الأسبوع بعد القادم يناسبنى» . فقال شيتانا : «هذا حسن جدا . فلنقل يوم الجمعة . يوم الجمعة الموافق لليوم الثانى عشر من هذا الشهر. سأكتب هذا التاريخ فى مفكرتى حالاً الآن . الفكرة تملأ قلبى بالسرور فى حقيقة الأمر» .

قال بوارو ببطء شديد : «أنا لست متأكدا تماما ، إنها فكرة سارة ، وليس قصدى هو أن أقول إننى غير مدرك للكرم فى دعوتك ، لا أقصد هذا» .

فقال شيتانا :«ولكن دعوتى هذه والفكرة التى تتضمنها تصدمان مداركك البورجوازية ، أليس كذلك ؟ ياصديقى العزيز ، من الضرورى أن تخلص نفسك من القيود التى تقيد عقول رجال الشرطة» ، فقال بوارو :«صحيح أن لى موقفى البرجوازى جداً من جرائم القتل» . فقال شيتانا :«ولكن ، ياعزيزى ، لماذا ؟ إن جريمة القتل عملية غبية مجنونة فيها بشاعة الذبح والذبائح ، نعم . إننى أتفق معك فى ذلك ، ولكن من الممكن أن يكون القتل فنا رفيع المستوى ، ومن الممكن أن يكون القاتل فنانا» فقال بوارو : «أوه ، أنا أعترف بذلك» فقال شيتانا :«حسنا ، إذن؟» فقال بوارو : «ولكن مهما كان القاتل فنانا فهو لا يزال قاتلاً ومجرماً يستحق العقاب» ، فقال شيتاتا: «بالتأكيد ياعزيزى بوارو . إن إتقانه للقتل تبرير كاف ، أنت تريد أن تأخذ كل قاتل وتضع الأغلال الحديدية فى يديه وتحبسه وتحاكمه وتريد أن تكسر له رقبته فى الساعات الأولى من صباح اليوم المحدد لإعدامه، وأنا أعتقد أن القاتل الذى يفلت من هذا المصير يستحق أن ندعوه إلى حفلة عشاء على حساب الجمهور!» .

وهز بوارو كتفيه وقال :«لا تحسب أننى غير متذوق للفن عند تداخله فى الجريمة كما

تعتقد . أنا أستطيع أن أبدى إعجابى بالقاتل الذى يتمكن من ارتكاب جريمة كاملة بحيث لا يشك فيه ولا يتهمه أحد لعدم وجود أى دليل ضده كما أننى أيضا يمكننى أن أبدى إعجابا بالنمر – هذا الحيوان القوى المخطط الجسم – ولكننى أبدى إعجابى بالنمر وأنا واقف خارج القفص المحكم الإغلاق على النمر ، لأنك تدرك ياسيد شيتانا أن النمر ربما يثب على كتفى أى شخص يدخل قفصه أو يخرجه من القفص ما لم يكن هذا الشخص هو حارسه» ، فقال شيتانا : «هذا بالنسبة للنمر ، فكيف يكون الشأن بالنسبة للقاتل ؟» فقال بوارو : «ربما يرتكب جريمة قتل جديدة لو دعوته إلى وليمة فى منزلك» ، فقال شيتانا: «ياصديقى العزيز ، يالك من شخص مثير للخوف ! أنت إذَنْ لن تحضر الحفل الذى دعوتك إليه لكى تقابل مجموعتى من النمور البشرية ؟» فقال بوارو : «بالعكس ، سأكون مسرورا بذلك» . فقال شيتانا :«كم أنت شجاع !» فقال بوارو :«أنت لم تفهمنى تماما ياسيد شيتانا. كانت كلماتى السابقة لمجرد التحذير من الخطورة . أنت قد سألتنى توا أن أعترف بأن فكرتك عن استضافة مجموعة من القتلة إنما هى فكرة شائقة مسلية ، وقلت أنا لك إن صفة أخرى غير التشويق وغير التسلية يمكن أن تطلق على هذه الفكرة . هذه الصفة التى يمكن أن توصف بها هذه الفكرة هى أنها فكرة خطيرة ، وأنا بالفعل أتصور ياسيد شيتانا أن فكرتك هذه فكرة خطيرة!» .

وضحك السيد شيتانا ضحكة شيطانية وقال: «يجوز لى أن أنتظر حضورك عندى فى اليوم الثامن عشر من هذا الشهر» .وانحنى بوارو وهو يقول : «تستطيع أن تنتظرنى فى اليوم الثامن عشر من هذا الشهر مع ألف شكر» ، فقال شيتانا : «سأرتب كل ما يلزم لإقامة حفلة صغيرة ، لا تنس الساعة الثامنة» .

ومشى شيتانا مبتعداً عن بوارو ، بينما وقف بوارو فى مكانه لا يتحرك وهو ينظر إلى شيتانا وهو يبتعد بعيدا ... بعيدا عنه .

وهز بوارو رأسه ببطء وأخذ يفكر .

* * * *

الفصل الثانى
حفلة العشاء عند شيتانا

* * * * *

انفتح باب مسكن السيد شيتانا ببطء وبدون أى صوت ، وجذب كبير الخدم الباب لكى يسمح لبوارو بالدخول ، ثم أغلق الرجل الباب دون أى صوت أيضا ، وساعد بوارو فى خلع معطفه وقبعته ووضعهما فى المكان المعد لذلك وراء الباب مباشرة ، وقال الرجل فى صوت خفيض شبه آلى :«أى اسم أعلن به عن قدوم سيادتك؟» فقال بوارو :«السيد هركيول بوارو» .

ووصلت إلى مسامع بوارو أصوات أناس يتكلمون داخل الحجرة عندما فتح كبير الخدم باب الحجرة وقال :«السيد هركيول بوارو» ، وتقدم شيتانا نحو الباب لكى يستقبله وفى يده كوب من عصير الفراولة ، وكان شيتانا كالمعتاد يرتدى الملابس الفخمة اللافتة للأنظار . وكان ذلك التعبير الشيطانى فى ملامحه أكثر وضوحا هذه الليلة ، وكان حاجباه أكثر تقوسا على نحو أكثر سخرية مما كانا عليه تقوسهما من قبل.

قال شيتانا : «دعنى أقدمك للحاضرين . هل تعرف السيدة أوليڤر؟» واستمتع شيتانا بالدهشة التى بدت على وجه بوارو لدى سماعه ذلك الاسم.

كانت السيدة أريدن أوليڤر مشهورة جداً كواحدة من كبار مؤلفى الروايات البوليسية والروايات المثيرة بوجة عام ، وكانت تكتب أيضا مقالات فى موضوعات مثل : اتجاهات المجرمين ، أو الجوانب العاطفية فى الجرائم الشهيرة ، أو القتل من أجل الحب، أو القتل من أجل المال ، وكانت السيدة أريدن أوليڤر أيضا واحدة من أكثر المطالبات بحقوق المرأة حماسا وقوة ، وعندما كانت أى جريمة قتل تحتل مكاناً مرموقاً فى الصحف والمجلات ، كان من الضرورى أن تتم مقابلة صحفية مع السيدة أوليڤر ، وكان يذكر دائما أن السيدة أوليڤر قد

قالت : « الآن ، لو أن امرأة كانت على رأس إدارة سكوتلانديارد..!» كانت السيدة أوليڤر من المتشددات فى ضرورة الإيمان بقوة حدس النساء .

أما بشأن مواصفات شخصها ، فلقد كانت امرأة مقبولة الشكل والهيئة فى منتصف العمر ، أنيقة دون تكلف فى مظهرها ، لها عينان جميلتان وكتفان ملفوفان ويعلو رأسها كمية كبيرة من الشعر الرمادى يختلط فيه الشعر الأبيض بالشعر الأسود مما كان ينبيء أن مظهرها سيزداد وقاراً بمرور الأيام ، وكان جبينها تتدلى عليه خصلات من شعر رأسها كما كان معظم شعرها يتكور خلف رقبتها .

وقامت السيدة أوليڤر بتحية السيد بوارو الذى كانت قد قابلته من قبل فى حفلة من الحفلات الأدبية ، وكان صوتها خفيضا ، وكانت لهجتها مهذبة جدا .

وقال السيد شيتانا : «وأنت تعرف بالطبع كبير مفتشى الشرطة باتل ياسيد بوارو» ، وتقدم إلى الأمام عندئذ رجل ضخم الجسم يكاد عرض جسمه يقترب من طوله مما يكاد يجعله مربع الشكل ، وكان وجهه كأنما قَدْ قُدَّ من خشب ، ولم يكن منظره يوحى بأنه قَدّ قُدَّ من خشب فقط ، ولكنه قُدَّ من خشب صلد تم انتزاعه من إحدى السفن التى لم تعد تعمل فى البحار ، وكان كبير المفتشين باتل يعتبر من أبرز العاملين فى إدارة سكوتلانديارد . وكان يبدو دائما متشددا يتصرف فى حدود التعليمات بدون أى مرونة فى الغالب الأعم . وقال كبير المفتشين باتل :« أنا أعرف السيد بوارو» ، وتمخض وجه باتل عن ابتسامة صغيرة ثم عاد إلى تصلب ملامحه مرة أخرى .

واستمر السيد شيتانا فى تقديم ضيوفه إلى بوارو فقال : «الكولونيل ريس» ولم يكن بوارو قد قابل الكولونيل ريس من قبل ، ولكنه كان يعرف عنه قليلاً من المعلومات . كان رجلاً أسمر اللون ، حسن المظهر ، فى حوالى الخمسين من العمر وكان يوجد فى أنحاء متفرقة من الإمبراطورية البريطانية عندما تكون هنالك قلاقل فى هذه الأنحاء التى يذهب إليها . وكانت الخدمات السرية هى العبارة التى تناسب أوصاف المهام التى كان يقوم بها الكولونيل ريس .

وكان بوارو قد لاحظ النوايا الساخرة الكامنة فى تصرفات السيد شيتانا وهو يقدم إليه ضيوفه وكأنما لسان حاله يقول هؤلاء مجرد عينة ، ولم يلبث هذا الإحساس لدى بوارو أن تأكد عندما قال السيد شيتانا :« ضيوفنا الأفاضل الآخرين قد تأخروا عن الحضور ، وهذه غلطتى أنا لأننى أعطيتهم الموعد باعتبار أنه الثامنة والربع» . ولكن فى تلك اللحظة فتح الباب وأعلن كبير الخدم عن قدوم ضيف جديد بقوله : «الدكتور روبرتس» وكان الرجل

الذى دخل من الباب مشرق الوجه فى منتصف العمر، عيناه لامعتان ، وقد بدأ الصلع يزحف فى منتصف رأسه ، ويبدو على ملامحه أنه شديد الثقة بنفسه وبخبراته الطبية ، وكانت طريقته فى تصرفاته مرحة تدل على ثقة بالنفس ، وطلب لنفسه بنفسه مشروبه المفضل لديه وبدا كما لو كان رجلاً خبر العالم خبرة جيدة ، ثم قال : « آمل ألا أكون قد تأخرت» ، وصافح مضيفه الذى قدمه إلى بقية الضيوف ، وبدا الدكتور روبرتس مسرورا بمقابلة كبير المفتشين باتل ، قال له : «ما هذا ؟ أنت واحد من أكبر الرؤوس فى سكوتلانديارد ، أليس كذلك . هذه مناسبة سعيدة . من المستبعد أن يجعلك أحد تتكلم عن عملك ، ولكننى أحذرك أننى سأحاول ذلك ، وأنا شغوف دائما بتتبع أخبار الجرائم ، وربما كان ذلك غير ملائم لطبيب ، وأنا لا أقول ذلك لأحد من المرضى الذين أقوم بعلاجهم . هأ هأ هاى!» .

وفتح الباب مرة أخرى وقال كبير الخدم : «السيدة لوريمير» ، وكانت السيدة لوريمير سيدة حسنة الهندام فى حوالى الستين من عمرها يوجد أثر جرح قديم فى وجهها الذى كانت ملامحه متسقة ويعلو جبينها شعر أبيض مصفف بعناية ، وكان صوتها صافيا نافذا إلى القلوب عندما قالت :«آمل ألا أكون قد تأخرت» ثم استدارت لتصافح الدكتور روبرتس الذى يبدو أنها كانت تعرفه معرفة وثيقة من قبل .

وأعلن كبير الخدم عن وصول ضيف جديد بقوله :«الميجور ديسبارد ، وكان الميجور ديسبارد رجلا طويل القامة حسن المظهر ويوجد أثر جرح قديم فى وجهه، وتم التعارف بينه وبين الحاضرين ، وانضم الميجور ديسبارد إلى جانب الكولونيل ريس واندمج الرجلان فى الكلام عن الرياضة وعن رحلات السفارى التى اشترك كل منهما فيها .

وأخيرا ، فُتح الباب وأعلن كبير الخدم :«الآنسة ميرديث» ودخلت فتاة فى حوالى العشرين من العمر ، متوسطة الطول ، جميلة الملامح ، تنسدل خصلات شعرها البنى حول رقبتها فيما عدا الجزء الأمامى ، وكانت عيناها الرماديتان واسعتين ،وكانت المسافة بين العينين أيضا فيها شىء من الاتساع، كانت تضع مسحة خفيفة من البودرة على وجهها ، ولكنها لم تضع على وجهها أى شىء آخر ، وكان صوتها بطيئا وفيه شىء من الخجل وهى تقول: «أوه ياعزيزى ، هل أنا آخر من حضر؟» .

وتقدم نحوها السيد شيتانا وأعطاها كوبا من عصير الفراولة وهنأها بسلامة الوصول. وكان تقديمه لها إلى ضيوفه مرحا وفيه شىء من الفخر والاعتزاز، ثم ترك الآنسة ميرديث تشرب مشروب الفراولة إلى جوار بوارو الذى فتح الكلام معها بقوله : «صديقنا يحرص

حرصاً كبيراً على المواعيد» ووافقته الفتاة على هذا الرأى ، فقالت : «أنا أعرف . والناس يختصرون ويوجزون كثيرا فى تقديم بعض ضيوفهم إلى الضيوف الآخرين ، أصبح الناس يؤثرون أن يقولوا : نتوقع أنكم تعرفون بعضكم جيدا » ، فقال بوارو: «هل أصبح الناس يفعلون ذلك سواء كان الضيوف يعرفون بعضهم أو لا يعرفون؟ أعتقد أن هذه الطريقة غير مناسبة» ، وترددت الفتاة فى الكلام قليلا ثم قالت: هل هذه هى السيدة أوليڤر الروائية ؟» وكان صوت السيدة أوليڤر قد ارتفع بقوة وهى تتناقش مع الدكتور روبرتس وتقول له : «أنت لا تستطيع أن تفلت من صدق إحساس وحدس المرأة يادكتور . النساء يعرفن هذه الأمور» . وأزاحت خصلة الشعر من فوق حاجب عينها لتعود خصلة الشعر مرة ثانية إلى مكانها، وانتهز بوارو هذه الهدنة القصيرة فى الكلام بين السيدة أوليڤر والدكتور روبرتس وقال : «تلك هى السيدة أوليڤر» . فقالت ميرديث : «هل هى التى كتبت الرواية المعنونة بعنوان : الجثة فى المكتبة» ؟ فقال بوارو : «إنها هى بعينها» فقالت ميرديث: «وذلك الرجل المتخشب ، هل قال السيد شيتانا إنه كبير مفتش الشرطة ؟» فقال بوارو :«نعم إنه من رجال سكوتلانديارد.» فقالت ميرديث : «وأنت ؟» فقال بوارو: «وأنا ؟» فقالت : «أنا أعرف كل شىء عنك . أنت السيد بوارو . أنت الذى أزلت الغموض عن الجرائم الأبجدية» . فقال لها بوارو : «أنت تخجلين تواضعى ياآنسة» ، وقطبت الآنسة ميرديث حاجبيها وقالت :« السيد شيتانا ... السيد شيتانا ..» . وتلعثمت ولم تزد عن ذلك فقال بوارو : «يمكن القول إن السيد شيتانا يتمتع بعقلية مرنة فيما يتعلق بشأن الجرائم، وهو يطمع فى أن يجدنا نتناقش بشأن أى جريمة .إنه الآن يتسلى بسماع المناقشة بين السيدة أوليڤر والدكتور روبرتس . إنهما الآن يتناقشان فى موضوع السموم التى لا يمكن اكتشافها فى جثث الموتى» .

تنهدت الآنسة ميرديث وقالت : «ياله من شخص غريب الأطوار» ! فقال بوارو : «هل تقصدين بذلك الدكتور روبرتس؟» فقالت : «لا ، أقصد السيد شيتانا» ، وارتجفت رجفة خفيفة وقالت : «يوجد شىء مخيف على نحو ما فى هذا الرجل فيما أعتقد ، أنت لا تعرف أبدا ماذا يمكن أن يسليه . ربما ... ربما تكون تسليته الوحيدة فى شىء قاس مؤلم» ، فقال بوارو : «مثل صيد الثعالب مثلا ؟» ورمقت الآنسة ميرديث بوارو بنظرة جانبية وقالت : «أوه ، لا ، كنت أقصد شيئاً شاذاً شرقياً» فقال بوارو: «إن له عقلية تميل إلى إزعاج وبث الخوف فى الآخرين لمجرد التسلية» فقالت ميرديث : «لمجرد التسلية؟» فقال بوارو : «ماذا غير التسلية ؟» فقالت ميرديث : «لا أعتقد أننى أطمئن إليه بأى حال من الأحوال» . فقال بوارو : «ولكنك مطمئنة تماما إلى أن الطعام الذى يقدمه للعشاء لذيذ فاخر . إن عنده طاهياً ممتازاً» ، ونظرت ميرديث نحو بوارو بشىء من الارتياب ثم ضحكت وقالت : «ما هذا

الذى تقول : ظننت أنك إنسان جاد» . فقال بوارو : «ولكننى بالتأكيد إنسان جاد» فقالت : «أنيت تدرك أن كل هذه الاحتفاليات لمجرد التملق» . فقال بوارو : «يا آنسة، لا يكفى التملق بالنسبة لك ، يلزم تخويفك . إن معك بالفعل دفتر جمع التوقيعات ومعك القلم . أنت تراقبين الجميع جيداً» . فقالت :«أنت تدرك أننى لا أهتم بموضوعات الجريمة اهتماماً كبيراً ، ولست أعتقد أن غالبية النساء عندهن اهتمام كبير بموضوعات الجريمة ، إنهن يجفلن منها ويتجنبن ذكر تفاصيلها فى الغالب الأعم ، وأنت تجد أن الرجال هم الذين يقبلون بشدة على قراءة الروايات البوليسية بينما يحجم كثير من النساء عن قراءتها» ، فقال بوارو «يالالأسف . ماذا يمكن أن أقدمه أنا لكى يقوم بتمثيله ممثل حتى ولو كان ناشئاً قليل الشهرة ؟!» .

وفتح كبير الخدم الباب وقال : «العشاء جاهز» وكان توقع بوارو بشأن جودة أصناف العشاء لها ما يبررها عملياً . كان العشاء لذيذا وكانت طريقة تقديمه نموذجية ، وكانت الأضواء رائعة التوزيع حالمة هادئة تنساب من خلال مصابيح جميلة الألوان من الزجاج الإيرلندى المصقول . وفى مكانه الهادئ الأضواء على رأس المنضدة كان السيد شيتانا يجلس وقد بدت على وجهه الملامح الشيطانية أكثر وضوحا من أى وقت مضى ، واعتذر شيتانا عن العدد الفردى للمدعوين ، ولعدد الذكور وعدد الإناث .

وكانت السيدة لوريمير تجلس عن يمينه بينما كانت السيدة أوليڤر تجلس عن يساره . وجلست الآنسة ميرديث بين كبير المفتشين باتل والميجور ديسبارد ، وجلس بوارو بين السيدة لوريمير والدكتور روبرتس الذى تمتم قائلاً : «لن نسمح لك أن تحتكر لنفسك البنت الجميلة الوحيدة يا سيد بوارو طوال المساء ، أنتم أيها الفرنسيون لا تضيعون وقتكم عبثا مع النساء ، أليس كذلك» ؟ فقال بوارو: «لقد حدث لى بشأن الجنسية أننى بلچيكى ولست فرنسيا» ، فقال الدكتور روبرتس :«نفس الشيء أيها الفتى ينطبق على البلچيكيين بشأن النساء» . ثم تخلى الدكتور روبرتس عن دعاباته وتكلم مع الكولونيل ريس عن أحدث علاج لمرض الجولان النومى» .

واستدارت السيدة لوريمير نحو بوارو وراحت تتكلم عن أحداث الأعمال الفنية ، وكانت أحكامها صائبة ، وكانت نظرتها النقدية عميقة وصحيحة، وعرجت بكلامها إلى أحدث الكتب ثم تطرقت بالكلام إلى الشئون السياسية، واكتشف بوارو أن مصادر معلوماتها سليمة وأنها امرأة ذكية .

وعلى الجانب الآخر من المنضدة كانت السيدة أوليڤر تسأل الميجور ديسبارد ما إذا كان

يعرف شيئاً جديداً يكون قد سمع عنه هنا أو هناك عن السموم التى لايمكن اكتشافها فى جثث الضحايا الذين يتم قتلهم بهذه الأنواع التى لا يمكن اكتشاف آثارها فى الجثث ، ورد عليها الميجور قائلاً: «حسنا، يوجد الكيورير» . فقالت له : «ياعزيزى ، أيها الشاب العجوز ، لقد تم استخدامه مئات المرات ، أنا أقصد نوعا جديدا من هذه السموم» .

قال الميجور ديسبارد : «القبائل البدائية تستخدم فى هذا الصدد طرقا بدائية. إنهم يتمسكون بمادة قديمة كان يستخدمها آباؤهم وكان يستخدمها أجدادهم من قبلهم» فقالت السيدة أوليڤر : «أنا أشعر بالتقزز من أساليبهم. أنا أعتقد أنهم دائما يجربون مزج الأعشاب مع أشياء أخرى . وتوجد فرصة لدى المكتشفين فيما أعتقد بين أولئك الذين يذهبون حيث يقيم أولئك الناس البدائيون ثم يعودون إلينا لكى يقتلوا أعمامهم الطاعنين فى السن ليرثوا ثرواتهم باستخدام أحد السموم المركبة بهذه الطريقة البدائية أو تلك ، ويقف الطب عندنا إزاءها مكتوف اليدين عاجزا عن اكتشافها لعدم وجود أى معلومات عنها فى المراجع المعتمدة لدى الأطباء عندنا ، ومن الطبيعى أنهم لم يسمعوا أبدا عن هذه السموم المستوردة من أراضى الشعوب البدائية» .

قال الميجور ديسبارد : «يجب أن تذهبى إلى العالم المتحضر إذا كنت تريدين أن تعرفى شيئاً عن هذا النوع من السموم وليس إلى الشعوب البدائية ستجدين فى المعامل كثيرا من الجراثيم البريئة المظهر التى يمكن أن تتسبب فى أمراض قاتلة» .

قالت السيدة أوليڤر : «لن يكون هذا مشوقاً للقراء ، إنهم لا يريدون دراسات علمية عما يجرى فى معامل العلماء . إنهم يريدون القراءة عن سموم عملية يتم استخدامها فى مجالات الجريمة ، وبالإضافة إلى ذلك يحتمل أن نقع فى أخطاء بخصوص الأسماء المتشابهة للجراثيم مثل ستافيلوكوكس وأيضا استربتوكوكس وغير ذلك ، كما يحتمل أيضا الوقوع فى أخطاء الخلط بين خواص وتأثير كل نوع من هذه الأنواع الغريبة المتشابهة الأسماء ، إنها صعبة التناول بالنسبة للسكرتيرة التى تعمل معى كما أنها غير سائغة وغير مسلية ألا تعتقد ذلك ؟ ما رأيك أنت يا سيادة كبير المفتشين باتل ؟» فقال باتل : «فى هذه الأيام لا يهتم الناس كثيرا بالتفاصيل العلمية المعقدة ياسيدة أوليڤر ، إنهم فى العادة يكتفون بسم الزرنيخ لأنه سهل النطق سهل التداول» .

قالت السيدة أوليڤر :«هذا كلام فارغ ، والسبب فى ذلك هو أنكم فى إدارة سكوتلانديارد لا تكتشفون كثيرا من الجرائم التى تحدث كثيرا ولا تكتشفون منها إلا أقل من القليل ، ولو كانت عندكم امرأة فى قيادة إدارة سكوتلانديارد..» . فقال لها باتل : «فى

حقيقة الأمر يوجد عندنا نساء يعملن فى إدارة سكوتلانديارد» . فقالت السيدة أوليڤر : «آه ، تلك النسوة اللاتى يرتدين قبعات مضحكة ويضايقون الناس فى الحدائق العامة . أنا أقصد امرأة تكون فى قيادة الإدارة . أريد فى إدارة سكوتلانديارد نساء يعرفن الجريمة» . فقال كبير المفتشين باتل :« المجرمون عادة حذرون جدا ومهرة فى ارتكاب جرائمهم . إنهم يحافظون جيدا على رؤوسهم حتى لا يخلعها أى شرطى بسهولة ، ومن المحير أن نكتشف جرائمهم فى كثير من الأحيان» .

وهنا ضحك السيد شيتانا مسرورا وقال :« السم هو سلاح النساء ، ومن الضرورى أنه يوجد عدد كبير من النساء ارتكبن جرائمهن باستخدام السم ولم تكتشف جرائم كثيرة منهن» ، فقالت السيدة أوليڤر وقد شعرت بمساندة شيتانا لها بشىء من الارتياح: «بالطبع يوجد كثير من هذه الحالات» وانقضت السيدة أوليڤر تلتهم نوعا شهيا من المأكولات ، وقال شيتانا : «الطبيب أيضا لديه الكثير من فرص العمل فى هذا المجال» ، فقال الطبيب وهو يضحك : «أنا أعترض ، عندما يموت مريض بالتسمم من جراء زيادة فى جرعة دواء يكون هذا نتيجة لخطأ غير مقصود وغير متعمد وفى نطاق محاولة العلاج » ، فقال شيتانا : «ولكن يحدث أحيانا أن يكون ذلك بقصد ارتكاب جريمة قتل» ، واتجهت كل الأنظار نحو شيتانا الذى قال مستطردا : «أنا أجعل المسألة أكثر سهولة وتقبلاً عندكم . إنها مثل القتل الخطأ أثناء الصيد أو فى حوادث السيارات» . ثم هز كتفيه وقال «ولكن من أكون أنا لكى أتكلم فى هذه الأمور ، يوجد هنا جهابذة خبراء كثيرون» ؟ واستغرق فى التفكير قليلاً . وساد الصمت قليلاً حتى قطعته السيدة أوليڤر بقولها : «كم الساعة الآن ؟ هل هى إلا الثلث أم أنها والثلث» ؟

* * * *

الفصل الثالث
لعبة البريدج

* * * * *

عندما عاد الضيوف إلى حجرة الاستقبال كانت منضدة لممارسة لعبة البريدج قد تم إعدادها ، وتحلق حولها اللاعبون ،ودارت عليهم أقداح القهوة .

وقال السيد شيتانا: «من يلعب البريدج ؟ أنا أعرف أن السيدة لوريمير والدكتور روبرتس يرغبان فى اللعب ، هل تلعبين يا آنسة ميرديث؟» فقالت : «نعم . على الرغم من أننى لا أجيد اللعبة جيدا» . فقال شيتانا : «حسنا . والميجور ديسبارد؟ حسنا. نفترض أنكم أنتم الأربعة تلعبون هنا على هذه المنضدة فى هذه الحجرة» . وأبدت السيدة لوريمير رأيها فى اللعبة وقالت : «شكرا لله أنه توجد لعبة البريدج هنا . أنا واحدة من شيطانات لعبة البريدج. إنها قد كبرت معى وتغلغلت فى أعماقى ، وأنا ببساطة لا أقبل أى دعوة إلى أى حفلة عشاء ما لم أعرف مقدما بأن لعبة البريدج ستكون جاهزة بعد تناول وجبة العشاء مباشرة ، لو لم تتوافر اللعبة أنام فورا . أنا أخجل من هذه الحقيقة ولكنها هى الحقيقة» .

وتفاهموا على الزمالة فى اللعب ، وتقرر أن تلعب السيدة لوريمير زميلة للآنسة آن ميرديث ضد الميجور ديسبارد والدكتور روبرتس .

وقالت السيدة لوريمير : «النساء ضد الرجال» ، وجلست على الكرسى وأخذت تحرك أجزاء من أوراق اللعب لتفنيطها بطريقة توحى بأنها لاعبة ماهرة متمرسة كثيرة الممارسة للعبة . ثم قالت : «اثبتى نحن ثنائى لا يهزم» وقالت لها السيدة أوليڤر : «اجتهدى لكى تكسبى . أثبتى للرجال أنهم لا يكسبون النساء على طول الخط» وقال الدكتور روبرتس وهو يقوم بتفنيط أوراق علبة أخرى من أوراق اللعب :«ليس لهن أى أمل معنا . إنهما مسكينتان. دورك فى توزيع الورق فيما أعتقد يا سيدة لوريمير» .

وجلس الميجور ديسبارد بهدوء على الكرسى وهو ينظر نحو الآنسة ميرديث كما لو كان قد اكتشف جمالها الآن فقط ، وقالت له السيدة لوريمير بصبر نافذ :«اقطع من فضلك . ركز انتباهك فى اللعب . لن تكسب بسهولة» ، وقام الميجور ديسبارد بقطع الورق وهو يعتذر عن شرود ذهنه بأن اللعبة لم تبدأ بعد ، وأخذت السيدة لوريمير تقوم بتوزيع الأوراق على اللاعبين بمهارة فائقة وبسرعة كبيرة .

وقال السيد شيتانا :«توجد مائدة للبريدج فى الحجرة المجاورة» وعبر إلى الباب المجاور وتبعه

أربعة أشخاص إلى الحجرة المجاورة لحجرة الاستقبال حيث كانت مائدة أخرى للعبة البريدچ قد تم إعدادها ، وقال الكولونيل ريس : «يجب أن أقطع لك لتقوم أنت بالتوزيع يا سيد شيتانا .» فهز شيتانا رأسه وقال :«أنا لا ألعب البريدچ . إنها لعبة لا تتيح لى أى قدر من التسلية . تسليتى من نوع آخر» . وأصروا على أنها لعبة مسلية ، وأصر شيتانا على أنه لا يجد فيها أى تسلية ، وفى النهاية فشلوا فى إقناعه بالمشاركة فى اللعب ، وجلس أربعة أشخاص حول منضدة البريدچ ولم يكن شيتانا واحدا من الأربعة . كان بوارو زميلا للسيدة أوليڤر ضد باتل وريس . وراقب السيد شيتانا اللعب بعض الوقت ثم ابتسم بطريقته الشيطانية عندما وجد السيدة أوليڤر تعلن عن أنها استطاعت أن توفق فى العثور على ورقتين من النادر الحصول عليهما سويا ، ثم خرج بهدوء من الحجرة .

وانهمك اللاعبون فى اللعب ، وظهرت الجدية على ملامح وجوههم جميعا ، وكانت العبارات المألوفة فى اللعب تتردد على الشفاه من حين إلى آخر ، وتتوالى الأدوار ، ويستمر اللعب .

وكان السيد شيتانا قد استقر به الجلوس فى مقعد مريح بالقرب من المدفأة، وكانت صينية فوقها مشروبات موضوعة على منضدة مجاورة ، وكانت الأنوار المنبعثة من لهب المدفأة تنعكس على الأكواب المصنوعة من الكريستال .

وقال شيتانا فى نفسه :«هكذا يجلس الفنان فى النور» وكان مصباح كهربى يصب أنواره الهادئة على المنضدة التى أمامه ويجعلها جاهزة للقراءة عندما كان يريد القراءة ، وكان ضوء قوى يغمر المنضدة التى تدورحولها لعبة البريدچ وكانت تصدر من حولها أيضا الأصوات الموضحة لخطوط سير اللعبة وما أحرزه اللاعبون من نتائج. كان صوت الدكتور روبرتس يعلو غاضبا من حين إلى الآخر ، وكان صوت الآنسة ميرديث يهمس برقة من حين إلى آخر . يقول أحدهم عبارة ويرد آخر بعبارة ، وكان السيد شيتانا يبتسم لنفسه من حين إلى آخر وهو يجلس بمفرده بجوار المدفأة.وتراخت جفون عينيه قليلا كان ضيوف حفلته يؤنسون وحشته.

وقال الكولونيل ريس «الدور انتهى» وقال بوارو :«أحسن لعبة يا زميلى . لم أكن أعتقد أنك ستلعبها» . «وقال المفتش باتل : «لم يكن ليحول دون مكسبه فيما أعتقد» وأبرزت السيدة أوليڤر أحد أوراق اللعبة وقالت :«كنت أطمع فى لعبة معينة فخسرت» وقال الكولونيل ريس :«الساعة بلغت الثانية عشرة وعشر دقائق . يوجد وقت لنلعب دورا آخر» فقال كبير المفتشين باتل : «اعذرونى . أنا رجل اعتدت على النوم مبكرا» وقال بوارو : «وأنا أيضا» وقال ريس : «من الأفضل أن نلعب دوراً آخر» .

كانت نتيجة اللعب على هذه المنضدة أن الفريق المكون من رجلين قد حقق انتصاراً فى

أدوار بينما لم يحقق الفريق المختلط المكون من السيد باتل والسيدة أوليڤر أى انتصار فى أى دور .

ومع أن السيدة أوليڤر لم تكن تجيد اللعب إلا أنها كانت تمتاز بروح رياضية جيدة تقبلت الهزيمة بصدر رحب ودون غضب أو تذمر ، واكتفت بأن تقول :«كل شيء مضى على غير ما يرام بالنسبة لى فى هذه الليلة . هكذا يبدو لى الأمر أحيانا . كانت معى أوراق جيدة جداً فى الليلة الماضية» .

ونهضت ولملمت حاجياتها فى حقيبة يدها المطرزة ثم رفعت خصلة الشعر من فوق حاجبها لتعود خصلة الشعر إلى حاجبها مرة أخرى ، ثم قالت : «أعتقد أن السيد شيتانا فى الحجرة المجاورة لنا» ومضت نحوه لكى تشكره وتستأذن منه فى الانصراف ومشى وراءها الآخرون .

وكان السيد شيتانا جالسا فوق الكرسى بجوار المدفأة ، وكان أمامه اللاعبون المنهمكون فى اللعب ، وذهبت السيدة أوليڤر نحو السيدة لوريمير التى كانت لا تزال منهمكة فى اللعب ومعها السيد باتل ، وذهب الكولونيل ريس نحو السيد شيتانا وكان بوارو يمشى وراء الكولونيل ريس ، وقال الكولونيل ريس :«آن لنا أن ننصرف يا شيتانا» ولم يرد السيد شيتانا بأى كلمة وكان رأسه يتدلى على صدره ويبدو مستغرقا فى نوم عميق ، ونظر الكولونيل ريس نحو بوارو واقترب نحو شيتانا ، وفجأة صاح صيحة تعجب وانحنى على شيتانا ، وكان بوارو قد أصبح بجانبهما وهو ينظر إلى حيث كان الكولونيل ريس يشير بأصبعه . كان هنالك شيء يشبه قطعة من الخشب ملفوفة بالقماش ، وتقدم بوارو ، ورفع أحد ذراعى شيتانا ثم تركها فنزلت إلى مكانها دون أى إحساس أو حركة ذاتية ، وتقابلت نظرات بوارو مع نظرات ريس ، وأومأ بوارو برأسه فقال الكولونيل ريس : «يا سيادة المفتش باتل ، دقيقة هنا من فضلك» وجاء المفتش باتل نحوهما ، بينما استمرت السيدة أوليڤر فى مراقبة كيفية لعب السيدة لوريمير بأوراقها وهى معجبة بها إلى حد كبير.

ورفع المفتش باتل حاجبيه فى دهشة من استدعائه على هذا النحو المفاجئ وقال : «هل يوجد أى شيء غير عادى؟» وأومأ له الكولونيل ريس بما يفيد بوجود شيء خارق للعادة وأشار بأصبعه نحو الكرسى الذى كان يجلس عليه شيتانا .

وبينما انحنى باتل على جسم السيد شيتانا كان بوارو ينظر باهتمام إلى وجه شيتانا الذى كان يبدو وجهاً سخيفاً الآن ، وكان فمه مفتوحا ، وقد زالت عن وجه شيتانا المسحة الشيطانية التى كانت تعلو قسمات وجهه من قبل .. وهز بوارو رأسه .

واعتدل المفتش باتل بعد أن فرغ من فحص شيتانا دون أن يلمسه وبدا كجندى يزاول

مهام عمله بكل كفاية وقال :«كفوا عن اللعب وتعالوا عندى من فضلكم» كان صوته آمراً صارماً ، والتفتت كل الرؤوس نحوه ، ثم تحركت كل الأقدام تمشى نحوه ، وظلت الآنسة آن ميرديث ممسكة بورقة اللعب فى يدها ، وقال المفتش باتل : «يؤسفنى أن أقول لكم إن مضيفنا السيد شيتانا قد مات . وشبت السيدة لوريمير على قدميها ، وشب الدكتور روبرتس على قدميه ، وحملق الميچور ديسبارد بعينيه نحو شيتانا وقطب جبينه. وشهقت الآنسة آن ميرديث . وقال الدكتور روبرتس :«هل أنت متأكد يا رجل» وكأنما تذكر الدكتور روبرتس أنه طبيب فتقدم نحو جثة شيتانا بخطوات الطبيب الذى يتقدم لفحص مريض ممدد على فراشه لا يستطيع حركة ، وأوقفه المفتش باتل بحركة من يده وهو يقول له :«مجرد دقيقة يا دكتور روبرتس . هل تستطيع أن تقول لى من دخل وخرج فى هذه الحجرة هذا المساء؟» .

وحملق فيه الدكتور روبرتس وقال: «دخل وخرج؟ أنا لا أفهمك . لا أحد –» وتحول المفتش باتل بنظره نحو السيدة لوريمير وقال :«هل هذا صحيح يا سيدة لوريمير؟» فقالت : «صحيح تماما» فقال باتل : «ولا حتى كبير الخدم ولا أى واحد من الخدم؟» فقالت : «لا، لقد أحضر كبير الخدم هذه الصينية وعليها الأكواب عندما بدأنا اللعب ، وهو لم يدخل بعدها» .

ونظر المفتش باتل نحو الميچور ديسبارد الذى أومأ برأسه موافقاً على كلام السيدة لوريمير. وقالت آن ميرديث :«نعم ، نعم ، هذا صحيح» .

وقال الدكتور روبرتس :«ما كل هذا يا رجل . دعنى فقط أفحصه . يجوز أن تكون مجرد نوبة إغماء» فقال المفتش باتل :«ليست مجرد نوبة إغماء . يؤسفنى ذلك . لن يلمس أحد الجثة حتى يأتى الطبيب الشرعى المختص بهذه المنطقة . إن السيد شيتانا قد قتل يا حضرات السيدات والسادة» وصاحت آن ميرديث تقول :«قتل؟!» وزادت حملقة عينى الميچور ديسبارد ، وقالت السيدة لوريمير أيضا :«قتل؟!» وقال الدكتور روبرتس : «يا إلهى!» قال المفتش باتل : «مطعون ، قتل بطعنة قاتلة وجهها شخص آخر إليه . هذه هى الطريقة التى قتل بها السيد شيتانا!» ثم وجه سؤالاً إلى كل الحاضرين : «هل ترك أى واحد منكم منضدة البريدچ فى أى وقت أثناء اللعب؟» .

ورأى المفتش باتل مختلف الإجابات على مختلف الوجوه . أفواه فاغرة – أيدى تشيح – الخوف – إدراك الموقف – الثقة بالنفس – اليأس – الرعب، ولكنه لم يجد شيئاً يزيل الغموض . فقال :«حسنا؟» ، واستدار الميچور ديسبارد نحو باتل كجندى يخاطب قائده بكل اهتمام :«أنا أعتقد أن كل شخص من الموجودين فى وقت أو آخر قد تحرك مبتعدا عن منضدة البريدچ إما لكى يحضر بعض المشروبات أو ليضع بعض الخشب فى المدفأة ، وأنا

شخصيا قمت بهذين العملين ، وعندما ذهبت لأضع بعض الخشب فى المدفأة كان شيتانا مستغرقا فى النوم وهو جالس فوق الكرسى» فقال باتل: «هل كان نائما؟» فقال الميجور ديسبارد :«ظننت ذلك – نعم» فقال باتل: «ربما كان قد قتل . سنبحث فى هذه المسألة بعد قليل . أنا أطلب منكم الآن أن تذهبوا إلى الحجرة المجاورة . اذهب معهم يا كولونيل ريس »وكان الكولونيل ريس فى حالة وجوم تام ، ولكنه تخلص من الوجوم وقال :«وهو كذلك يا سيادة المفتش» .

وجلست السيدة أوليفر على كرسى بمجرد أن وصلت إلى الحجرة المجاورة وبدأت تبكى بهدوء، وتناول المفتش باتل سماعة التليفون وأخذ يتكلم ، ثم أطل عليهم وقال لهم : «سيأتى رجال الشرطة المحليون فوراً . وأوامر القيادة العليا هى أن أتولى الإشراف على التحقيق، والطبيب الشرعى المختص سيكون هنا بعد قليل . منذ متى تقول إنه قد مات يا سيد بوارو ؟ أنا أقول شخصياً إنه قد مات منذ ساعة» فقال بوارو: «أوافق على تقديرك هذا . ومما يؤسف له أننا لا نستطيع أن نحدد ذلك بدقة تامة» وأومأ المفتش باتل برأسه موافقا ثم قال : «لقد كان يجلس مباشرة أمام المدفأة – ومنذ أكثر من ساعة كما سيقول لنا الطبيب ، ولم يسمع أحد أى شىء ، ولم ير أحد أى شىء . هذا محير! يالها من قضية محيرة هذه التى فرضوا علىَّ أنا أن أقوم بالتحقيق فيها! كان من المفروض أن يصيح ولو صيحة واحدة!» فقال بوارو :«ولكنه لم يصح ولا صيحة واحدة. كان الحظ مواتيا للقاتل كما كنت تقول ياصديقى» فقال باتل : «هل لديك أى فكرة يا سيد بوارو عن الدافع إلى هذه الجريمة؟» فقال بوارو :«نعم . عندى شىء من هذا القبيل ، ولكن ، قل لى أولا : ألم يقل لك السيد شيتانا شيئاً عن طبيعة هذه الحفلة التى أقامها لنا وهو يدعوك لحضورها؟» فقال المفتش باتل: «لا يا سيد بوارو . لم يكن قد قال لى أى شىء بهذا الخصوص . لماذا؟» .

ولعلع فى الجو صوت جرس ، وسمعوا طرقا على الباب فقال باتل : «وصل رجالنا. سأقوم بإدخالهم . سأعرف منك الحكاية فيما بعد . يلزم أن نقوم بالعمل الروتينى أولا» .

وأومأ له بوارو برأسه ، وخرج باتل من الحجرة . واستمرت السيدة أوليفر فى البكاء، وذهب بوارو إلى منضدة البريدج ، وقام بفحص نتائج الأدوار وهز رأسه وتمتم قائلا : «الرجل الغبى الصغير الحجم . الرجل الغبى الصغير الحجم ! يتظاهر بمظهر الشيطان ويوغل فى تخويف الناس . يالها من تصرفات تشبه تصرفات الأطفال!» .

وفُتح الباب . ودخل الطبيب الشرعى وبيده حقيبته الصغيرة . وكان وراء مفتش البوليس المختص بالمنطقة الذى أخذ يتكلم مع كبير المفتشين باتل . وجاء أحد المصورين . ووقف أحد أمناء الشرطة فى الصالة .

وهكذا كانت إجراءات التحقيق فى جريمة قتل قد بدأت .

الفصل الرابع
القاتل الأول ؟

★ ★ ★ ★ ★

جلس هركيول بوارو ، والسيدة أوليڤر ، والكولونيل ريس ، وكبير المفتشين باتل حول المائدة فى حجرة الطعام ، وبعد ساعة من الزمن كان قد تم فحص الجثة وتم تصويرها وتم رفع الجثة من مكانها ، وجاء مختص برفع البصمات ثم انصرف .

ونظر كبير المفتشين باتل إلى بوارو ثم قال له :«أريد أن أسمع ما كنت تريد أن تقوله لى قبل وصول أولئك الناس . من وجهة نظرك كان هنالك شىء ما يكمن وراء إقامة هذه الحفلة هنا فى هذه الليلة ، فما هو؟» .

وحكى بوارو لكبير المفتشين باتل بصراحة وبكل دقة تفاصيل الحوار الذى كان قد دار بينه وبين شيتانا وهو يدعو بوارو لحضور هذه الحفلة فى منطقة وسكس هاوس. وَمَطَّ باتل شفتيه وكاد أن يصدر عنهما صفير ثم قال: «معرض! قتلة أحياء ! أوه! وهل تعتقد أنه كان يقصد المعنى الحقيقى لكلماته تلك؟ ألا تعتقد أنه كان يحاول أن يغريك بفكرة غريبة حتى تقبل دعوته ولم يكن يقصد المعنى الحقيقى لكلماته؟» فقال بوارو :«أوه! لا ، كان يقصد المعنى الحقيقى لكلماته ، إن هذا الذى حدث له أكبر دليل على ذلك . كان شيتانا رجلاً يفخر بموقفه الشيطانى الشرير فى الحياة . كان رجلاً شديد الغرور ، وكان غبياً ، وكان ثرياً. وهذه هى أسباب موته» .

قال كبير المفتشين باتل بعد أن تأمل تسلسل الأفكار فى ذهنه :«أنا متفهم لوجهة نظرك. ثمانية أشخاص بالإضافة إلى شخصه . أربعة من رجال الشرطة وأربعة قتلة!» .

وكانت السيدة أوليڤر تنصت إلى الكلام فصاحت قائلة :«هذا مستحيل! لا أحد من

هؤلاء الناس يمكن أن يكون مجرما» وهز باتل رأسه وهو يفكر ثم قال :«أنا لست متأكدا من ذلك يا سيدة أوليفر . القتلة يظهرون بمظهر الناس غير المجرمين ويتصرفون فى ممارسة حياتهم اليومية مثل الناس غير المجرمين ، بل إن مظهرهم يدل على لطف فى السلوك أكثر من غيرهم أحيانا . إنهم فى معظم الأحيان يبدو عليهم الهدوء الشديد ، ويتصرفون بكثير من الرقة واللياقة مع الآخرين فى كثير من الأحيان» .

قالت السيدة أوليفر :«فى هذه الحالة ، لابد أنه هو الدكتور روبرتس ، لقد شعرت بغريزتى أنه يوجد شيء خطأ فى هذا الرجل بمجرد أن رأيته . وغريزتى يستحيل أن تكذبنى» .

واستدار باتل نحو الكولونيل ريس وقال له :«وأنت ، ماذا تظن يا سيدى؟» وهز الكولونيل ريس رأسه ثم هز كتفيه . وتعامل ريس ذهنيا مع السؤال بالنظر فيما قاله بوارو وأهمل ذهنه تماما كل ما كانت السيدة أوليفر قد قالته إذ قال ريس :« من الممكن أن يكون ما قاله السيد بوارو صحيحاً هذا ممكن . هذا يثبت أن شيتانا كان صادقا فى شأن من شئونه على الأقل! وعلى كل حال ، من الممكن أنه كان يشك مجرد شك فى أن أولئك الناس الذين دعاهم هنا الليلة إنما هم قتلة فى نظره – من المستحيل أنه كان متأكدا من ذلك . يجوز أن يكون على صواب بالنسبة لهم جميعاً، ويجوز أن يكون على صواب بالنسبة إلى أحدهم فقط ، ولكنه بالتأكيد كان على صواب بالنسبة لأحدهم ، وحقيقة مقتله تبرهن على ذلك» .

قال كبير المفتشين باتل :«أحدهم سنحت له الفرصة فقتله . هل تعتقد ذلك يا سيد بوارو؟» وهز بوارو رأسه موافقاً وقال :«كانت للمرحوم شيتانا سُمْعته وشهرته . كانت لديه هواية حب المداعبات الخطيرة ، وكان مشهورا عنه أنه لا يرحم فى ممارسته لهذه الهواية . وشعر الضحية أن شيتانا كان يتسلى بإقامة هذه الحفلة ، وستكون مفاجأة الحفلة فى النهاية هى أن يقدم أحد القتلة إلى الشرطة ويكشف عن جريمة قتل سبق أن ارتكبها القاتل ولم يوجه له أى شك أو اتهام . ويجوز أن يكون هذا القاتل أو تلك القاتلة كان يعتقد أو كانت تعتقد أن شيتانا لديه الدليل الحاسم ضد القاتل ، وتوجيه الاتهام مع ذكر الدليل الحاسم يشكلان مفاجأة مذهلة فى ختام الحفلة» .

قال كبير المفتشين باتل :«هل كان لديه دليل حاسم ضد أحد يدل على أنه كان قد ارتكب جريمة قتل؟» وهز بوارو رأسه وقال :«هذا هو ما يستحيل أن نعرفه لأن شيتانا قد قتل قبل أن يفضى به إلينا» .

وكررت السيدة أوليڤر ما سبق لها قوله وزادته إيضاحاً فقالت :«إنه هو الدكتور روبرتس . هذا الرجل الطيب القلب . القتلة دائما يظهرون أن قلوبهم طيبة – كمجرد قناع يتنكرون وراءه! لو كنت أنا مكانك يا حضرة المفتش باتل ، لألقيت القبض عليه فوراً» .

قال باتل :«يجوز لى أن أقول إننى كنت سأفعل ذلك بالتأكيد لو كان عندنا امرأة هى التى تتولى القيادة العليا فى إدارة سكوتلانديارد ، ولكنك تعرفين أنهم مجرد رجال هم الذين يتولون قيادة العمل فى سكوتلانديارد! ويلزمنا بناء على ذلك أن نكون حذرين ، ويلزمنا أن نتقدم ببطء» .

وتنهدت السيدة أوليڤر وصاحت قائلة :«رجال – رجال!» وبدأت تستعرض فى ذهنها العناوين المناسبة لمقالاتها الصحفية القادمة .

وقال باتل :«من الأفضل أن أستدعيهم الآن . لا يحسن أن ندعهم معلقين وقتاً طويلاً» .

وهَمَّ الكولونيل ريس بالنهوض وهو يقول :«لو كنت تريد أن أذهب» . واستعرض باتل شخصيات الموجودين معه فى الحجرة ثم قال :«تستطيعون جميعاً ، أنتم الثلاثة البقاء معى هنا عند إجراء المقابلة مع كل من الآخرين، ولكننى أرجو ألا يتدخل أحد منكم فى المناقشة دون طلب واضح منى . (ونظر نحو السيدة أوليڤر) ولا يلزم إطلاقاً أن يذكر أحد أى شىء عما قاله السيد بوارو عن شيتانا . يلزم أن يكون هذا السر قد مات معه . هل هذا مفهوم ؟» فقالت السيدة أوليڤر :«هذا مفهوم تماما» .

ونادى كبير المفتشين باتل أحد مساعدى الشرطى الذى كان موجودا فى الصالة وقال له: «اذهب أنت وأندرسون وأخبرا الدكتور روبرتس أن يتفضل بالحضور هنا» فقالت السيدة أوليڤر : «لو كنت أنا مكانك لاستبقيته ليكون آخر من يحضر عندى للاستجواب ، ولحررت استجوابه كتابيا . أقصد لو كنت أكتب رواية» فقال باتل : «الحياة الحقيقية تختلف عن الكتابة الخيالية» فقالت السيدة أوليڤر :«أنا أعرف هذه الحقيقة . الحياة الحقيقية أسوأ تعقيدا» .

ودخل الدكتور روبرتس الحجرة وقال :«أنا أقول يا باتل إن هذا هو عيب مهنتكم! عفوا يا سيدة أوليڤر ، ولكنه عيب . ولو أننى تكلمت من منطلق مهنتى ، فأنا لا أكاد أصدق أن ما حدث قد حدث! من غير المعقول أن يتم قتل رجل بطعنة قاتلة مع وجود أناس آخرين على بعد بضعة ياردات منه» وهز الدكتور روبرتس رأسه ثم قال : «وُو! أنا لا أتصور كيفية الإقدام

على فعل ذلك!» وتلاعبت ظلال ابتسامة على جانبى فمه . ثم قال :«ماذا يمكن أن أقول أو أن أفعل لكى أقنعكم أننى لم أفعل ذلك؟» .

قال باتل :«حسنا ، يوجد دافع على ارتكاب الجريمة يا دكتور روبرتس.» فقال الدكتور روبرتس :«لابد من جود دافع على ارتكاب الجريمة . وأنا لا يوجد عندى أى ظل لأى دافع على ارتكابها . لم تكن معرفتى به معرفة وثيقة . كان مجرد شخص أجد فيه شيئا من التسلية . كان شخصا واسع الخيال وكان مضحكا . فى شخصيته مسحة من التفكير على الطريقة الشرقية. ومن الطبيعى أنكم ستدرسون علاقتى به جيدا- أنا أتوقع ذلك . أنا لست غبيا . لكنكم لن تجدوا أى شىء . أنا لم يكن يهمنى أن يقتل أحد شيتانا ، وأنا لم أقتله» .

وهز باتل رأسه المتخشب وقال :«وهو كذلك يا دكتور روبرتس . يلزمنى عمل التحريات اللازمة كما تعرف . أنت رجل حصيف . والآن ، هل يمكن لك أن تقول لى رأيك بالنسبة للأشخاص الثلاثة الآخرين الذين كانوا مشتركين معك فى لعب البريدچ؟» .

قال الدكتور روبرتس :«يؤسفنى أننى لا أعرف عنهم الكثير . لقد قابلت ديسبارد والآنسة ميرديث لأول مرة هذه الليلة . كنت قد سمعت عن ديسبارد من قبل - وكنت قد قرأت كتابه عن رحلاته . وهو رفيق طيب» .

قال باتل :«هل كنت تعرف بوجود صداقة بينه وبين شيتانا؟» فقال الدكتور روبرتس : «لا. لم يذكر لى شيتانا أى شىء عنه . كما قلت أنا كنت قد سمعت عنه، ولكننى لم أكن قد قابلته أبدا من قبل ، ولم أكن قد قابلت الآنسة ميرديث من قبل ، وكنت أعرف السيدة لوريمير معرفة طفيفة» .

قال باتل :«وماذا تعرف عنها؟» وهز الدكتور روبرتس كتفيه وقال : «إنها أرملة . ميسورة الحال إلى حد ما . ذكية . امرأة حسنة النشأة - لاعبة بريدچ من الطراز الأول. ولعبة البريدچ كانت هى مناسبة معرفتى بها فى حقيقة الأمر» .

قال باتل :«ولم يكن السيد شيتانا قد ذكر لك أى شىء عنها هى الأخرى؟» فقال روبرتس :«لا» فقال باتل :«هَمْ! إن هذا لا يساعدنا كثيرا . والآن دكتور روبرتس أرجو أن تحفز ذاكرتك جيدا على العمل لتقول لنا كم مرة تركت مقعدك أثناء اللعب على منضدة البريدچ ، وقل لنا أيضا كل ما تذكره عن تحركات باقى اللاعبين» .

واستغرق الدكتور روبرتس عدة دقائق فى التفكير ثم قال : «هذا صعب . أنا أستطيع أن أتذكر تحركاتى أنا على نحو ما . أنا تركت منضدة اللعب ثلاث مرات . ذهبت مرة

ووضعت بعض الخشب فى المدفأة ، ومرة أخرى أحضرت مشروبا للسيدتين ، وفى المرة الثالثة قمت بخلط مشروب لنفسى» .

قال باتل :«هل تستطيع أن تحدد بالضبط وقت قيامك عن المنضدة فى كل مرة؟» فقال: «أنا أستطيع فقط أن أذكر توقيتات تقريبية . أنا أتصور أننا بدأنا اللعب فى حوالى الساعة التاسعة والنصف. وأعتقد أنه بعد ساعة قمت ووضعت بعض الأخشاب فى المدفأة . وبعد وقت قليل من ذلك قمت وأحضرت مشروبين للسيدتين ، وربما كانت الساعة قد بلغت الحادية عشرة والنصف عندما خلطت لنفسى مشروبا ، ولكن كل هذه التوقيتات إنما هى على وجه التقريب . وأنا لا أستطيع أن أزعم أنها دقيقة » .

قال باتل :«هل كانت المنضدة التى عليها المشروبات وراء السيد شيتانا؟» فقال الدكتور روبرتس :«نعم . يمكن القول إنها كانت وراء الكرسى الذى كان يجلس عليه . لقد مررت بالقرب منه ثلاث مرات» .

قابل باتل :«وفى كل مرة ، بقدر ما تستطيع أن تتذكر ، هل كان يبدو نائما» فقال الدكتور روبرتس :«ذلك هو ما ظننته لأول وهلة . وفى المرة الثانية لم أعبأ حتى بمجرد النظر إليه . وفى المرة الثالثة تساءلت كيف يستطيع أن ينام بهذه البساطة ، لكننى لم أنظر إليه بأى إمعان فى كل الحالات» .

قال باتل : «هذا حسن جدا . والآن ، متى غادر زملاؤك فى اللعبة منضدة اللعب؟» وقطب الدكتور روبرتس جبينه وقال :«صعب . صعب جدا. ذهب ديسبارد وأحضر طفاية سجاير أخرى وضعها بالقرب منه على المنضدة.

وأعتقد أنه ذهب وأحضر مشروبا لنفسه . كان ذلك قبل أن أحضر أنا مشروبا لنفسى لأنه سألنى ما إذا كنت أرغب فى تناول مشروب ، وقلت له إننى لم أكن أرغب فى أن أشرب أى شىء آنذاك» .

قال باتل :«والسيدات؟» فقال روبرتس :«ذهبت السيدة لوريمير نحو المدفأة مرة . وزودتها بالأخشاب فيما أعتقد . ، وأتخيل إلى حد ما أنها تكلمت مع شيتانا ، لكننى لست متأكدا من ذلك . كنت منهمكا فى تحضير وتوفيق أوراقى لكى أكسب دورا فى تلك اللحظة» .

قال باتل :«والآنسة ميرديث؟» فقال الدكتور روبرتس :«لقد تركت منضدة اللعب مرة واحدة بالتأكيد ، ومرت من ورائى ونظرت فى أوراقى . كنت أنا شريكها فى اللعب ، وفردت الأوراق بيدى لكى تراها جيدا ، وحاولت النظر إلى الورق بأيدى لاعبين آخرين وهى

تدور فى الحجرة كما لو كانت تحاول تنشيط قدميها بعد طول الجلوس إلى المائدة ، وأنا لم ألتفت إلى أى شيء من تحركاتها حيث إننى كنت منهمكا فى اللعب» .

وفكر المفتش باتل ثم قال :«بينما كنتم تجلسون إلى مائدة اللعب ألم يكن أى واحد منكم يواجه المدفأة؟» فقال الدكتور روبرتس :«لا ، ربما كان يمكن لأحدنا النظر إلى المدفأة نظرة جانبية فقط . وكان يوجد دولاب كبير بيننا وبين المدفأة . إنه جميل وهو صناعة صينية . وأنا أدرك بالطبع أنه كان من الممكن أن يوجه شخص طعنة إلى السيد شيتانا دون أن يراه أحد منا ، وفوق ذلك عندما تلعب البريدچ فأنت تلعب البريدچ . إنك تنظر فى الورق الذى فى يدك ولا تنظر حولك . وفى هذه الحال....» .

قال المفتش باتل :«وفى هذه الحالة يستحيل رؤية القاتل طبعا» فقال الدكتور روبرتس : «على كل حال نجد أن الإقدام على هذه الجريمة يحتاج أعصابا من فولاذ كما تعرف . وبعد ذلك ، من الذى يستطيع أن يقول إنه قد رفع رأسه عن أوراق اللعب ورأى القاتل فى ذات اللحظة التى وجه فيها طعنته القاتلة إلى الضحية؟» .

قال المفتش باتل :«نعم ، كانت مخاطرة كبيرة . ويلزم أن يكون الدافع للإقدام عليها دافعا قويا جدا . أنا أريد بشدة أن أعرف هذا الدافع » . فقال الدكتور روبرتس : «أنا آمل أن تكتشفه . أنت ستفحص أوراقه وكل ما شابه ذلك . ومن المحتمل أن تجد مفتاحا» . فقال باتل :«نأمل فى ذلك» .

ونظر المفتش باتل إلى الدكتور روبرنس وقال له :«أنا أرجو أن تسر خاطرى يا دكتور روبرتس وتقول لى رأيك بصراحة فى هذه القضية كرجل يتكلم مع رجل» . فقال الدكتور روبرتس :«بكل تأكيد» . فقال باتل :«مَنْ منَ الأشخاص الثلاثة الآخرين الذين كانوا معك على مائدة البريدچ يحتمل فى نظرك أن يكوَن هو الذى فعلها» ؟

قال الدكتور روبرتس : «ذلك أمر سهل . بينى وبينك ، أنا أقول إنه الميجور ديسبارد. هذا الرجل أعصابه قوية جدا بدرجة كافية ولقد تعود على الحياة الحافلة بالمخاطر حيث يتعين على الإنسان أن يتصرف بسرعة ، وهو لا يعبأ بالإقدام على أى مخاطرة ، ولا يبدو لى محتملا أن تقدم أى من المرأتين اللتين كانتا معنا على نفس المنضدة على مثل هذه المخاطرة. إن هذه المخاطرة تحتاج شيئا من القوة والقدرة على التجلد فيما أعتقد» .

وعندئذ قال المفتش باتل :«ليست القوة البدنية مطلوبة إلى حد كبير . انظر إلى هذا» . وأبرز باتل فجأة أداة طويلة رفيعة معدنية لها رأس صغير محلى بالمجوهرات ، وأمسك بها

الدكتور روبرتس وأخذ يتأملها بدقة الخبير المتخصص وتحسس طرفها المدبب وأطلق صفيرا من شفتيه ثم قال :«يالها من أداة! يالها من أداة! معدة خصيصا من أجل القتل ، هذه اللعبة الصغيرة تدخل فى الجسم كما لو كان كمية من الزبدة، بالضبط مثل الزبدة . أحضرها القاتل معه فيما أعتقد» ، فقال باتل :«لا ، إنها تخص السيد شيتانا نفسه . كانت موجودة فوق المنضدة بالقرب من الباب مع أدوات كثيرة أخرى شبيهة بها» ، فقال الدكتور روبرتس: «وهكذا وجد القاتل أفضل أداة للقتل بسهولة . إنه محظوظ أن يجد أداة كهذه فى متناول يده» ، فقال باتل: «حسنا ، هذه طريقة من طرق النظر إلى المسألة» ، فقال الدكتور روبرتس : «حسنا ، بالطبع لم تكن هذه المصادفة من حسن حظ شيتانا ، صديقنا المسكين» ، فقال باتل :«أنا لا أقصد هذا المعنى يا دكتور روبرتس . أنا أقصد أن أقول إن هنالك زاوية أخرى ننظر منها إلى المسألة ، يخطر ببالى الظن بأن رؤية القاتل لهذه الأداة فوق المنضدة وراء الباب هى التى أوحت إليه بفكرة الإقدام على قتل شيتانا» ، فقال الدكتور روبرتس :«هل تقصد أن الدافع إلى القتل كان مجرد خاطر طارئ خطر فجأة فى ذهن القاتل ، ولم تكن جريمة القتل مخططة من قبل؟ هل القاتل قد خطرت فى ذهنه الفكرة بعد أن كان قد جاء هنا؟ أى شيء يجعلك تفترض صحة هذه الفكرة» ؟

وحملق الدكتور روبرتس فى وجه المفتش باتل كما لو كان يحاول النظر

داخل رأسه ليرى هذه الفكرة وأسبابها ، فقال المفتش باتل بعفوية :«إنها مجرد فكرة بطبيعة الحال» ، فقال الدكتور روبرتس ببطء شديد :«حسنا .. يجوز .. أن يكون الأمر على ذلك النحو بطبيعة الحال» .

وبعدئذ قال المفتش باتل :«حسنا ، لن أستبقيك أكثر من ذلك يا دكتور. أشكرك لمساعدتنا . أرجو أن تترك لنا عنوانك » . فقال الدكتور روبرتس : «بالتأكيد . رقم ٢٠٠ جلوسستر تراس –٢,– تليفون ٢٣٨٩٦ بييز ووتر» ، فقال باتل :«أشكرك . ربما أزورك فى وقت قريب» ، فقال الدكتور روبرتس : «يسرنى أن ألقاك فى أى وقت ، وآمل ألا يذكر اسمى فى الصحف . أنا لا أريد أى إزعاج لأعصاب مرضاى» .

والتفت المفتش باتل نحو بوارو وقال له : «معذرة يا سيد بوارو ، لو كنت تريد أن توجه أى أسئلة إلى الدكتور روبرتس ، فأنا أعتقد أنه لا يمتنع عن الإجابة » ، فقال الدكتور روبرتس :«بالطبع لا أمتنع . بالطبع لا أمتنع . أنا واحد من المعجبين بك يا سيد بوارو . الخلايا الصغيرة الحجم ، الرمادية اللون – والنظام والمنهج . أنا أعرف كل ذلك . أنا أشعر بالتأكيد أنك ستفكر فى شيء مهم تسألنى عنه» .

ومد بوارو يديه أمام صدره فى تواضع شديد وقال :«لا . لا . أنا فقط أحب أن أضع كل التفاصيل داخل رأسى . مثلا : كم دورا من أدوار البريدج لعبتم؟» فقال الدكتور روبرتس على الفور :«ثلاثة أدوار . وفى الدور الرابع دخلتم عندنا» . فقال بوارو: «ومن زامل الآخر؟» فقال :«فى الدور الأول ديسبارد وأنا ضد السيدتين . وانهزمنا . بارك الله لهما . كانتا تلعبان ببراعة ، وكانتا مخظوظتين . تمكنتا من سحقنا دون أن نجد ورقة تصلح للعب ، وفى ثانى الأدوار لعبت الآنسة ميرديث وأنا ضد ديسبارد والسيدة لوريمير، وفى الدور الثالث السيدة لوريمير وأنا ضد ديسبارد والآنسة ميرديث ، وفى الدور الرابع لعبت الآنسة ميرديث معى مرة أخرى» .

قال بوارو :«من ربح؟ ومن خسر؟» فقال الدكتور روبرتس :«كسبت السيدة لوريمير كل دور اشتركت فيه مع أى زميل لها ، وكسبت معها الآنسة ميرديث الدور الأول وخسرت دورين ، وأنا ربحت أكثر منها قليلا ، ولم يكسب ديسبارد أى دور» .

وقال بوارو :«لقد سألك كبير المفتشين عن رأيك فى زملائك بشأن إمكان ارتكاب أحدهم للجريمة ، وأنا الآن أسألك عنهم من حيث براعة كل منهم فى اللعب» وأجاب الدكتور روبرتس على الفور :«السيدة لوريمير درجة أولى ، وديسبارد لاعب جيد أيضا ، ويمكن أن أعطيه المرتبة الثانية بعدها ، إنه مثابر جدا ، وتستطيع أن تعتبر الآنسة ميرديث لاعبة هادئة مسالمة. إنها لا تخطئ ، ولكنها ليست ماهرة» .

قال بوارو :«وأنت يا دكتور؟» ولمعت عينا الدكتور روبرتس وقال :«أنا أمسك الورق فى يدى ، وألعب به وأبدل مواضعه جيدا كما يقولون»

ابتسم بوارو ، ونهض الدكتور روبرتس وهو يقول :«هل مطلوب منى أى شيء آخر؟» وهز بوارو رأسه نفيا فقال الدكتور روبرتس :«حسنا ، طابت ليلتكم إذن . طابت ليلتك يا سيدة أوليفر . يحسن بك أن تكتبى رواية عن ذلك . بدلا من سمومك التى لا يمكن اقتفاء أثرها . إيه؟ .

وغادر الدكتور روبرتس الحجرة يمشى فى قفزات كالمعتاد ، وقالت السيدة أوليفر بمرارة عندما أغلق الباب وراءه :«رواية ! رواية! حقا! الناس أذكياء جدا . أنا أستطيع أن أخترع رواية كل يوم بسهولة أكبر من حادث صغير حقيقى . لا تحيرنى خطة أى رواية ، والناس الذين يطالعون رواياتى يحبون السموم التى لا يمكن اقتفاء أثرها!» .

الفصل الخامس
القاتل الثاني ؟

* * * * *

دخلت السيدة لوريمير إلى الحجرة كواحدة من النبيلات ، كانت تبدو شاحبة الوجه إلى حد ما ، ولكنها كانت مسيطرة على مشاعرها ، وقال لها المفتش باتل : «نأسف لإزعاجك» ، فقالت : «يجب أن تؤدى واجبك بطبيعة الحال . أنا أتفق معك أنه موقف غير سار لنا ، ولكن الهروب من مواجهته لا يفيد . أنا متأكدة أن واحدا من الأشخاص الأربعة في تلك الحجرة من الضرورى أن يكون قد ارتكب هذه الجريمة ، وبطبيعة الحال لا أستطيع أن أطلب منك أن تعتمد على مجرد كلمة شرف منى أننى لست الجانية» .

وتقبلت الكرسى الذى قدمه لها الكولونيل ريس وجلست عليه فى مواجهة المفتش باتل. وتلاقت عيناها الذكيتان مع عينيه ، وانتظرت مترقبة فى انتباه . وبادرها المفتش باتل بقوله : «هل تعرفين السيد شيتانا معرفة جيدة؟» فقالت : «ليست معرفة وثيقة . عرفته منذ بضع سنوات ، ولكن لم تكن معرفتى به معرفة وثيقة» .

قال المفتش باتل : «أين قابلتيه أول مرة؟» فقالت :«فى أحد الفنادق فى مصر فندق وينتر بالاس فى الأقصر فيما أذكر» . فقال لها :«ما رأيك فيه؟» وهزت كتفيها هزة خفيفة وقالت :«كنت أعتبر أنه - يجوز لى القول - دجال إلى حد ما» .

قال لها المفتش باتل : «عفوا بشأن صيغة السؤال : ألم يكن لديك ما يدعوك إلى الرغبة فى إزاحته من طريقك؟» وبدت السيدة لوريمير كما لو كان السؤال قد بدا لها مثل نكتة وقالت :«أحقا يا سيادة المفتش باتل : هل تعتقد أننى أعترف لك بذلك لو كان عندى ما يدعونى إلى الرغبة فى إزاحته من طريقى لو كانت عندى هذه الرغبة؟» فقال باتل:«يجوز أن الشخص العاقل يعترف بكل ما يمكن اكتشافه» . فقالت: «طبعا يوجد مثل هؤلاء الأشخاص العقلاء بطبيعة الحال . لا ، يا حضرة المفتش باتل . لم يكن عندى إطلاقا ما يجعلنى أرغب فى إزاحة السيد شيتانا من الطريق . لا فرق عندى بين أن يكون حيا أو أن يكون ميتا . لقد كنت أعتبره شخصا ميالا إلى الاستعراض بطريقة فجة ، وكان يفزعنى فى بعض الأحيان هذا هو موقفى منه أو بالأصح كان هذا هو موقفى منه» .

قال المفتش باتل :«كان ذلك هو رأيك فيه ، والآن يا سيدة لوريمير ، هل تستطيعين أن

تقولى لى أى شىء عن رفاقك الثلاثة فى لعبة البريدج فى هذه الليلة؟» فقالت : «يؤسفنى أننى لا أستطيع ذلك . قابلت كلا من الميجور ديسبارد والآنسة ميرديث الليلة فقط، وكل منهما يبدو شخصا لطيفا ، وأعرف الدكتور روبرتس معرفة سطحية . إنه طبيب مشهور جدا فيما أعتقد» ، فقال باتل :«أليس هو طبيبك الخصوصى؟» فقالت :«أوه ، لا» . فقال باتل: «والآن يا سيدة لوريمير ، هل تستطيعين أن تقولى لى كم مرة نهضت عن مقعدك الليلة ، وهل تصفين لى تحركات رفاقك الثلاثة فى اللعب؟» .

ولم تحتج السيدة لوريمير أى وقت للتفكير وقالت على الفور :«أعتقدت أنه من المحتمل أن تسألنى عن ذلك ، وكنت أحاول أن أحدد ذلك فى ذهنى. أنا نهضت مرة واحدة عن مقعدى ، وذهبت إلى المدفأة . كان السيد شيتانا لا يزال على قيد الحياة عندئذ ، وقلت له : «إنه من اللطيف أن يرى الإنسان مدفأة توقد بالأخشاب » . فقال باتل :«وهل قام بالرد على ملاحظتك هذه؟» فقالت :«رد بقوله إنه يكره الراديتيرات» ، وقال باتل :«هل سمع أى شخص حواركما؟» فقالت :«لا أعتقد ذلك . كان صوتى خفيضا حتى لا أزعج اللاعبين. وفى الحقيقة تستطيع أن تعتمد على أننى صادقة عندما أقول لك إن السيد شيتانا كان لا يزال على قيد الحياة عندما ذهبت إلى المدفأة وتحدثت إليه وتكلم معى» .

ومضى المفتش باتل دون مناقشة فى ذلك ليقول لها : «فى أى وقت كان ذلك؟» فقالت : «أعتقد أننا كنا نلعب منذ ساعة عندما نهضت وذهبت نحو المدفأة» .

قال باتل :«وماذا عن الأشخاص الآخرين :«أحضر لى الدكتور روبرتس مشروبا ، وأحضر لنفسه مشروبا ، وكان ذلك بعد فترة من إحضاره المشروب لى ، وأحضر الميجور ديسبارد لنفسه أيضا مشروبا ، وكان ذلك فى حوالى الساعة ١١,١٥ فيما أعتقد» ، فقال باتل :«مرة واحدة؟» فقالت :« لا . مرتان فيما أعتقد . الرجلان كان يتحركان بكثرة ، ولكننى لم أكن أراقب ما كان يفعله أى منهما عندما كان ينهض عن مقعده ، وغادرت الآنسة ميرديث مقعدها مرة واحدة فقط فيما أعتقد . ولفت حولنا لترى أوراق شريكها فى اللعب» . فقال باتل :«ولكنها كانت تدور فحسب حول منضدة اللعب؟» فقالت :«لا أستطيع أن أقول ذلك . ربما قد ذهبت بعيدا» . وأومأ باتل برأسه وغمغم قائلا : «هذه كلها أقوال قليلة الجدوى» . فقالت :«أنا آسفة» .

ومرة أخرى أخرج باتل أداة ارتكاب الجريمة وقال لها :«هل تتفضلين بالنظر إلى هذا ياسيدة لوريمير؟» وأمسكت به السيدة لوريمير فقال لها : «هل شاهدت هذا من قبل؟» فقالت :«لم أشاهده من قبل أبدا» فقال لها : «ومع ذلك كان موجودا فوق منضدة فى حجرة الاستقبال» . فقالت :«أنا لم ألحظه من قبل» . فقال لها :«لعلك تدركين يا سيدة لوريمير أنه بأداة مثل هذه الأداة تستطيع امرأة أن ترتكب مثل هذه الجريمة كالرجل تماما» .

فقالت بهدوء :«أعتقد أن أى امرأة بمثل هذه الأداة تستطيع ذلك» ومالت بجسمها للأمام وسلمتها إلى المفتش باتل الذى قال :«ولكن ، وفى الوقت نفسه يلزم أن تكون المرأة فى حالة بأس تام لكى تنتهز هذه الفرصة الصعبة» . وانتظر صامتا لا يتكلم لمدة دقيقة ولكن السيدة لوريمير لم تعلق على كلامه بأى كلمة ، فقال لها :«هل تعرفين أى شىء عن العلاقات بين الأشخاص الثلاثة والسيد شيتانا؟» فهزت رأسها وقالت :«لا شىء على الإطلاق» .

قال : «هل تتفضلين بأن تقولى لى أى الأشخاص الثلاثة يحتمل من وجهة نظرك أن يكون قد فعلها؟» واعتدلت السيدة لوريمير فى جلستها وقالت :«أنا لا أوافق على عمل من هذا النوع أبدا . وأنا أعتبر أن هذا سؤال غير مناسب على الإطلاق» .

وبدا المفتش كما لو كان طفلا صغيرا ارتكب خطأ تؤنبه من أجله جدته. وقال لها على الفور :«عنوانك من فضلك. فقالت :« تشين لين تشيلسى» . فقال :«ورقم التليفون؟» فقالت :«تشيلسى ٤٥٦٣٢» . ونهضت السيدة لوريمير وقال المفتش باتل: «هل يوجد شىء تريد أن تسألها عنه يا سيد بوارو؟» وتباطأت السيدة لوريمير فى الخروج فقال لها بوارو على الفور :«هل هو سؤال مناسب يا سيدتى أن أسألك رأيك فى زملائك فى اللعب ليس كقتلة ولكن كلاعبى بريدج» ؟ فقالت السيدة لوريمير : «ليس عندى اعتراض على إجابة هذا السؤال ، ذلك لو كان السؤال له أى علاقة بموضوع التحقيق . مع أننى لا أستطيع أن أجد أى علاقة ممكنة بين السؤال وموضوع التحقيق» . فقال لها بوارو :«أنا الذى أحكم على هذه العلاقة . هات إجابتك من فضلك يا سيدتى» .

وأجابت السيدة لوريمير فى لهجة الشخص الناضج الذى يتفاهم مع طفل صغير فقالت: «الميجور ديسبارد لاعب جيد لا عيب فى مستوى لعبه . الدكتور روبرتس كثير الصياح ولكنه يتصرف فى الورق الذى فى يده ببراعة. والآنسة ميرديث لاعبة صغيرة لطيفة ، ولكنها حذرة مترددة قليلا . هل تريدون شيئا أكثر من ذلك ؟»

وفاجأها بوارو بأن قَدَّمَ لها أربعة سجلات لأدوار اللعب وهو يقول لها : «هل أحد هذه السجلات يا سيدتى يخصك؟» وقامت السيدة لوريمير بفحصها على الفور ثم قالت :«هذا بخط يدى . إنه سجل للشوط الثالث» . فقال لها بوارو :«وهذا الشوط؟» فقالت :«من الضرورى أنه تسجيل بخط الميجور ديسبارد . إنه يجمع ويطرح فى كل مرة» . فقال بوارو : «وهذا الأخير هو دور الدكتور روبرتس؟» فقالت :«نعم» فقال لها بوارو :«أشكرك يا سيدتى. وأعتقد أن هذا هو كل ما يهمنا الآن» .

واستدارت السيدة لوريمير وقالت :«طاب مساؤك يا سيدة أوليڤر . طاب مساؤك يا كولونيل ريس» . وصافحت الجميع ثم خرجت .

الفصل السادس
القاتل الثالث ؟

* * * * *

وعلَّق باتل على الحوار مع السيدة لوريمير بقوله :«ألم تكن تستطيع أن تحصل منها على أى معلومات أخرى ؟ لقد أوقفتنى أنا عند حدى . إنها امرأة من النوع القديم ، تحترم الآخرين جدا ، ولكنها عدوانية مثل الشيطان! لا أستطيع أن أصدق أنها قد فعلتها ، ولكن لا أحد يستطيع أن يقطع برأى فى ذلك . لديها اعتداد كبير برأيها . ولكن ما الفكرة من سجلات أدوار اللعب يا بوارو؟»

ونشر بوارو سجلات أدوار اللعب على المنضدة وقال :«إن فيها شيئا من الدلالة ، ألا تعتقد ذلك؟ ماذا نريد فى هذه القضية ؟ إننا نريد مفتاحا لإحدى الشخصيات . هنا مفتاح لأربع شخصيات وليس لشخصية واحدة . ومن المحتمل أن نجدها هنا ، فى هذه العلامات المنمنمة . هذا هو الدور الأول . ها أنت ذا ترى أنه دور سهل . انتهى بسرعة علامات صغيرة جميلة. إضافات وخصومات مدونة بعناية . هذا السجل قامت بتدوينه الآنسة ميرديث. وهى كانت تلعب هذا الدور زميلة للسيدة لوريمير .كانت معهما الأوراق التى تحقق الفوز . وقد فازت .

«وفى ثانى دور ، ليس من السهل متابعة مجرد اللعب حيث إنه يعتمد فى تسجيله على الترحيل والخصم . ولكنه يدلنا على شىء يتصل بالميجور ديسبارد . إنه رجل يحب أن يعرف فى كل لحظة أين يقف بالضبط . والعلامات صغيرة وذات دلالة كبيرة .

«وثالث الأدوار هو الدور الذى قامت بتسجيله السيدة لوريمير . كانت هى والدكتور روبرتس ضد الاثنين الآخرين . سجال على نمط ملاحم هوميروس . العلامات تتوالى

ظهورها على الجانبين فى سباق وتتابع . مرة هنا مرة هناك . تبدأ من ناحية الدكتور ثم تبدأ فى النزول . وحيث إن كلا منهما يعتبر لاعبا ماهرا لا تهبط العلامات لدى كل منهما كثيرا .. وهناك فرصة لديها للنصر المزدوج . انظر إلى طريقة التسجيل هنا خط متقن ، رشيق ، واضح ، حاسم الدلالة .

«وهذا هو الدور الأخير ، الدور الذى لم يكتمل ، لقد جمعت دورا لكل واحد من الأربعة بخط يده كما ترى . وليس فى هذا الدور الرابع تسجيلات كبيرة كما ترى ربما لأن الدكتور كان يلعب زميلا للآنسة ميرديث التى لم توفر له فرصة كبيرة للكسب السريع. وكان صياحه أثناء اللعب يزيدها ارتباكا !

«ربما تعتقد أن الأسئلة التى وجهتها لهم عن مستواهم فى اللعب لا معنى لها . ولكن لها دلالة كبيرة فى نظرى . . أنا أريد التعرف على شخصية هؤلاء اللاعبين الأربعة . وعندما يكون السؤال عن مستوى المهارة فى لعبة البريدج فأنا أعتقد أن كل شخص ليس لديه مانع أن يتحدث عن الآخرين» .

قال المفتش باتل :«أنا لم أقل إن أسئلتك لا معنى لها يا سيد بوارو . لقد شاهدت كثيرا من إنجازاتك . ولكل شخص أساليبه فى العمل . أنا أعرف ذلك . إننى أعطى للمفتشين تحت قيادتى حرية التصرف فى القضايا التى تحت يد كل منهم ، ولكل منهم أن يختار الطريقة التى تناسبه فى العمل . المهم عندى هو الوصول إلى نتائج مفيدة . ومن الأفضل الآن أن نستدعى الفتاة للحضور هنا» .

كانت آن ميرديث مرتبكة . توقفت عن السير عند مدخل الحجرة . وكانت أنفاسها مضطربة .

وتصرف كبير المفتشين باتل على الفور تصرف أب حان . نهض وقدم لها أحد الكراسى لتجلس فى مكان لا يقع أمامه مباشرة ، وقال لها :«اجلسى يا آنسة ميرديث . اجلسى . والآن لا تفزعى ولا تخافى . أنا أعلم أن كل هذه الإجراءات تبدو مخيفة إلى حد ما ، ولكنها لا تنطوى على أى سوء فى الحقيقة قالت :«أنا لا أعتقد أن أى شىء يمكن أن يكون أسوأ منها.

إنها مرعبة ، مرعبة جدا . أنا أعتقد أن شخصا منا – شخصا منا–»

قال لها باتل :«دعينى أنا أفكر واستنتج ما يلزم استنتاجه . والآن يا آنسة ميرديث . نأخذ عنوانك أولا » فقالت :«ويندون كوتاج ، وولنجفورد» . فقال :«أليس لك عنوان فى المدينة ؟» فقالت :«لا . أنا أقيم فى النادى ليوم أو يومين» فقال لها :«والنادى الذى

تقيمين فيه؟» فقالت :«ليديز نيڤال آند ميليتارى» . فقال لها :«هذا حسن . والآن يا آنسة ميرديث : إلى أى حد كنت تعرفين السيد شيتانا معرفة وثيقة؟» فقالت : «لم أعرفه معرفة وثيقة على الإطلاق . كنت دائما أعتقد أنه رجل مخيف جدا» . فقال لها:«لماذا؟» فقالت: «أوه ، لقد كانت! ابتسامته مخيفة . والطريقة التى كان ينحنى بها عليك ليقول لك شيئا ، كان يبدو لى كما لو كان سيعضنى » . فقال : «هل كنت تعرفينه منذ وقت طويل؟» فقالت :«منذ حوالى تسعة شهور . قابلته فى سويسرا فى دورة الألعاب الشتوية» .

قال المفتش باتل مندهشا :«لم أكن أعتقد أبدا أنه كان يذهب إلى مثل هذه الألعاب الرياضية الشتوية» . فقالت :«كان يتزحلق على الجليد فقط . كان متزحلقا مدهشا فى براعته . كان يقوم بحركات وحيل كثيرة» . فقال باتل :«نعم ، هذا يتسق مع نمط شخصيته . وهل كنت تلتقين معه كثيرا بعد ذلك؟» فقالت :«حسنا . مرات قليلة . كان يطلبنى لحضور بعض الحفلات . وكانت الحفلات التى يدعونى إليها حفلات فيها كثير من المتعة» . فقال باتل :«ولكنك لم تكونى تحبينه هو شخصيا؟» فقالت :«لا . كنت أعتقد أنه نوع ملتو من الرجال» فقال لها :«ولكن لم يكن عندك أى سبب خاص للخوف منه؟» فرفعت آن ميرديث عينيها نحو عينى المفتش باتل وقالت :«سبب خاص ؟ أوه ، لا» .

قال المفتش باتل :«وهو كذلك . والآن بالنسبة لحفلة الليلة ، هل غادرت مقعدك على أى نحو؟» فقالت :«لا أعتقد ذلك . أوه ، نعم . ربما فعلت ذلك مرة واحدة . لقد درت حول المنضدة لأنظر فى أوراق الآخرين » . فقال باتل :«ولكنك ظللت موجودة حول المنضدة طوال الوقت؟» فقالت :«نعم» .

قال المفتش باتل :«هل أنت متأكدة من ذلك تماما يا آنسة ميرديث؟» فقالت : «لا. لا، أعتقد أننى مشيت بعيدا عنها ذات مرة» . فقال لها: «هذا صحيح . اعذرينى يا آنسة ميرديث ، ولكن حاولى أن تقولى الحقيقة . أنا أعرف أنك مضطربة الأعصاب . وعندما يكون الإنسان مضطرب الأعصاب يكون الإنسان ميالا إلى – حسنا ، قولى الحقيقة بالطريقة التى تعجبك . وفى النهاية تتضح كل الحقيقة . أنت قد ابتعدت أيضا عن منضدة اللعب . هل مشيت نحو السيد شيتانا؟»

وظلت الفتاة صامتة لمدة دقيقة ثم قالت :«بصدق ، بصدق ، أنا لا أتذكر» فقال باتل : «حسنا . ندع هذه النقطة حتى تستطيعى أن تتذكريها . هل تعرفين شيئا عن الثلاثة الآخرين ؟» وهزت الفتاة رأسها ، وقالت :«لم أشاهد أحدهم من قبل أبدا» . فقال باتل : «وما رأيك فيهم؟ هل يوجد احتمال أن يكون أحدهم هو القاتل؟» فقالت :«أنا لا أستطيع

أن أصدق أن يكون أحدهم هو القاتل .لا أستطيع أن أصدق هذا أبدا . يستحيل أن يكون القاتل هو ميچور ديسبارد ، ولا الدكتور ، الطبيب يستطيع أن يقتل أى شخص بطريقة أخرى أكثر سهولة باستخدام أحد العقاقير الطبية مثلا» .

قال المفتش باتل :«لو افترضنا أن أحد الثلاثة هو القاتل ، من تعتقدين أنه القاتل؟ هل هى السيدة لوريمير؟» فقالت :«أوه ، أنا لا أعتقد ذلك أبدا . أنا متأكدة أنها لا يمكن أن تقتل . إنها لطيفة جدا . وهى عطوفة جدا على زميلها الذى يلعب معها البريدچ . إنها هى نفسها لطيفة . وهى أيضا لا تجعل أى شخص يفقد أعصابه ، وهى أيضا لا تتعمد إظهار أخطاء الآخرين فى اللعب مثلا» . فقال لها باتل :«ومع كل هذا، نفيت الشبهة عن الآخرين واحدا بعد آخر ، ولم تحاولى رفع الشبهة عنها إلا فى المرحلة الأخيرة من كلامك؟» فقالت آن ميرديث :«ذلك لأن القتل بتوجيه طعنة إلى القتيل يبدو عملا من أعمال النساء» .

اندهش المفتش باتل وقال :«هذا فظيع! هل يجب علىّ أن أضع ما تقولينه فى اعتبارى؟» فقالت آن ميرديث :«أفضل أن تفعل ذلك» .

وراقب باتل ملامحها وهى تتأمل أداة الجريمة ، وسمعها تقول :«بهذا الشىء الصغير... بهذا الشىء ..» فقال باتل :«ينفذ كما لو كان ينفذ فى الزبد . يستطيع طفل أن يفعلها باستخدامه» . فقالت له :«أنت تقصد .. أنت تقصد .. إننى يمكن أن أكون قد فعلتها؟ ولكننى لم أفعلها ، أو ، لم أفعلها ، ولماذا أفعلها؟» فقال المفتش باتل :«هذا هو السؤال الذى نريد أن نعرف إجابته . ما الدافع؟ لماذا يريد أى شخص أن يقتل شيتانا؟ كان شيتانا شخصا يحب التظاهر بمظاهر معينة تروق له ، ولكنه لم يكن يشكل خطرا على أحد بقدر ما أعرف أنا» .

هل كان هنالك توقف خفيف فى أنفاسها ؟ هل كان هناك انتفاخ مفاجئ اعترى صدرها؟

واستمر باتل فى كلامه :«لم يكن يبتز أحدا من الناس مثلا أو أى شىء من هذا النوع . وعلى كل حال يا آنسة ميرديث ، لا يبدو أنك نوع من البنات اللاتى لديهن كمية كبيرة من الأسرار الإجرامية الخطيرة» .

واستطاعت الفتاة أن تبتسم للمرة الأولى منذ بدء المقابلة تحت تأثير هذه المجاملة الرقيقة التى جاءت فى وقتها ، وقالت :«لا . فى الحقيقة ، لا أسرار إجرامية عندى ، ليست عندى أسرار على الإطلاق» .

قال باتل :«إذن لا تنزعجى يا آنسة ميرديث عندما نأتى عندك ونسألك بضعة أسئلة كما أتوقع أن يحدث فيما بعد . إنها أمور روتينية» ونهض باتل واقفا وقال لها :«الآن تستطيعين أن تنصرفى . المساعد الذى يعمل معى سيحضر لك سيارة أجرة . ولا تنامى مستيقظة بسبب القلق . خذى حبتين من الأسبرين» .

ومشى معها إلى خارج الحجرة . وعندما عاد إلى الحجرة قال له الكولونيل ريس : «يا لك من كذاب حقيقى . إن مظهرك الأبوى يستحيل أن يتفوق عليك فيه أحد» . فقال باتل: «كثرة المراوغة معها لا تفيد يا كولونيل ريس . إما أن تكون البنت الصغيرة بريئة تماما، وفى هذه الحالة من القسوة التشدد معها وأنا لست رجلا قاسيا ، وإما أن تكون ممثلة قديرة من أفضل الطراز ، وفى هذه حالة لم يكن ينبغى أن نفزعها حتى لا تهرب قبل انقضاء الليل» .

وتثاءبت السيدة أوليڤر .. ثم قالت :«هل تعرفون؟ أنا أعتقد الآن إلى حد ما أنها قد فعلتها! من حسن حظها أن هذه الجريمة ليست مجرد رواية خيالية وإلا كنت جعلتها هى القاتلة . القراء فى حقيقة الأمر لا يحبون أن تكون فتاة شابة جميلة هى القاتلة . وعلى كل حال ، أنا أعتقد أنها قد فعلتها ! ماذا تعتقد يا سيد بوارو؟» فقال بوارو : «أنا ؟ أنا قد اكتشفت اكتشافا من الاكتشافات المهمة» . فقالت السيدة أوليڤر : «هل هو اكتشاف من خلال سجلات لعبة البريدج مرة أخرى؟» فقال بوارو : «نعم . إن الآنسة ميرديث تقلب الورقة التى كانت تسجل عليها نتائج اللعب فى دورها وترسم خطوطا على ظهر الورقة » . فقالت السيدة أوليڤر : «وماذا يعنيه ذلك؟» فقال بوارو : «هذا يعنى أن الآنسة ميرديث قد تعودت على حياة الفقراء أو أن تحولا اقتصاديا قد حدث فى عقلها» فقالت السيدة أوليڤر : «إنها ترتدى ملابس غالية الثمن» .

وعندئذ نادى كبير المفتشين باتل قائلا :«أرسلوا عندنا ميچور ديسبارد» .

✹ ✹ ✹ ✹

الفصل السابع

القاتل الرابع؟

* * * * *

دخل ديسبارد الحجرة بخطوات سريعة متميزة ، خطوات جعلت بوارو يتذكر شيئا ما أو يتذكر شخصا ما . وبادره باتل بقوله :«يؤسفنى أننى جعلتك تنتظر كل هذا الوقت، ولكننى أردت أن أجعل النساء ينصرفن بأسرع ما يمكن» فقال ديسبارد :«لا تعتذر . أنا مدرك لذلك» وجلس ونظر نحو المفتش باتل متسائلا فبادره بقوله :«منذ متى تعرف السيد شيتانا؟» فقال ديسبارد :«رأيته مرتين» فقال باتل :«مرتان فقط؟» فقال ديسبارد: «هذا هو كل ما هنالك» فقال باتل :«وما المناسبة فى كل منهما؟» فقال ديسبارد : «منذ حوالى شهر كنا نتناول الغداء فى أحد المنازل ، ثم دعانى إلى حفلة كوكتيل منذ أسبوع» . فقال باتل : «حفلة كوكتيل هنا؟» فقال ديسبارد : «نعم» فقال باتل : «وأين كانت هذه الحفلة؟ فى هذه الحجرة أم فى حجرة الاستقبال ؟» فقال ديسبارد : «فى كلتيهما» فقال باتل :«هل ترى هذا الشىء موضوعا هناك؟» وأخرج له باتل أداة القتل الحديدية الرفيعة المدببة . فقال ديسبارد :«لا . أنا لم أكن قد رأيت هذه الأداة فى تلك المناسبة لتكون جاهزة للاستخدام فى المستقبل» . فقال باتل :«لا حاجة بك إلى الرد على سؤال تستنبطه أنت من كلامى . أجب عن السؤال الذى أوجهه أنا بالفعل إليك فقط» . فقال ديسبارد :«معذرة ، ولكن الترابط بين ما قلته والسؤال الذى قفز إلى ذهنى ترابط قوى» .

وساد بينهما صمت قصير قطعه باتل بقوله :«هل عندك أى دافع يدفعك نحو كراهية السيد شيتانا؟» فقال ديسبارد :«عندى كل الدوافع التى تدفعنى نحو كراهيته» ففزع المفتش باتل وقال :«إيه؟» فقال ديسبارد :«دوافع تدفعنى نحو كراهيته وليست الدوافع التى تدفعنى إلى قتله ،ولكننى كنت أحب من كل قلبى أن أركله فقط بقدمى . ويا للأسى . لقد ضاعت فرصتى الآن» .

قال باتل :«ولماذا كنت تريد أن تركله يا سيادة الميچور ديسبارد؟» فقال ديسبارد : «لأنه كان نوعا من الدجالين الذين يستحقون أن يركلوا بشدة . لقد كان يجعل أصبع قدمى الكبيرة تتحرق شوقا إلى أن أركله» .

قال باتل :«هل تعرف شيئا عنه – عن التواء طباعه فيما أقصد؟» فقال ديسبارد : «كان يرتدى ملابس فاخرة جذابة جدا . كان يضع على رأسه شعرا طويلا جدا – وكانت رائحة العطر تفوح منه بشدة» .

قال باتل :«ومع ذلك فأنت قد قبلت دعوته للعشاء هنا؟» فقال ديسبارد: «لو كنت أتعشى فقط فى بيوت الناس الذين أحبهم لما تناولت العشاء خارج منزلى أبدا» . فقال باتل: «أنت تحب الاندماج فى المجتمع ، ولكنك تكره كثيرا من الناس؟» فقال ديسبارد :«أنا أحب الاندماج فى المجتمع لفترات قصيرة جدا . أحب أن أعود من رحلاتى إلى الأماكن المختلفة لأجد الحجرات الجيدة الإضاءة والنساء والملابس الجميلة وحفلات الرقص والطعام الجيد والضحكات الرنانة – نعم ، أنا أستمتع بذلك لبعض الوقت . وبعد قليل يصيبنى عدم الإخلاص بالغثيان ، وأريد أن أرحل بعيدا مرة أخرى» .

قال المفتش باتل :«هذا النوع من الحياة الذى تتجول فيه فى أماكن بعيدة موحشة نوع خطر يا ميچور ديسبارد» . وهز ديسبارد كتفيه وابتسم ابتسامة خفيفة ثم قال : «السيد شيتانا لم يعش حياة يكتنفها الخطر . ومات مقتولا . وأنا لا أزال على قيد الحياة!» فقال باتل : «ربما كان شيتانا يعيش حياة فيها مخاطر أكثر مما تعتقد» فقال ديسبارد :«ماذا تعنى؟» فقال باتل «لقد كان شيتانا من أكبر المتطفلين فى العالم» وعندئذ مال ديسبارد بجذعه إلى الأمام وقال :«هل تعنى أنه من خلال دس أنفه فى شئون الآخرين عرف سرا خطيرا ، ماذا عرف؟» .

قال باتل :«أنا فى الحقيقة أقصد أنه ربما كان نوعا من الرجال الذين يدسون أنوفهم فى شئون النساء مثلا» واعتدل ديسبارد فى مقعده وضحك واستمتع بالضحك فيما يبدو ثم قال: «أنا أعتقد أن النساء يستحيل أن يضعن فى اعتبارهن شخصا جامدا هامدا مثله» .

قال باتل :«ما نظريتك فى الشخص الذى يحتمل أن يكون قد قتله ياميچور ديسبارد؟» فقال ديسبارد :«حسنا ، أنا أعرف أننى لم أفعل ذلك . الآنسة ميرديث الشابة لم تفعل ذلك ولا أتخيل أن السيدة لوريمير تفعل ذلك . إنها تذكرنى بواحدة من خالاتى اللائى كن يخفن الله . وهذه التصورات تدع لك فقط الطبيب» .

قال باتل :«هل تستطيع أن تصف تحركاتك وتحركات الآخرين أثناء اللعب فى هذا

المساء؟» فقال ديسبارد :«أنا قمت من مجلسي مرتين . مرة لكي أحضر طفاية سجائر، وأطعم المدفأة – ومرة لكي أحضر مشروبا–» .

قال باتل :«في أي وقت كانت هذه التحركات؟» فقال ديسبارد :«أنا لا أستطيع أن أقول. كانت أول مرة في حوالي الساعة العاشرة والنصف . وكانت المرة الثانية في الساعة الحادية عشرة . ولكن هذا بمجرد التخمين . وذهبت السيدة لوريمير إلى المدفأة مرة واحدة وقالت شيئا ما للسيد شيتانا . لم أسمعه بالفعل يرد عليها ، ولكنني لم أعر ذلك أي انتباه آنذاك . لا أستطيع أن أقسم أنه لم يرد عليها . وكانت الآنسة ميرديث تتجول قليلا في الحجرة ، ولكنني لا أعتقد أنها اقتربت من المدفأة . وكان الدكتور روبرتس يقفز هنا وهناك ثلاث أو أربع مرات على الأقل» .

قال باتل :«أنا سأوجه لك سؤالا يفضله السيد بوارو : ما رأيك فيهم باعتبار أنهم ممن يلعبون البريدج؟» فقال :«الآنسة ميرديث لاعبة جيدة . روبرتس يلعب بيديه بطريقة غير سائغة . إنه يستحق أن يخسر أكثر مما يخسر. والسيدة لوريمير تكسب ببراعة» .

والتفت باتل نحو بوارو وقال :«هل هنالك شيء آخر؟» فهز بوارو رأسه نَفْيًا. وأعطاهم ديسبارد عنوانه ، وتمنى لهم ليلة سعيدة ، وغادر الحجرة .

وبينما كان ديسبارد يغلق الباب وراءه قال باتل :«ما هذا؟» فقال بوارو : «لا شيء. كل ما في الأمر أنه قد خطر في ذهني أنه يمشي مثل النمر – نعم ، مثل النمر – هذا سهل . هل يمشي النمر بعيدا؟» .

ونظر باتل في وجوههم هم الثلاثة من حوله وقال :«هَمْ! والآن بناء على كل هذا. من منهم فعلها؟» .

* * * *

الفصل الثامن

من منهم ..؟

* * * * *

أخذ باتل ينظر إلى وجههم وجها فوجها . ولم يحظ إلا بشخص واحد يتصدى للإجابة. اندفعت السيدة أوليفر تقول : «البنت أو الطبيب» .

واستمر باتل ينظر نظرات مفعمة بالتساؤل يتجه بها مرة نحو بوارو ويتجه بها مرة أخرى نحو الكولونيل ريس . وهز ريس رأسه . وكان بوارو لا يزال يرتب وينمق ويساوى أطراف أوراق تسجيل الأدوار بعناية شديدة دون أن يتكلم كلمة واحدة . ولما طال انتظار باتل اضطر ألا يكتفى بنظراته المتسائلة فانفجر قائلا :«أحدهم فعلها . أحدهم يكذب مثل جهنم . ولكن ، من منهم؟ ليس ذلك سهلا . لا . ليس ذلك سهلا» وسكت دقيقة أو دقيقتين ثم قال :«لو كان لنا أن نأخذ بأقوالهم فالطبيب يعتقد أن ديسبارد فعلها ، وديسبارد يعتقد أن الطبيب فعلها ، والبنت تعتقد أن السيدة لوريمير فعلتها ، والسيدة لوريمير لا تسمح لها أخلاقها أن تتهم أحدا . لا شيء ينبعث منه أى ضوء» .

وعندئذ قال بوارو :«ربما لا» فقال باتل وهو يتحول بنظره نحو بوارو بسرعة :«هل تعتقد أنه يوجد أى بصيص من الضوء؟» وأشاح بوارو بيده ، فقال باتل :«شعاع واه جدا ، لا أريد أكثر من ذلك! لا شيء يفى بالغرض؟» .

وبعد قليل قال باتل :«أنتما أيها السيدان ، ألا تقولا لى فيم يفكر كل منكما؟» فقال ريس باقتضاب :«ليس عندى دليل ضد أى شخص» وصاحت السيدة أوليفر تقول :«آه منكم أيها الرجال!» .

قال باتل :«دعونا نتأمل كل الاحتمالات الممكنة» . وأخذ يفكر لمدة دقيقة ثم قال : أنا أتجه إلى الطبيب أولا . أعتقد أنه من نوع الناس الذين لديهم خبرة كافية تمكنه من وضع

الخنجر فى المكان المناسب للقتل الفورى . ولا شىء أكثر من ذلك يدعم هذا الاحتمال . ولنتأمل احتمال أن يكون ديسبارد هو الذى فعلها . إنه رجل أعصابه أقوى ما تكون الأعصاب . رجل تعود على اتخاذ القرارت السريعة ، وهو رجل تعود أن يعيش عند رجوعه إلى موطنه حياة صاخبة حافلة بالمغامرة . ماذا عن السيدة لوريمير؟ لديها أعصاب قوية أيضا. وهى امرأة يجوز أن يكون فى حياتها سر خطير . تبدو كما لو كانت قد قاست كثيرا من المتاعب وفى الوقت نفسه أستطيع القول إنها امرأة تتمسك بالمبادئ السليمة للتصرف والسلوك إنها تصلح أن تكون ناظرة لمدرسة متوسطة للبنات ، وليس من السهل أن يتصور أحد أنها تسمح لنفسها أن تطعن أى شخص بسكين حادة طعنة قاتلة . أنا فى حقيقة الأمر لا أستطيع أن أتصور أنها قد فعلتها . وأخيرا ، عندنا الآنسة ميرديث الصغيرة . لا نعرف عنها أى شىء . تبدو حسنة المظهر بوجه عام . بنت خجولة إلى حد ما . ولكننى كما سبق القول لا أعرف أى شىء عنها» .

قال بوارو :«نحن نعرف أن شيتانا كان يعرف أنها قد ارتكبت جريمة قتل من قبل» . وشفعت السيدة أوليفر هذه الملاحظة بقولها :«الوجه الملائكى مجرد قناع للشيطان» وقال ريس :«هل تصل بنا مثل هذه الملاحظات إلى أى نتيجة يا باتل ؟» فقال له باتل :«هل أنت تعتقد أنها مجرد ظنون يا سيدى . حسنا . فى هذه القضية متسع لكل الظنون» فقال ريس :«أليس من الأفضل أن نحاول أن نعرف أية حقائق عن أولئك الناس ؟» فقال باتل :«أوه ، بطبيعة الحال سيكون جل عملنا مركزا فى هذا الاتجاه . ونرجو أن تنفعنا فى ذلك » . فقال ريس :«لا مانع عندى بكل تأكيد . ولكن ، كيف؟» فقال باتل :«فيما يتعلق بشأن ديسبارد على وجه الخصوص . لقد سافر إلى الخارج كثيرا – سافر إلى أقطار مختلفة فى أمريكا الجنوبية وفى شرق وجنوب إفريقيا . وأنت قد سافرت إلى هذه البلاد . وربما تستطيع أن تعثر لنا على معلومات عن حياته فى هذه البلاد قدر الإمكان» .

وأومأ ريس برأسه وقال :«سيتم ذلك على أحسن وجه . لى أصدقاء فى هذه البلاد. سأحصل على معلومات وفيرة» .

وصاحت السيدة أوليفر تقول :«أوه ، عندى خطة رائعة . نحن أربعة أشخاص . أربعة مخبرين كما تقولون . وهم أربعة قتلة! كيف يكون الحال لو تعهد كل واحد منا بواحد منهم . الكولونيل ريس يأخذ الميجور ديسبارد . وكبير المفتشين باتل يأخذ الدكتور روبرتس . وأتكفل أنا بالبنت آن ميرديث . والسيد بوارو يتولى شأن السيدة لوريمير . كل منا يمشى فى خطة وتلتقى الخطوط بعد ذلك فى خط واحد!» .

وهز باتل رأسه وقال :«لا نستطيع أن نفعل ذلك تماما يا سيدة أوليڤر . أنت تدركين أن هذا عمل رسمى ، وأنا مسئول عنه كله . وبالإضافة إلى قد لا يكون الاستمرار فى متابعة أى خط مجديا . ربما يقنط الكولونيل ريس من متابعة أخبار الميجور ديسبارد ولا يجد أى جدوى فى ذلك . وربما لا يحب السيد بوارو أن يضع كل نقوده على مائدة السيدة لوريمير» : فقالت السيدة أوليڤر :«لقد كانت خطة جيدة فى غاية الأناقة . ولكنكم لا تحبون أن أقوم بعمل بعض التحريات بمعرفتى ، أليس كذلك؟» فقال باتل ببطء شديد :«لا ... أنا لا أستطيع أن أرفض جهودك العظيمة . وفى حقيقة الأمر لا أستطيع ذلك . يستطيع أى مواطن ، رجل أو امرأة أن يدلى إلينا بأى أقوال تفيد العدالة ، وحيث إنك قد حضرت حفلة الليلة تستطيعين أن تتصرفى بمطلق حريتك الشخصية وعلى مسئوليتك الخاصة كما تريدين. ولكننى أرى أن من واجبى يا سيدة أوليڤر أن أنبه عليك بضرورة الحذر فى الاقتراب من مكان الخطر دون استعداد كاف لمواجهته ، وأنت لا تملكين بمفردك ما يكفل حمايتك وأمنك الشخصى» . فقالت السيدة أوليڤر :«هذا هو الحذر بعينه . أنا لن أتنفس بكلمة واحدة عن أى شيء» .

قال بوارو :«أنا لا أعتقد أن هذا هو بالضبط ما كان يقصده كبير المفتشين باتل . إنه يقصد أنك تريدين أن تتعاملى مع شخص قتل مرتين . وهو شخص – بناء على ذلك – لن يتردد فى أن يقتل مرة ثالثة لو وجد أن ذلك ضرورياً حتى لا تكتشف جرائم القتل السابقة التى ارتكبها» .

ونظرت السيدة أوليڤر نحوه ثم ابتسمت ابتسامة لطيفة كابتسامة طفل برئ ثم قالت: «لقد أنذرت وحذرت . أشكرك يا سيد بوارو . سأكون حذرة فى كل خطوة . ولكننى لن أكون خارج هذه القضية» .

وانحنى لها بوارو برشاقة وقال لها :«اسمحى لى يا سيدتى أن أقول لك أنك تتمتعين بروح رياضية نموذجية» .

واعتدلت السيدة أوليڤر فى جلستها كما لو كانت رئيسة مجلس إدارة شركة وتريد أن تعلن قرارات مهمة وقالت :«أنا أفترض أن كل المعلومات التى يتوصل أحدنا إليها سيتم تجميعها . وغير مسموح لأى شخص منا أن يخفى أى معلومة أو أى حقيقة عن الآخرين . ولكن من حق أى شخص منا أن يحتفظ لنفسه بتصوراته الخاصة واستنتاجاته الخاصة ومشاعره الخاصة إزاء التطورات المختلفة أو الأحداث التى ربما تجد وتحدث فى المستقبل» .

وتنهد باتل وقال :«ليست هذه قصة بوليسية يا سيدة أوليڤر» . وقال ريس :«من الطبيعى

أن كل المعلومات يلزم تسليمها إلى الشرطة» . ثم غمز بعينه وقال :«أنا متأكد أنك ستلعبين دون أى خداع يا سيدة أوليڤر . وأنا أعتقد أنك ستحضرين كل الأدلة المادية وتقومين بتسليمها لكبير المفتشين باتل» . فقالت السيدة أوليڤر :«أنت يجوز لك أن تضحك الآن ، ولكن الحدس النسائى–» وهزت رأسها فى قوة وحسم .

ونهض ريس واقفا وهو يقول :«سأتتبع أخبار ديسبارد من أجلك . ربما يستغرق ذلك بعض الوقت . هل أستطيع أن أقوم بأى عمل آخر؟» فقال باتل :«شكرا ونتمنى أن نؤدى نحن لك أى خدمة» فقال ريس :«أنت رجل طيب يا باتل . طاب مساؤكم جميعا» . ثم انصرف الكولونيل ريس وقالت السيدة أوليڤر :«من هو؟» فقال باتل :«ضابط من ضباط الجيش الممتازين . سافر إلى بلاد كثيرة» . فقالت السيدة أوليڤر :«أنا أعتقد أنه يعمل فى المخابرات السرية الآن – وأنت لا تستطيع أن تصرح لى بذلك بطبيعة الحال ، وعلى كل حال لقد عرفت الليلة أشياء كثيرة تهمنى. قتلة ومخبرون سريون – سكوتلانديارد – خدمات سرية خاصة – روائية – فكرة بارعة» .

وهز بوارو رأسه وقال :«أنت مخطئة يا سيدتى . ليست فكرة بارعة . لقد انزعج النمر – ولقد قفز النمر» . فقالت :«النمر؟ لماذا النمر؟» فقال بوارو :«أنا أقصد بالنمر أنه القاتل» .

قال باتل :«ما فكرتك أنت عن الخط الذى يحسن أن نسير فيه يا سيد بوارو؟ هذا سؤال واحد . وأحب أن أسألك عن سيكولوجية هؤلاء الأشخاص الأربعة . أنت تركز على هذا الجانب فيما يبدو لى» .

قال بوارو وهو لا يزال يرتب أوراق تسجيل نتائج اللعب :«أنت على صواب . الجوانب النفسية مهمة جدا . نحن نعرف نوع قضية القتل التى تم ارتكابها ونقوم بدراستها . ونحن نعرف الطريقة التى تمت بها الجريمة . ولو كان لدينا شخص نعرف من خلال دراسته النفسية أنه لا يستطيع أن يرتكب هذا النوع من الجريمة فنحن نستطيع إذن أن نستبعد هذا الشخص من القضية ونسقط شأنه فى حساباتها .

«نحن نعرف شيئا ما عن كل من هؤلاء الناس . وعندنا انطباع خاص عن كل منهم . نحن نعرف الخط الذى يسير فيه كل منهم فى ممارسة حياته . ونحن نعرف عقلية كل منهم ونعرف نمط شخصية كل منهم وذلك من كل الوسائل والوسائط المتاحة لنا مثل تسجيل مجريات اللعب ونوعية خط يد كل منهم عندما جاء دوره فى تسجيل نتائجه بكل دور من أدوار اللعب . ولكن للأسف الشديد ! كل ما هو متاح لنا الآن لا يكفى لكى يمكننا من إصدار أحكام واضحة حاسمة محددة . إن جريمة القتل هذه تتطلب سرعة بديهة وقوة

أعصاب – لدى شخص لديه استعداد ولديه دافع قوى للمخاطرة .

«حسنا ، لدينا الدكتور روبرتس – شخص لديه قدرة كبيرة على الخداع – يلجأ كثيرا إلى استخدام يده – رجل لديه ثقة تامة فى قدراته ، وتمكنه هذه الثقة التامة فى قدراته من الإقدام على المخاطرة . وتكوينه النفسى ملائم تماما للإقدام على ارتكاب جريمة .

«وفى ضوء هذه المواصفات ذاتها يمكن لأى شخص أن يقول إنها تستبعد من دائرة الشك على الفور شخصا آخر يفتقر إليها بشدة مثل الآنسة آن ميرديث . إنها شابة صغيرة السن خجولة ، ترتعد وتخاف من استخدام يدها ، ويتسم سلوكها بالحذر الشديد ، وهى تهتم باقتصاديات الحياة ، وهى متعقلة مترددة تفتقر إلى الثقة بالنفس . وهى آخر شخص يمكن أن يتصور أحد أنها تقدم على تنفيذ مثل هذه الضربة الدموية الجريئة القاتلة . ولكن الشخص الضعيف الخائف المتردد يمكن أن يرتكب جريمة قتل بسبب شدة الخوف إن مثل هذا الشخص العصبى الذى يقع فى براثن خوف شديد من شىء ما يمكن أن يقع أيضا فى براثن اليأس من إمكانية استمرار الحياة مع مصدر الخوف . إنه يشبه فى هذه الحالة فأرة مرعوبة تحت محاصرتها فى ركن من أركان السفينة ليكون سلوكها بأقصى قوة وبأقصى اندفاع من الشعور باليأس والقهر وانعدام الوعى . ولو كانت الآنسة آن ميرديث قد ارتكبت جريمة قتل فى الماضى ، ولو كانت تعتقد أن السيد شيتانا كان يعرف الظروف المحيطة بتلك الجريمة وأنه على وشك أن يسلمها إلى العدالة فهى ستتحول إلى إنسانة متوحشة بسبب شدة الرعب الذى تقاسى منه . لن يكون لديها شىء تبقى عليه لإنقاذها . ونصل هنا أيضا إلى نفس النتيجة على الرغم من أننا قد وصلنا إلى نفس النتيجة من طريق عكسى . فرط الذكاء والقوة وبرود الأعصاب لدى الدكتور روبرتس يقابله شدة الضعف والتردد مع فرط الخوف والرعب واليأس لدى الآنسة آن ميرديث . والنتيجة فى الحالتين واحدة وهى إمكانية الإقدام على ارتكاب الجريمة .

«ولنأخذ أيضا الميجور ديسبارد فى اعتبارنا : إنه بارد الأعصاب ، جرئ ، يقدم على توجيه ضربة قوية لو كان يعلم أنها مفيدة وضرورية . يستطيع أن يحسب النتائج جيدا لينتهز فرصة وجود أى خط موات لضربته ولا يتردد عندئذ فى أن يضربها . وهو رجل من النمط الذى يفضل الإقدام على الفعل مفضلا للفعل على اللافعل . وهو رجل لا يجفل ولا يخاف من أن يمشى فى طريق محفوف بالخطر مادام يعتقد أن لديه فرصة للنجاح فى الوصول إلى هدفه . إنه يقبل المشى دون تردد .

«وعندنا أخيرا السيدة لوريمير . امرأة متقدمة فى السِّنّ ، ولكنها امرأة سيطرتها كاملة

على مداركها وعلى قواها العقلية . امرأة هادئة الأعصاب . امرأة لها مخ رياضى تجيد الحسابات وتستطيع حسم الموازنات العقلية بين شتى الاختيارات بسهولة وبسرعة فائقة . وهى دائما حاضرة البديهة . إنها تمتلك أفضل مخ من بين الأمخاخ الأربعة . وأنا أعترف أنه لو كانت السيدة لوريمير قد ارتكبت هذه الجريمة فنحن إذن بصدد جريمة ذات إعداد مسبق محكم وليست جريمة تلقائية وليدة الصدفة . إننى أستطيع أن أتخيلها وهى تعد لارتكاب الجريمة ببطء وحذر وعناية ، وتتأكد فى كل خطوة من عدم وجود أى خطأ فى الخطة . ولهذه الأسباب يبدو لى أن من المستبعد أن تكون هى التى ارتكبت هذه الجريمة التى تبدو جريمة غير سابقة الإعداد . وهى على كل حال الشخصية الوحيدة الأكثر سيطرة على قواها بين الأشخاص الأربعة ، ومهما يكن ما أرادته فهى قد نفذته دون أن ترتكب أى خطأ . إنها امرأة تمتاز بكفاءة عالية» .

وتوقف بوارو عن الكلام برهة من الوقت ثم قال :«وهكذا فأنت ترى أن هذا الذى لدينا عن هؤلاء الأشخاص الأربعة لا يكفى أبدا لتحديد شخص واحد منهم لنقول إنه هو الذى فعلها . كل واحد من الأشخاص الأربعة يمكن لاعتبارات قوية أن يكون قد فعلها . هذه هى الصعوبة فى القضية . ولا يوجد أمامنا إلا طريقة واحدة يا صديقى لمواجهة هذه القضية. يلزم أن نعود إلى الماضى» .

قال باتل :«لقد قلت أنت الآن الخلاصة المفيدة» . فقال بوارو :«من وجهة نظر المرحوم شيتانا ، كان كل شخص من هؤلاء الأشخاص الأربعة قاتلا ، ولذلك قد دعاهم إلى هذه الحفلة . كان قد قال لى ذلك . كان قد قال لى إنه لا يهتم بجرائم القتل ولكنه يهتم بالقتلة وأنه يدعونى إلى حفلة عشاء تضم مجموعة من القتلة بين المدعوين . وكنت قد قلت له إن هذه لعبة خطرة ولكنه ضحك وحدد لى موعدا لحضور حفلة العشاء . ولكن ، هل كان لدى المرحوم شيتانا دليل على ارتكابهم لجرائم القتل؟ أم أنه كان يكتفى فى ذلك بالتخمين فقط؟ نحن لا نستطيع أن نجزم برأى فى هذه المسألة . مات شيتانا . وانطوت أسرار كثيرة يلزم أن نكتشفها . وأعتقد أنه من المستحيل أن يكون لديه دليل اتهام حاسم ضد كل من الأربعة» .

قال باتل :«أنا أتفق معك فى ذلك وإلا كانت معرفته بالدليل الذى يدين كل واحد من الأربعة مع إفلاتهم من العدالة مصادفة شاذة» .

قال بوارو :«أنا أعتقد أن الأمور قد سارت فى هذا المسار : ذكر شيتانا أو ألمح فى كلامه إلى جريمة قتل معينة غير معروفة للسلطات. وحدق السيد شيتانا فى وجه شخص معين وهو

يلمح إلى هذه الجريمة . كان شيتانا يستخدم هذه التلميحات بسرعة كبيرة ، وكان يجد متعة كبيرة عندما كان يتسلى بهذه المداعبات الخطيرة . كان يحلو له أن يجرب أثر وَقْع كلامه على وجه المستمع إليه أثناء المحادثة البريئة العادية التى يحشوها شيتانا فجأة بواحدة من تلميحاته السريعة المغرضة . ويكون شيتانا فى كامل اليقظة لكى يلحظ أى انفعال يعلو وجه محدثه أو أى عبارة ينطق بها عرضا بطريقة عفوية وكان شيتانا يتوقع سماعها أو أى علامات للضيق والرغبة المتعمدة فى تغيير موضوع المحادثة . هذا أسلوب سهل ، وكان شيتانا يهواه ويجيد استخدامه إلى حد كبير . ولو كنت تشك فى وجود سر مُعيَّن يكتمه شخص مُعيَّن ، فليس هناك أسهل من أن تستدرجه إلى الكلام بطريقة غير مباشرة لتستطيع من خلال كلامه وملامحه أن تتحقق من صحة شكوكك أو عدم صحتها لو كنت تهتم بذلك» .

قال باتل :«نعم ، كانت هذه هى اللعبة المفضلة لدى صديقنا شيتانا» .

قال بوارو :«نحن نستطيع أن نفترض بناء على ذلك أن الأمور قد سارت هذا المسار بالنسبة لواحد من الأشخاص الأربعة . ربما كان شيتانا قد أشار إلى وجود دليل على جريمة ارتكبها أحدهم واستطرد فى التلميح إلى وجود هذا الدليل . وأنا أشك فى أنه كانت لديه معرفة كاملة بحيث كان يستطيع أن يتقدم بها إلى الشرطة . كان يظن فقط ، وكان يرجح فقط ، ولم يكن لديه دليل كامل الحجية حاسم الدلالة ، وكان يريد أن يتأكد» .

قال باتل :«وربما لم تكن المسألة ترقى إلى حد أن تكون قضية ، يكفى وجود عمل فاضح تورط فيه أحدهم . نحن فى كثير من الأحيان يصل إلى علمنا مخالفات ضد القانون ولكن يستحيل إثباتها .وعلى كل حال ، هذا المسار الذى يمكن أن تكون قد سارت فيه أحداث هذه القضية معقول جدا وواضح جدا . ويتعين علينا بناء على ذلك أن نقلب فى سجلات أولئك الأشخاص ونترقب وجود أى حالات وفاة فى أى ظروف غير عادية . أنا أعتقد أنك قد لاحظت كما لاحظ الكولونيل ريس ما قاله شيتانا أثناء تناولنا العشاء عنده» .

وتمتمت السيدة أوليفر تقول :«آه ، الشيطان الأسود» . فقال باتل : «كانت هذه إشارة مهذبة من شيتانا إلى القتل باستخدام السم أو إشارة منه إلى حادث أودى بحياة شخص ثم بدا كما لو كان قضاء وقدرا . وقد أشار شيتانا كذلك إلى وجود فرص عديدة لدى الأطباء لكى يقتلوا ، كما أشار إلى الأخطاء أثناء ممارسة الصيد . أنا أعتقد أنه كان قد كتب شهادة وفاته وهو يذكر هذه الأشياء» فقالت السيدة أوليفر :«لقد توقف شيتانا عن الكلام نهائيا وبطريقة بشعة قذرة» .

قال بوارو :«نعم ، هذه الكلمات شقت طريقها إلى أذن وعقل شخص منهم على

الأقل– وربما اعتقد ذلك الشخص أن شيتانا كان يعرف أكثر مما صرح به ، واعتقد أنها مجرد مقدمة لنهايته ، وربما اعتقد أيضا أن الحفلة كلها كانت متعمدة قام شيتانا بترتيبها لتكون مناسبة لإعلان إدانته وتوجيه الاتهام إليه ليكون القبض عليه كقاتل هو تتويج الحفلة ومسك الختام فيها وذروة التسلية والإثارة التى أعدها شيتانا لضيوفه وعلى رأسهم كبير مفتش الشرطة ! نعم ، لقد قلت الحقيقة بعينها عندما قلت إن شيتانا قد كتب شهادة وفاته عندما نطق بتلك التلميحات متحديا بها مشاعر شخص من ضيوفه» .

وساد الصمت برهة من الوقت ثم قال باتل :«ستكون أمامنا مهمة عمل طويلة! إننا لن نستطيع أن نكتشف كل شيء فى لحظة – ويلزم أن نكون على حذر تام دائما . ولاينبغى أن ندع أى شخص من أولئك الأشخاص الأربعة يحس أننا نقصده هو بالذات بشكوكنا واشتباهنا فى أنه هو القاتل . وكل استفسارنا يلزم أن يبدو موجها نحو هذه القضية وليس نحو قضايا سابقة. ويلزم أن يشعر كل واحد منهم أننا نسعى لنفى الشبهات عنه وليس لإثبات التهمة ضده قدر الإمكان . ويلزم التظاهر دائما بأنه ليس لدينا أى إلمام بوجود الدافع إلى ارتكاب هذه الجريمة لدى أى شخص منهم . يجب أن يبدو عملنا كما لو كنا نفحص سجلات أربعة أشخاص وليس شخصا واحدا بعينه منهم حتى يظن كل منهم أن غيره هو المقصود فى تحرياتنا» .

قال بوارو :«لم يكن صديقنا شيتانا يتوخى كل هذا الحذر ، ودفع ثمن إهماله الحذر . وكانت هذه هى غلطته الأخيرة» .

قال باتل :«هل أخطأ بالنسبة لكل الأشخاص الأربعة؟» فقال بوارو :«لا . لقد كان أذكى من أن يفعل ذلك» . فقال باتل :«بالنسبة لنصف عددهم؟» فقال بوارو :«ولا حتى نصف عددهم . يمكن القول إنه واحد من أربعة» . فقال باتل :«واحد برئ وثلاثة مذنبون؟ هذا شأن بالغ السوء . وأسوأ ما فى الأمر هو أننا حتى لو حصلنا على الحقيقة فمن الجائز ألا تكون مفيدة ، وربما يكون أحدهم قد دفع جدته على درجات السلم فأودى بحياتها فى سنة ١٩١٢ وهو مالا قيمة له فى سنة ١٩٣٧» .

فقال بوارو :«نعم ، نعم ، سيكون ذلك مفيدا لنا . أنت تعرف ذلك . أنت تعرف ذلك كما أعرفه أنا» . فقال بوارو :«أعرف ما تقصده . لو عرفنا مثل هذه الحقيقة تتضح لنا ماركة القاتل .

قالت السيدة أوليڤر :«هل تقصد أننا سنكتشف أن أحدهم كان قد ارتكب جريمة قتل بطعنة قاتلة فى الماضى ولم يتم اكتشافه كقاتل؟» فقال باتل :«ليس التطابق التام هكذا

شرطا ضروريا يا سيدة أوليڤر . ولكننى أعتقد أن النمط سيكون نفس النمط ، ربما توجد بعض التعديلات حسب الظروف ، ولكن النمط فى التخطيط ليس من السهل تغييره. هذا شيء مطرد الحدوث فى عالم الجريمة ، وهو شيء غريب ، ولكنه يكشف عن المجرم فى كثير من الأحيان» . وقال بوارو :«الإنسان حيوان مبتكر . ونمط الجرائم المتكررة عندما يكون مبتكرا يشبه العلامة المسجلة للمجرم الذى يرتكبها» .

قالت السيدة أوليڤر :«النساء لديهن القدرة على الابتكار والتغيير فى مبتكراتهن . أنا لن أرتكب جريمة قتل أخرى بنفس الطريقة التى ارتكبت بها جريمة قتل سابقة» . فقال لها باتل :«ألم تكتبى روايتين بوليسيتين على أساس خطة واحدة؟» فقال بوارو : «حدث ذلك فى «جريمة قتل لوتس» . وحدث أيضا فى رواية «سرُّ كاندلْ وَاَكْسْ» فقالت السيدة أوليڤر وقد اتسعت حدقتا عينيها وهى تنظر نحو بوارو :«هذه مهارةَ منك. هذه حقيقة مهارة منك . خطة تأليف هاتين الروايتين واحدة ولم يلحظ أحد غيرك هذه الملاحظة» .

قال باتل :«لقد استمتعت بقراءة الرواية الأخيرة يا سيدة أوليڤر» فقالت السيدة أوليڤر : «هذه الرواية الأخيرة توحى إلىَّ بوجود احتمال مهم . ألا يجوز ألا يكون أى شخص من الأشخاص الأربعة قد قتله؟ ألا يحتمل أن يكون قد انتحر وطعن نفسه بيده كمجرد نكتة من نكاته السخيفة التى كان مغرما بها؟» .

وهز بوارو رأسه مرحبا بالفكرة وقال :«هذا حل مدهش للقضية . حل سهل وبسيط ، ولكن للأسف الشديد ، كان السيد شيتانا طرازا آخر من الرجال . لم يكن السيد شيتانا من النوع الذى يحب الانتحار . كان السيد شيتانا يحب الحياة» .

قالت السيدة أوليڤر :«أنا فى حقيقة الأمر لا أعتقد أنه كان رجلا لطيفا» . فقال بوارو : «لم يكن لطيفا ، ولكنه كان على قيد الحياة- والآن مات مقتولا . ولقد كنت أنا قد قلت له ذات مرة إن لى موقفا بورجوازيا من جرائم القتل ، فقال لى بالحرف الواحد :«أنت تهتم بجرائم القتل بطريقتك البورجوازية وتسعى إلى الإمساك بالقتلة وأنا مغرم بالقتلة أنفسهم وليس بجرائم القتل وهكذا – أنا مستعد أن أدخل فى قفص النمور» والتهمه نمر من النمور المفترسة» .

✸ ✸ ✸ ✸

الفصل التاسع
الدكتور روبرتس

* * * * *

نهض الدكتور روبرتس عن مقعده ، وقدم قطعة من الصابون الوردى اللون يفوح منها عطر قوى إلى كبير المفتشين باتل وهو يقول له :«صباح الخير يا سعادة كبير المفتشين باتل، كيف الحال ، وكيف تسير الأمور؟» .

وألقى باتل نظرة حوله وتفحص محتويات الحجرة التى يستقبل فيها الدكتور روبرتس مرضاه ثم قال :«حسنا يا دكتور روبرتس ، لو تكلمت بصراحة لقلت إن الأمور لم تتحرك إطلاقا . إنها واقفة فى مكانها» .

قال الدكتور روبرتس :«لم تكتب الصحف عن تلك الجريمة شيئا يذكر. ويسرنى ذلك . كتبت إحدى الصحف عنوانا يقول : موت مفاجئ للسيد شيتانا المشهور فى حفلة مسائية بمنزله . ولقد احتفظت بهذا التحقيق الصحفى . أظن أنه يهمك» . فقال باتل :«هذا كرم كبير منك . إنه مفيد – نعم ، إنه رائع جدا» . وأعاد إليه الصحيفة وهو يقول :«قرأته من قبل . وأجرينا مقابلة مع محامى السيد شيتانا . نعرف الآن شروط وصيته . لا شىء يهم فيها. له أقارب فى سوريا فيما يبدو . وطبعا فحصنا كل أوراقه الخاصة» .

فقال الدكتور روبرتس :«وبعد ذلك؟» فقال باتل :«لا شىء» وبدا على وجه الطبيب شىء من الارتياح وقال :«ولذلك جئت عندى وأنت تظن أنك ربما تجد شيئا؟» فقال باتل:«ولذلك جئت إليك بالضبط كما تقول» وارتفع حاجبا الطبيب قليلا ، ونظر فى عينى باتل ثم قال : «وأنت تريد أن تفحص أوراقى الخاصة بى أنا؟» فقال باتل :«هذه هى فكرتى» فقال الطبيب :«هل حصلت على تصريح بالتفتيش؟» فقال باتل :«لا» فقال الطبيب:«حسنا. أنت تستطيع أن تحصل على تصريح بالتفتيش بسهولة جدا فيما أعتقد . وأنا لن أضع فى طريقك أى عراقيل من جانبى . ليس مما يسر الخاطر أن يكون الإنسان مشتبها فى جريمة قتل ، ولكننى أعتقد أنه يجوز لى أن أوجه لك أى لوم فى ذلك لأنه من

الواضح أن هذه هى واجبات عملك » فقال باتل :«أشكرك يا سيدى . أنا متفهم جدا لموقفك الكريم معى . وأنا آمل أن يكون الآخرون كرماء متعقلين متفهمين لطبيعة عملنا مثلك .إنه مجرد شكليات عملنا كما تعرف ولابد من أن نستكملها مهما كانت قناعتنا بعدم جدواها» .

قال الدكتور روبرتس :«ما لا يمكن علاجه يلزم تَحَمُّله . لقد انتهيت من استقبال المرضى فى عيادتى هنا . وكنت على وشك أن أخرج للمرور على مرضى المنازل . سأترك لك المفاتيح الخاصة بكل شيء هنا . وأحب أن أقول كلمة لسكرتيرتى وتستطيع بعد ذلك أن تريح قلبك من ناحيتى» . فقال باتل: «كل هذا لطيف يسر الخاطر منك يا دكتور روبرتس . أنا متأكد من ذلك . وأنا أحب أن أوجه لك بعض أسئلة قليلة قبل أن تخرج لعيادة مرضى المنازل» .

قال الدكتور روبرتس :«عن ليلة الأمس؟ قلت لك كل ما أعرفه» فقال باتل : «ليس عن ليلة الأمس بل عن شخصك أنت» فقال الطبيب «حسنا يا رجل . سل ما بدا بك . ماذا تريد أن تعرف؟» فقال باتل :«أنا أريد رسما تخطيطيا لك كطبيب يا دكتور روبرتس : ميلادك – زواجك–أولادك – دخلك الشهرى أو السنوى – مدخراتك وأشياء من هذا القبيل» .

قال الدكتور روبرتس :«ستطبق شعار «من هو هو؟» تاريخى فى المهنة تاريخ واضح المعالم. أنا رجل من شوبشاير . وُلدت فى لودلو . كان والدى يعمل فى عيادته الطبية هناك. مات وأنا فى الخامسة عشرة من عمرى ، وتعلمت فى مدرسة فى شروز بيرى . ثم تعلمت الطب لأكون مثل والدى ، وأنا تخرجت من كلية الطب فى سانت كريستوفر ، وستجد كل شهاداتى الطبية متضمنة كل التفاصيل عندما ستفحص أوراقى فيما أعتقد» فقال باتل:«تحريت عنك فى سجل الأطباء . هل كنت أنت الطفل الوحيد لوالديك أم كان لك إخوة وأخوات؟»

* قال الدكتور روبرتس :«كنت أنا الابن الوحيد . مات أبى . وماتت أمى . أنا غير متزوج. هل تفيدك هذه المعلومات؟ شاركت فى هذه العيادة مع الدكتور إمرى . وتقاعد الدكتور إمرى عن العمل منذ خمسة عشر عاما وترك لى وحدى العيادة بعد أن تفاهمنا على ذلك ، وهو يعيش الآن فى إيرلندا . سأعطيك عنوانه لو شئت ذلك . أنا أعيش هنا مع طباخ وخادمة غير مقيمة هنا وخادمة مقيمة كمديرة للمنزل . وسكرتيرتى تحضر من مسكنها إلى العيادة كل يوم . دخلى لا بأس به . وأنا أقبل عددا معقولا من المرضى. كيف ترى هذه المعلومات؟»

قال باتل :«هذا مفهوم ومعقول جدا ولا بأس به يا دكتور روبرتس . ويسرني أن لديك روح الفكاهة . والآن سأسألك عن شيء واحد» فقال الطبيب :«أنا رجل أخلاقيات ملتزم كل الالتزام يا سعادة المفتش» فقال باتل :«أوه ، لا شك عندى فى ذلك ، ولم أقصد المعنى السيئ الذى تبادر إلى ذهنك ، لا ، أنا كنت سأسألك ما إذا كنت تستطيع أن تعطينى اسم أربعة من أصدقائك يعرفونك معرفة وثيقة منذ بضع سنوات . هذا هو ما نعتبره فى عملنا نوع من المرجعية أعتقد أنه لصالحك ، وهو ضرورى لنا فى عملنا هذا. أعتقد أنك تفهم الآن ما أقصده بالضبط» فقال الطبيب : «آه ، عرفت الآن. دعنى أفكر . أنت تفضل أناسا موجودين بالفعل فى لندن الآن؟» فقال باتل: «هذا يجعل الأمور أكثر سهولة ، ولكن لا يهم لو لم يكونوا فى لندن ذاتها» .

وأخذ الطبيب يفكر لمدة دقيقة أو دقيقتين ، ثم أمسك بالقلم وكتب أسماء وكتب بعض العناوين على قطعة من الورق ودفعها عبر المكتب نحو المفتش باتل ، وهو يقول : «هل يكفى هؤلاء؟ إنهم أشخاص وردت أسماؤهم فى ذهنى فى الوقت الراهن» وقرأ باتل لنفسه الأسماء والعناوين ثم طوى الورقة ودسها فى جيب معطفه الداخلى ، وقال: «هذا فقط إجراء لإبراء ساحة شخص . وعندما أستطيع إبراء ساحة شخص نصرف النظر عنه وننصرف إلى الآخرين . وهذا من صالح كل من يهمه الأمر . إننى أحاول أن أتأكد مثلا أنه لم تكن بينك وبين المرحوم شيتانا أية ضغائن ، أو أنك لم يكن لك معه أى تعاملات مالية أو من أى نوع ، أو أنك لم يلحقك منه أى أذى أو ضرر فى أى وقت مضى . أنا يجوز لى شخصيا أن أصدقك عندما تقول لى إن معرفتك به كانت معرفة طفيفة . ولكن المسألة لا تتوقف على ما أعتقده أنا شخصيا . يلزمنى أن أقول إننى قد تأكدت من خلال كذا وكذا وكذا أن أحد الاحتمالات مستحيل ويلزم بناء على ذلك استبعاده تماما» .

قال الدكتور روبرتس :«أوه ، أنا متفهم لهذا تماما ، يتعين عليك أن تفترض أن كل شخص يكذب حتى يثبت أنه كان صادقا . هاك المفاتيح الخاصة بى هنا يا سيادة المفتش . هذا لأدراج المكتب . وهذا المفتاح الصغير لخزينة السموم . تأكد أنك قد أغلقتها بعد تفتيشها . ربما يلزمنى الآن فقط أن أتكلم مع سكرتيرتى بضع كلمات فى حضورك» .

وضغط الدكتور روبرتس على أحد الأزرار فى مكتبه . وفى الحال فُتح البابُ ودخلت امرأة نشيطة وقالت :«هل استدعيتنى يا دكتور؟» فقال الطبيب :«هذه هى الآنسة بيرجس يا سيادة المفتش وهذا هو كبير المفتشين باتل من إدارة سكوتلانديارد يا آنسة بيرجس» .

ونظرت الآنسة بيرجس ببرود ودهشة وتساؤل نحو باتل كما لو كانت تقول فى نفسها : «ياله من وحش فى صورة رجل!» وقال لها الطبيب :«سيسرنى يا آنسة بيرجس لو أنك

تجيبين عن كل الأسئلة لكبير المفتشين باتل . وقدمى له كل مساعدة يطلبها» فقالت الآنسة بيرجس :«بالتأكيد مادمت قد أمرتنى بذلك يا دكتور» . فقال الطبيب وهو ينهض واقفا :«سأخرج . هل وضعت الأدوات اللازمة فى حقيبتى . سأحتاج أشياء معينة تعرفينها لحالة مرض فى القلب . هل هى فى الحقيبة؟» فقالت :«نعم ، يا دكتور» . وخرج الطبيب وخرجت وراءه سكرتيرته . وعادت بعد دقيقة أو دقيقتين وقالت : «هل ستتفضل بدق الجرس عندما تريدنى كما يفعل الطبيب يا سيادة كبير المفتشين باتل؟» وشكرها باتل وقال إنه سيفعل ذلك عندما يريدها . ثم شرع فى العمل .

كان تفتيشه تفتيشا دقيقا ومنهجيا وذلك على الرغم من أنه لم تكن لديه أى آمال فى أن يجد شيئا مهما . كانت استجابة الدكتور روبرتس السهلة السريعة للتفتيش توحى له أنه لن يجد شيئا مهما . لم يكن روبرتس رجلا مغفلا . لقد كان يدرك أن تفتيشا دقيقا لعيادته ولمسكنه ولأوراقه أمرا محتمل الوقوع فى أى لحظة بعد مقتل شيتانا ، ولابد أنه قد احتاط لذلك فى أقرب فرصة سنحت له . وكان لدى باتل أمل ضئيل فى أن الطبيب يجوز أن يكون قد نسى شيئا له أى دلالة حيث إنه لا يعرف أن الهدف من التفتيش ينصب أساسا على جريمة سابقة وليس على قضية مقتل شيتانا فحسب .

فتح كبير المفتشين باتل وأغلق كل الأدراج ، ومد يده بداخل كل الفتحات فى أبراج الحمام أى أنه لم يدع مكانا صغيرا أو كبيرا إلا وفتشه بدقه تامة . وفحص أيضا دفتر شيكات الدكتور روبرتس وراجع تفاصيل حركات السحب من البنك . وفحص الفواتير غير المدفوعة ونوعية كل فاتورة . وفحص سجل المرضى الذين جاءوا إلى العيادة من قبل ولم يدع أى ورقة موجودة دون أن يلم بمحتواها . وكانت الحصيلة بالغة الضآلة . وألقى نظرة سريعة داخل دولاب المواد السامة . راجع أسماء شركات الأدوية التى تعاملت مع الطبيب . ولم يحصل على أى شىء مفيد . وهز رأسه يأسا وجلس على كرسى الدكتور روبرتس وضغط الجرس . وظهرت الآنسة بيرجس على الفور .

وطلب منها باتل أن تتفضل بالجلوس ، وأخذ يتأملها ويفكر كيف يتعامل معها ولاحظ على الفور أنها تتخذ موقفا غير ودى من مهمته وقارن بين أن يتعامل معها بخشونة تزيد من حدة موقفها العدائى أم يتعامل معها بطريقة لطيفة . وبعد قليل قال لها :«أنا أعتقد أنك تعرفين لماذا كل هذا العناء الذى أتجشمه يا آنسة بيرجس؟» فقالت :«نعم . الدكتور روبرتس أخبرنى بالموضوع» . فقال :«الموضوع كله تافه ومجرد إجراء شكلى أنا مكلف أن أقوم به» . فقالت :«هل الموضوع هكذا؟» فقال :«عمل سخيف ليس له أى داع ، ولكنهم يريدون منى استيفاء الشكليات . أربعة أشخاص كانوا موجودين فى مكان الجريمة ، ارتكبها

أحدهم، ويصرون على دراسة موقف كل منهم . ما أريد أن أعرفه منك هو : هل سبق لك رؤية هذا الرجل الذى اسمه شيتانا؟» فقالت :«لم أره أبدا . لا. انتظر . سمعت عنه فقط . منذ حوالى أسبوع أخبرنى الدكتور أن أضع فى مواعيده حفلة عشاء مع السيد شيتانا فى الساعة ٨,١٥ مساء يوم ١٨ من الشهر الجارى» فقال: «وكانت هذه هى أول مرة تسمعين فيها اسم شيتانا؟» فقالت : «نعم» فقال لها : «ولم تشاهدى اسمه فى الصحف ؟ تذكر الصحف اسمه كثيرا فى هذه الأيام» . فقالت : «عندى أشياء كثيرة أعملها أفضل من قراءة الصحف بغير فائدة» فقال :«أنا متأكد أنك تطالعين الصحف أحيانا . حسنا ،هكذا الشأن دائما . يقول كل من الأشخاص الأربعة أنهم يعرفون شيتانا معرفة ضئيلة . ولكن لم يعرفه أحدهم معرفة تكفى لقتله . ومهمتى هى أن أعرف أى شخص من الأربعة هو الذى قتله» .

وتوقف الكلام برهة . وبدا على ملامح وجه الآنسة بيرجس عدم رغبتها فى مساعدة باتل فى إجابة هذا السؤال الصعب كما لو كانت ملامح وجهها تقول له : وما دخلى أنا فى ذلك ؟ هذا عملك ، وعملى أنا هو أن أطيع أوامر الطبيب الذى أعمل معه ليعطينى أجرى كل أسبوع . وعلى كل حال كان الطبيب قد أوصاها أن تجيب عن أى أسئلة يوجهها إليها كبير المفتشين بصدق فى حدود ما تعرفه .

وقال المفتش باتل :«أنت تعرفين يا آنسة بيرجس صعوبات عملى فى هذا الموضوع. يقول الناس بعض الكلام ، ونحن لا نصدق كل الكلام الذى يقوله الناس لنا ولكننا يلزم أن ندرس وأن نتحقق من صحة أى كلام يصل إلينا . أنا ليس لى موقف عدائى من النساء ولكن الملاحظ هو أن أى امرأة عندما يصيبها أى ضرر لا تتردد فى أن تقول أى كلام عن الأشخاص الآخرين وتلقى على أى شخص سبب لها أى ضرر باللائمة مع شىء من المبالغة دائما . إنها تحاول عمل فضيحة لهذا الشخص وتحاول أن تسىء إلى سمعته وربما تكون هناك مبالغات فى ذلك»

قالت الآنسة بيرجس :«هل تقصد أن واحدة من أولئك النساء كانت تقول أشياء ضد الدكتور روبرتس؟» فقال باتل :«هى لم تقل شيئا محددا . تكلمت عن مجرد شكوك حول وفاة مريض . ربما كان ذلك مجرد كلام فارغ . ولقد خجلت أن أتكلم بشأن هذا الموضوع مع الدكتور روبرتس» .

قالت الآنسة بيرجس :«أعتقد أن امرأة قد أمسكت بتلابيب حكاية عن السيدة جريفز . إن الطريقة التى يتكلم بها الناس عن موضوعات لا يعرفون تفاصيلها طريقة خاطئة ومشينة . كثير من السيدات المتقدمات فى السن يفعلن ذلك . إنهن يعتقدن أن كل الأطباء يعمدون

إلى دس السم لهن عن طريق الدواء الذى يوصونهن بتناوله بالتواطؤ مع ورثتهن . لقد كانت السيدة جريڤز تتعامل مع ثلاثة أطباء قبل أن تأتى إلى عيادة الدكتور روبرتس . وبعد قليل طغت عليها نفس التخيلات التى كانت تتخيلها عن الأطباء الثلاثة السابقين ، ولذلك أوصاها ألا تأتى إليه وأن تذهب عند الدكتور ليلاند . وذهبت إليه ثم ذهبت عند الدكتور ستيل ثم ذهبت عند الدكتور فارمر ثم ماتت المسكينة وماتت شكوكها معها» .

قال باتل :«أنت تندهشين من كيفية أن تبدأ قصة طويلة من مسألة تافهة. وعندما يستفيد طبيب من وصية مريض –لأن بعض المرضى يوصون لأطبائهم بشىء من المال بعد وفاتهم – تبدأ القصص فى الانتشار وتبدأ الشائعات فى الازدهار ، ومع ذلك لماذا لا توصى مريضة متقدمة فى السن كانت تشعر بالرضا والامتنان للطبيب الذى كان يعالجها بشىء قليل أو حتى شىء كثير من المال؟» .

قالت الآنسة بيرجس :«إنهم أقاربها . أنا دائما أعتقد أنه ليس هناك شىء يكشف وضاعة أطماع البشر أكثر من الموت . بعد الموت تبدأ صراعات الأحياء حول ما يأخذه كل منهم من ثروة الميت قبل أن تبرد جثته . ومن حسن الحظ أن الدكتور روبرتس لم يصادف أى متاعب من هذا النوع . وهو دائما يقول أنه يأمل ألا يوصى له أى مريض بأى شىء من تركته بعد موت المريض . أنا أتذكر أنه حصل فقط على خمسين جنيها وحصل أيضا على زوج من العصى للمشى وعلى ساعة ذهبية فقط» .

قال باتل وهو يتنهد :«حياة أى رجل يمارس أى مهنة حياة شاقة . إنه معرض دائما لابتزاز الجهد منه . وبعض الأحداث التى تقع بكل نية حسنة تتحول أحيانا إلى فضائح. وعلى الطبيب دائما أن يجعل عينيه فى وسط رأسه» .

قالت الآنسة بيرجس : «كثير مما تقوله صحيح . يجد الأطباء دائما أوقاتًا صعبة وعصيبة مع السيدات المخرفات» .

قال باتل :«نعم . سيدات مخرفات . هذا صحيح . أنا أعتقد أن هذه هى خلاصة الموضوع» فقالت الآنسة بيرجس : «أنا أعتقد أنك تقصد السيدة كرادوك الفظيعة ؟» وتظاهر باتل أنه يفكر ثم قال :«دعينى أتذكر . هل كان ذلك منذ ثلاثة أعوام؟ لا ، ربما أكثر ؟» فقالت :«أربعة أعوام أو خمسة أعوام فيما أعتقد . كانت أكثر النساء من حيث عدم الاتزان! لقد شعرت بالسرور عندما سافرت خارج البلاد وكذلك شعر الدكتور روبرتس بالسرور لذلك . كانت تقول لزوجها حكايات فظيعة كاذبة . النساء يفعلن ذلك دائما لكى يجعلن أزواجهن يعتقدون أنهن جميلات يتمتعن بكثير من الجاذبية ويرغب فيهن كل الرجال الآخرين . وكان الرجل يخرج عن طوره ويصدق كل ما كانت تقوله له زوجته من

الأكاذيب . ومرض . ومات محموما» فقال باتل : «كنت قد نسيت هذه التفاصيل» . فقالت الآنسة بيرجس : «ثم ماتت هى نفسها خارج البلاد بعد قليل . ولكننى أعتقد أنها كانت امرأة سيئة وكان زوجها رجلا مجنونا . أنت تعرف ذلك» فقال باتل: «أعرف هذا النوع من الناس . إنه نوع خطر جدا . ويتعين على الطبيب أن يكون صبورا جدا معهم . أين ماتت تلك المرأة كرادوك فى الخارج؟ أنا لا أتذكر بالضبط!» فقالت الآنسة بيرجس : «ماتت فى مصر» .

قال باتل : «ومن صعوبات عمل الطبيب أيضا أن يرتاب فى أن أحد أقارب مرضاه قد قام بتسميم المريض لسبب أو لآخر . ماذا يفعل الطبيب؟ يقول الحقيقة فيمكن العدالة من إطباق يدها على رقبة المجرم أم يدع المجرم يفلت من العقاب؟ يطلق لسانه أم يمسك لسانه؟ وأنا أسأل ما إذا كانت حالة من هذه الحالات قد صادفت الدكتور روبرتس؟» فقالت الآنسة برجس: «فى الحقيقة أنا لا أعرف . أنا لم أسمع عن شىء أبدا من هذا النوع» .

قال باتل :«كم حالة وفاة تحدث لمرضى يعالجهم الدكتور روبرتس كل عام؟» فقالت : «سبع حالات كل عام» فقال باتل : «سبعة فقط ، حسنا . كم حالة وفاة حدثت فى سنوات عمله بالطب؟» فقالت: «من الصعب فى حقيقة الأمر أن أقول . طوال خدمتى فى العيادة هنا – سبعة – ثمانية – حوالى ثلاثين حالة» فقال باتل :«أنا أعتقد إذن أن الدكتور روبرتس أحسن بكثير من غيره . وأنا أعتقد أن مرضاه من الطبقة العليا فى المجتمع الذين يستطيعون أن يدفعوا فى سبيل العناية بأحوالهم الصحية » فقال: «هو طبيب مشهور جدا . إنه ممتاز فى تشخيص المرض . وتشخيص المرض هو أساس العلاج الصحيح» .

ونهض باتل واقفا على قدميه وهو يقول :«يؤسفنى أن أجد بعض الزملاء يرتابون فى أن للدكتور روبرتس أى علاقة بذلك السيد شيتانا . هل أنت متأكدة أنه لم يكن أبدا ممن يعالجهم الدكتور روبرتس؟» فقالت :«أنا متأكدة من ذلك تماما» فقال لها باتل وهو يعطيها صورة شيتانا :« ربما كان ذلك تحت اسم آخر؟» ونظرت الآنسة بيرجس فى صورة شيتانا وقالت: «ياله من شخصية مسرحية . يصلح للقيام بالأدوار الشريرة . لا، لم أره أبدا فى حياتى» .

قال باتل :«حسنا . أنا شاكر جدا للدكتور روبرتس لأنه أرضانى فى كل شىء . أبلغيه ذلك على لسانى . هل ستفعلين ذلك؟ قولى له إننى سأذهب للشخص رقم (٢) . وداعا يا آنسة بيرجس . أشكرك لمساعدتك لى قدر الإمكان» . ومشى كبير المفتشين باتل فى الشارع وأخرج من جيبه مفكرة وكتب فى صفحة تحت حرف الراء ما يلى :

– السيدة جريفز؟ غير محتمل .

- السيدة كرادوك؟
- حالات ميراث - تافهة .
- لا زوجة - شيء يدعو للرثاء .
- حالات وفاة مريبة - صعب .

وأغلق باتل مفكرته ثم اتجه نحو أحد فروع بنك لانكاستر جيت & ويسكس بنك وأبرز بطاقة شخصيته ووصل بسرعة إلى مكتب مدير البنك وقال له :«صباح الخير يا سيدى .أنا أعرف أن أحد عملاء البنك هو الدكتور جيوفرى روبرتس» فقال المدير : «هذا صحيح يا سيادة المفتش» فقال باتل : «سأحتاج بعض المعلومات عن حسابه فى البنك بالرجوع إلى بضع سنوات مضت» فقال مدير البنك :«سنرى ما يمكن أن نجده» .

وأخذ باتل يتصفح أوراق البنك التى قدموها له لمدة نصف ساعة ثم أخرج قلمه وأخذ يدون بعض الأرقام والكلمات بجوار الأرقام . وسأله مدير البنك :«هل وجدت ما تريد العثور عليه؟» فقال باتل :«لا ، لم أجد شيئا. لم أجد معلومة واحدة ذات قيمة . أشكرك على كل حال» .

وفى الوقت نفسه كان الدكتور روبرتس قد عاد إلى عيادته وقال للآنسة بيرجس وهو يغسل يديه :«ماذا عن رجل المباحث العتيد؟ هل قلب المكان رأسا على عقب وقلب كل ما بداخلك إلى الخارج؟» فقالت الآنسة بيرجس :«أنا أستطيع أن أقول لك إنه لم يحصل منى على شيء يذكر» فقال لها :«يابنتى العزيزة لا حاجة تدعوك إلى التكتم كالنعامة التى تخفى رأسها فى الرمال . أنا قلت لك أخبريه عن كل شيء يسألك عنه .على فكرة ، ماذا كان يريد أن يعرف؟»

قالت الآنسة بيرجس :«كان متلهفا أن يعرف مدى معرفتك بالرجل شيتانا ، لدرجة أنه سألنى ما إذا كان يأتى إلى العيادة كمريض ولو باسم مستعار وأطلعنى على صورته . صورة لشخص يصلح ممثلا لأدوار الشر فى المسرح» .

قال الدكتور روبرتس :«شيتانا؟ أوه ، نعم ، كان مغرما أن يبدو مثل الشيطان فى صورة عصرية . سارت الأمور سيرا حسنا على وجه العموم . عن أى شيء آخر تطرقت أسئلته؟» فقالت :«لم تتطرق أسئلته إلى أشياء كثيرة . فيما عدا أنه قال إن شخصا قد أخبره بعض الكلام الفارغ عن السيدة جريفز . أنت تعرف طريقتها» فقال الطبيب : «جريفز؟ جريفز؟ أوه ، نعم ، السيدة جريفز العجوزة! شيء مضحك!»

وضحك الطبيب ، وقال :«هذا ظريف فعلا» ثم ذهب لتناول الغداء فى حالة معنوية جيدة.

الفصل العاشر
الدكتور روبرتس أيضا

* * * * *

كان كبير المفتشين باتل يتناول الغداء مع هركيول بوارو ، وكانت الحالة النفسية للأول متردية وكان الآخر يحاول رفع معنوياته فقال بوارو :«أنت لم توفق إذن فى العثور على أى شىء مهم فى النصف الأول من هذا النهار؟» فقال باتل وهو يهز رأسه نفيا :«يبدو أن العمل فى هذه القضية سيكون أصعب من صعود جبل عال لم يصل إلى قمته أحد من قبل يا سيد بوارو» . فقال بوارو :«ما رأيك الإجمالى الآن فيه؟» فقال باتل :«فى الدكتور؟ حسنا ، بصراحة ، أعتقد أن شيتانا كان على صواب عندما دعاه إلى حفلة العشاء ضمن القتلة . إنه قاتل . إنه يجعلنى أتذكر وتستأواى وبذلك المحامى فى نورفولك أيضا . نفس الجسارة وثبات الأعصاب والثقة بالنفس . وفى الوقت نفسه ، وبالنسبة لقضية شيتانا بالذات لا يبدو أن الطبيب قد ارتكبها . قاتل؟ ربما - قضية شيتانا؟ غير محتمل . كان يعرف كم المخاطرة فى ذلك جيدا إذ إن شيتانا كان يجوز أن يطلق ولو صيحة واحدة . لا ، أنا لا أعتقد أن روبرتس هو الذى قتله» .

قال بوارو :«ولكنك تعتقد أنه كان قد قتل شخصا آخر من قبل؟» فقال باتل :«من الممكن أن يكون قتل عددا كبيرا من الناس . ولكن من الصعب العثور على شىء ضده يمكن الركون إليه . لقد فحصت حسابه فى البنك أيضا ولم أجد شيئا يدعو إلى الشك . لم أجد مبالغ مالية كبيرة قد أضيفت فجأة فى حسابه بالبنك . وهو لم يحصل على أى ميراث من أى مريض طوال السنوات السبع الماضية . وكل هذه الاعتبارات تنفى عنه شبهات ارتكاب أى جريمة قتل من أجل الحصول على المال . لم يتزوج أبدا حتى يشك أحد فى أنه قد قتل زوجته التى ضاق بها ذرعا بطريقة غامضة . وهو ميسور الحال ويدير عيادة بنجاح بين الطبقة الغنية من المجتمع» .

قال بوارو :«في الحقيقة يبدو وكأنه يعيش حياة لاعيب فيها ، وربما كان كذلك بالفعل» فقال باتل :«هذا يجوز ولكننى أشعر أننى يجب أن أفترض أسوأ الافتراضات بالنسبة له . توجد شبهة فضيحة علاقة نسائية مع واحدة من مرضاه اسمها كرادوك . وهذه المسألة تستحق الفحص والتدقيق فيما أعتقد . سأكلف رجلا بهذه المهمة فورا . لقد ماتت هذه المرأة فعلا فى مصر . ولا شبهة عندى بالنسبة لموتها . ولكن مات زوجها فجأة قبل وفاتها . هذه المسألة ربما تعطى إيضاحا لنوعية شخصيته وأخلاقياته بوجه عام» .

قال بوارو:«وفاة زوجها فجأة قبل وفاتها مسألة تحتاج إلى التدقيق فعلا . ما السبب فى موته؟» فقال باتل :«مات بسبب نوع من الحمى» . «انثراكس» فقال بوارو :«هذا نوع مناسب جدا من أنواع المرض» فقال باتل: «هذا هو ما أظنه أنا أيضا . لو كان زوجها قد عمد إلى إثارة فضيحة تتصل بأخلاقيات مهنة الطبيب لكانت المسألة تستحق عناء البحث . ولكن هذا مجرد ظن . لا توجد ساق واحدة نستند إليها» فقال بوارو :«تجلد ياصديقى . أنا أعرف أنك شجاع مثابر . وفى النهاية لن تجد ساقا واحدة تستند إليها بل ستجد مئات السيقان» . قال باتل :«هذه مشكلة أيضا لأنه سيكون من الصعب اختيار الساق التى يمكن الاستناد إليها! ماذا بشأنك أنت يا سيد بوارو؟ هل ستساعدنى؟»

قال بوارو :«أنا أيضا ربما أزور الدكتور روبرتس .» فقال باتل :«هل يزوره اثنان منا فى يوم واحد؟ سيشعر أن العاصفة تهب عليه!» فقال بوارو :«أوه ، أنا سأكون حريصا جدا . لن أقلب صفحات الماضى» فقال باتل متلهفا : «أريد أن أعرف فقط الخط الذى ستمشى عليه معه . ولا تقل لى شيئا عنه إذا لم تكن ترغب فى ذلك الآن» فقال بوارو :«لا مانع فى ذلك أبدا . أنا سأستخدم قنطرة صغيرة» فقال باتل :«مفهوم جدا . مفهوم جدا . قنطرة صغيرة مرة أخرى؟!» فقال بوارو :«أنا أجدها مفيدة جدا» فقال باتل: «حسنا ، لكل رجل طريقته . أنا لا أفهم هذه الأساليب فى الاقتراب . إنها لا تلائم أسلوبى فى العمل» فقال بوارو :«وما أسلوبك فى العمل؟» وقابل باتل غمزة عين بوارو بغمزة عين منه ثم قال : «قنطرة كبيرة . إن ضابطا كبيرا مثلى يعمل بأسلوب نظيف لاتسعه قنطرة صغيرة بل يستخدم قنطرة كبيرة» .

وقال باتل :«آمل أن يوافينا الكولونيل ريس بشىء يستحق الذكر عن ديسبارد . إن عنده مصادر كثيرة للمعلومات» فقال بوارو :«والسيدة أوليڤر؟» فقال باتل :«أنا معجب بهذه المرأة. إنها بارعة فى الكلام الفارغ ، ولكنها تمتاز بروح رياضية . والنساء يستطعن أن يعرفن

معلومات عن النساء أفضل مما يستطيع الرجال أن يحصلوا عليه. ربما تقع ولو بالصدفة على شيء نافع».

فرغا من تناول الغداء ومضى كل إلى غايته . ذهب كبير المفتشين إلى إدارة سكوتلانديارد ليعطى بعض التكليفات والأوامر إلى بعض مرؤوسيه ، وذهب بوارو إلى عيادة الدكتور روبرتس فى جلوسستر تراس .

ورفع الدكتور روبرتس حاجبيه من الدهشة وهو يحيي ضيفه الجديد ، وقال : «اثنان من أكابر رجال الشرطة يصلان عندى فى يوم واحد؟! سيوضع القيد الحديدى فى يدى قبل نهاية اليوم!» فقال بوارو :«أنا أستطيع أن أؤكد لك يا دكتور روبرتس أن شكوكى موزعة على الجميع بالتساوى» .

قال الدكتور روبرتس :«هذا شيء تشكر عليه على كل حال . هل تدخن ؟» فقال بوارو: «أرجو أن تسامحنى . أنا أفضل استخدام سجائرى الخاصة بى» وأشعل بوارو سيجارة روسية الصنع من سجائره الخاصة به .

قال الدكتور روبرتس :«ماذا أستطيع أن أفعل ؟» وظل بوارو صامتا برهة طويلة ثم قال :«هل أنت دقيق الملاحظة فيما يتعلق بالطبيعة البشرية يادكتور؟» فقال الطبيب : «لا أعرف . أعتقد أننى دقيق الملاحظة . من الضرورى أن يكون كل طبيب دقيق الملاحظة» .

قال بوارو :«هذه بالضبط هى وجهة نظرى . لقد قلت لنفسى إن الطبيب يلاحظ ويفحص دائما مرضاه ويدرس كل شيء عنهم . يدرس ملامحهم ، يدرس لون بشرتهم ، يدرس سرعة وكيفية تنفسهم ، يدرس أى شيء يدل على عدم الانتظام فى حركاتهم وسكناتهم ، الطبيب يدرس كل شيء يتعلق بالمريض الذى يفحصه بطريقة تلقائية دون أن يلاحظ أنه يلاحظ! وقلت فى نفسى إن الدكتور روبرتس هو الرجل الذى يستطيع أن يساعدنى» .

قال الدكتور روبرتس :«أنا مستعد تماما لأى مساعدة . ما المشكلة ؟»

وأخرج بوارو من حافظته ثلاث أوراق من أوراق تسجيل نتائج أدوار لعبة البريدج مطوية بعناية ثم قال :«هذه هى الأدوار الثلاثة الأولى فى ذلك المساء. هذا هو الدور الأول بخط يد الآنسة آن ميرديث . والآن ، هل تستطيع أن تقول لى بالضبط كيف كانت حالة كل منهم أثناء التسجيل وأثناء اللعب ؟ أرجو أن تنشط ذاكرتك؟»

وحملق الدكتور روبرتس فى وجه بوارو مندهشا ثم قال :«أنت تمزح ياسيد بوارو . كيف أستطيع أن أتذكر؟» .

قال بوارو :«ألا تستطيع ذلك؟ سأكون ممتنا جدا لو استطعت أن تتذكر . خذ هذا الدور الأول مثلا . لابد أنه انتهى بحصول أحد اللاعبين على هارتس أو سبيدز أو بنزل الجانب الآخر تحت الخمسين من جراء الخصم» فقال الدكتور روبرتس :«دعنى ألق نظرة – كان ذلك هو الدور الأول – نعم ، انتهى بلعبة سبيدز» فقال بوارو :«والدور الثانى؟» فقال أعتقد أن أحدنا قد نزل تحت الخمسين . ولكننى لا أستطيع أن أتذكر من منا بالضبط. حقا ياسيد بوارو يستحيل أن تتوقع منى أن أتذكر كل شىء» .

قال بوارو : «هل تستطيع أن تتذكر زميلك فى اللعب؟» فقال الطبيب: السيدة لوريمير. كانت متذمرة من طريقتى فى اللعب» فقال بوارو :«ألا تستطيع أن تتذكر كيف سار الدور؟» فقال الطبيب :«يا عزيزى السيد بوارو هل تعتقد حقيقة أننى أستطيع؟ لقد كانت جريمة القتل كفيلة بأن تنسى كل شخص منا اسمه . ولقد كنت قد لعبت أكثر من اثنى عشر دورا فى ثلاثة أشواط» .

وبدا الحزن وظهرت علامات الأسى على وجه بوارو فقال الطبيب :«أنا آسف» . فقال بوارو ببطء :«هذا لا يهم كثيرا . كنت آمل أن تتذكر تفاصيل دور أو دورين . ربما يكون فى ذلك علامات مضيئة توضح أمورا أخرى» . فقال روبرتس : «وما هذه الأشياء الأخرى؟» .

قال بوارو: «حسنا ، يمكن لك أن تلاحظ هنا مثلا أن زميلتك فى اللعب قد أخطأت اللعب هنا أو أن خصمكما فى اللعب قد فاجأكما بواحدة من الحيل المزدوجة بتفويته ورقة واضحة» .

وبدا الاهتمام المفاجىء على وجه الدكتور روبرتس. ومال بجسمه إلى الأمام ونظر فى ورقة التسجيل فى هذا الدور بتركيز شديد ثم قال :«آه ، أنا قد أدركت الآن فقط ما تهدف أنت إليه . سامحنى . ظننت فى البداية أنك تتكلم بدون أى جدية كمجرد كلام فارغ . أنت تقصد أن القاتل قد أتم ارتكاب جريمته ربما يكون قد تسبب فى خطأ غير محتمل الحدوث فى الدور؟» .

وأومأ بوارو برأسه وقال : «لقد أدركت الفكرة بنجاح . ربما يكون هذا مفتاحا ممتازا لو كنتم أربعة من اللاعبين يعرف كل منكم كيفية لعب الآخرين .

عندئذ تكون أى غلطة سخيفة لا يخطئ فى مثلها اللاعب عادة سهلة الملاحظة . تقول له على الفور : ما هذه اللعبة ؟ كنت تستطيع أن تلعب كذا وتكسب بدل أن يكسب الخصم كذا . هذه خسارة مزدوجة . ولسوء الحظ كنتم مجموعة من الغرباء حول منضدة اللعب ، ولم تكونوا تعرفون طريقة لعب كل واحد منكم . ولكن حاول أن تتذكر بكل قواك ياسيدى الطبيب . أرجوك أن تفكر معى . هل لاحظت أى ارتباك مفاجىء ، أو أى خطأ سخيف لا يقع فى مثله لاعب مبتدئ يحدث من شخص يجيد اللعبة عموما؟» .

وساد الصمت حوالى دقيقة أو دقيقتين ثم هز الدكتور روبرتس رأسه وقال :« بصراحة ، لافائدة ، أنا لا أستطيع أن أساعدك . أنا لا أستطيع أبدا أن أتذكر . كل ما أستطيع أن أتذكره قلته لك من قبل – السيدة لوريمير لاعبة ممتازة من الدرجة الأولى. لم تخطئ أى خطأ استطعت أن ألاحظه فى كل الأدوار التى لعبتها سواء معى أو مع غيرى . كانت ماهرة من البداية للنهاية. وكان ديسبارد لاعبا جيدا ، يوفق مجموعة أوراقه بسهولة وباقتدار وبسرعة شأن أى لاعب متمرس ، ولم يخالف قواعد اللعبة أبدا. وهو لا يأخذ وقتا طويلا قبل أن يلعب . إنه يلعب بسرعة معقولة . والآنسة ميرديث–» .

قال بوارو:«نعم؟ الآنسة ميرديث؟» فقال الطبيب :« لعبت لعبة أو لعبتين خطأ – أتذكر ذلك – قرب نهاية السهرة – وربما كان ذلك ببساطة نتيجة للتعب الذهنى من كثرة اللعب– أو لكونها لاعبة خبرتها قليلة . وكانت يدها ترتعش أيضا» .

وتوقف الطبيب عن الكلام فقال له بوارو :« متى لاحظت أن يدها قد ارتعشت؟» فقال الطبيب :«متى كان ذلك الآن؟ لا أستطيع أن أحدد بالضبط ... أنا أعتقد أنها كانت بالضبط عصبية يا سيد بوارو أنت تجعلنى أتخيل أحداثا مضت» .

قال بوارو : «أنا أعتذر ، توجد نقطة أخرى أحتاج إلى مساعدتك فيها». فقال الطبيب : «نعم؟» فقال بوارو ببطء :« إنها صعبة . هل تتكرم يادكتور روبرتس بأن تصف لى محتويات الحجرة التى كنتم تلعبون فيها ؟» وبدا الدكتور روبرتس مندهشا تماما ،وبعد قليل من التفكير قال :« محتويات الحجرة» فقال بوارو :«لوتكرمت» فقال الطبيب : «أيها الصديق العزيز ، أنا ببساطة لست أعرف من أين أبدأ » قال بوارو : «ابدأ من حيث تشاء» وبدا الطبيب كما لو كان يعلن عن مزاد وهو يقول :« كنبة كبيرة مطعمة بالعاج– وكنبة أخرى عليها كسوة خضراء اللون – أربعة أو خمسة كراسى كبيرة – ثمانية أو تسعة سجادة إيرانى– مجموعة من الكراسى الصغيرة حوالى اثنى عشر كرسيا . مكتب من طراز وليم ومارى – (أنا هكذا قد تحولت أخصائى يعلن عن أشياء فى المزاد) – خزانة جميلة جدا

مرصعة بالخزف الصينى – بيانو ضخم – وكانت توجد قطع أخرى من الأثاث لا أتذكرها– صور لمناظر طبيعية يابانية – تحف صغيرة يابانية الصنع من العاج موضوعة على منضدة – زهريات فضية من طراز شارل الأول – قطعتان من المحار فيما أذكر –» فقال بوارو: «براڤو ، براڤو» ! فقال روبرتس: «وكان يوجد أيضا زوج من الطيور المحنطة وصورة لإحدى الغابات للفنان رالف . وكان يوجد أيضا بعض التحف الشرقية الصغيرة ، فضيات ، وبعض الحلى التى لا أعرف عنها شيئا لأنه ليست لى أى خبرات عنها – وكان يوجد بعض الأشغال المنمنمة فى حقيبة صغيرة – هذا هو كل ما أستطيع أن أتذكره» .

قال بوارو :«هذا رائع جدا ،أنت فعلا طبيب تمتاز بقدرة فائقة على قوة الملاحظة» . فقال الدكتور روبرتس : « هل أنا بذلك قد حققت لك الهدف الموجود فى ذهنك؟» فقال بوارو: «هذا هو الجانب المشوق فى المسألة برمتها . لو تذكرت لى الشيء الذى كان موجودا فى ذهنى لأدهشنى ذلك . أنت لم تذكره بالضبط كما كنت قد توقعت من قبل» فقال الطبيب : «ولماذا؟» فقال بوارو : «ربما – لأنه لم يكن موجودا هناك لكى تذكره» فقال الطبيب :«يبدو أن هذا يجعلنى أتذكر شيئا ما» فقال بوارو: «يجعلك تتذكر شرلوك هولمز أليس كذلك ؟» يلاحظ هولمز أن الكلب لم ينبح أبدا طوال الليل وهذا شيء غريب ، لا يا دكتور ، أنا لا أسرق أفكار الآخرين ، أنا أبتكر شيئا آخر غير مبتكراتهم» .

قال الدكتور روبرتس : «أتعرف ياسيد بوارو؟ أنا فى وسط البحر تماما بالنسبة لما تهدف أنت إليه!» فقال بوارو : «هذا شيء رائع . هكذا ينبغى أن يكون تأثيرى الفعال» .

ونهض بوارو وبينما كان الطبيب لا يزال مندهشا قال بوارو :«يجوز لك أن تتأكد أن ما قلته لى اليوم يادكتور سيساعدنى كثيرا فى زيارتى القادمة» . ونهض الطبيب واقفا هو الآخر وقال : «أنا لا أدرى كيفية ذلك ولكننى سأصدق ما تقوله لى» وتصافحا .

وخرج بوارو من منزل الطبيب ونادى إحدى سيارات الأجرة وقال للسائق: «١١١ شين لين – تشيلسى» .

✱ ✱ ✱ ✱

الفصل الحادى عشر

السيدة لوريمير

* * * * *

كان المنزل رقم ١١١ تشين لين منزلا صغيرا أنيق المنظر جميل المظهر فى شارع هادئ إلى حد كبير . كان باب المنزل مدهونا باللون الأسود النظيف اللامع وكانت درجات صغيرة أمامه مطلية بطلاء أبيض نظيف ، وكان النحاس الأصفر فى أكرة الباب – كما كانت الخباطة – من النحاس الأصفر اللامع جدا تحت أشعة شمس الظهيرة .

وفتحت خادمة متقدمة فى العمر الباب وهى ترتدى قبعة بيضاء فوق ثوب بسيط فوقه مريلة بيضاء . وسألها بوارو عن صاحبة المنزل فقالت : إنها موجودة بالمنزل ، وسبقته نحو سلم صغير ثم قالت :« ما الاسم ياسيدى ؟» فقال :«السيد هركيول بوارو» واقتادته نحو حجرة الاستقبال ونظر بوارو حوله، وكان الأثاث جيدا ونظيفا ومن النوع المستخدم لدى العائلات القديمة . والمفارش النظيفة تعلو فوق الكراسى والكنبات، وبعض البراويز الفضية معلقة تحوى صورا فوتوغرافية بالطريقة القديمة من التصوير ، وفيما عدا ذلك كان هنالك قدر كبير من الاتساع الجيد التهوية والضوء الوافر ، وكانت ورود طويلة السيقان موضوعة فى إحدى الفازات على منضدة كبيرة.

وجاءت السيدة لوريمير لكى تقابله . صافحته دون أن تبدى أى دهشة لحضوره المفاجئ. وأشارت إلى أحد الكراسى ، وجلست على كرسى آخر ، وقالت بعض التعليقات بشأن حالة الجو بعد أن ساد الصمت برهة .

وقال بوارو: «آمل ياسيدتى أنك ستسامحيننى بشأن هذه الزيارة» .

ونظرت السيدة لوريمير نحوه وقالت : «هل هى زيارة عمل؟» فقال : «أنا أعترف أنها زيارة عمل» فقالت: «هل تعرف ياسيد بوارو أنه على الرغم من استعدادى التام أن أعطى

كبير المفتشين باتل أو أى مفتش من الشرطة الرسمية أى معلومات يطلبونها منى ، إلا أننى لست ملزمة أن أعطى أى معلومات لأى شخص يعمل مخبرا لحسابه الخاص أو لأى شخص أو جهة غير حكومية ؟

قال بوارو :« أنا مدرك تماما لهذه الحقيقة ياسيدتى . ولو أشرت لى بأصبعك نحو الباب، فإننى أمشى نحو الباب وأخرج مطيعا إشارة أصبعك طاعة كاملة » .

وابتسمت السيدة لوريمير ابتسامة خفيفة ثم قالت :« أنا غير مستعدة أن تصل الأمور إلى هذا الحد ياسيد بوارو . أنا أستطيع أن أعطيك عشر دقائق ، وبانتهاء هذا الوقت يلزم أن أذهب إلى حفلة للعب البريدج» .

قال بوارو :« عشر دقائق وقت كاف لتحقيق غرضى . أنا أريد منك ياسيدتى أن تصفى لى الحجرة التى كنتم تلعبون فيها البريدج ليلة الأمس – الحجرة التى قتل بداخلها السيد شيتانا» .

وارتفع الحاجبان فوق عينى السيدة لوريمير وقالت : «ياله من سؤال غريب! أنا لا أستطيع أن أفهم الغرض منه» .

قال بوارو :«سيدتى ، لو أن شخصا سألك وأنت تلعبين البريدج لماذا رميت هذا ؟ أو لماذا لعبت هذه الورقة بالذات؟ ربما تحتاجين وقتا طويلا لبيان السبب ، هكذا شأن أسئلتنا . المهم هو الإجابة عليها وليس المهم هو معرفة الغرض منها » .

وابتسمت السيدة لوريمير ابتسامة خفيفة وقالت :« أنت تعنى أنك أنت المحترف فى عملك وأنا المبتدئة . حسنا ، دعنى أفكر قليلا ، كانت حجرة كبيرة وكان فيها أشياء كثيرة» فقال بوارو : «هل تستطيعين أن تصفى بعض هذه الأشياء الكثيرة؟» فقالت : «حسنا، كانت هنالك بعض ڤازات للزهور – حديثة الطراز – جميلة إلى حد ما – وأعتقد أنه كان هناك بعض الرسومات الصينية واليابانية – وكان يوجد حوض صغير فيه ورود التوليب الحمراء اللون – ومن العجيب أن الوقت كان مبكرا لظهور هذا النوع من الورد» .

قال بوارو: «هل كانت هنالك أشياء أخرى؟» فقالت« يؤسفنى أننى لا أتذكر التفاصيل» فقال بوارو:« الأثاث . هل تتذكرين لون الكنبات» ؟ فقالت : «كان عليها حرير فيما أعتقد، هذا هو كل ما أستطيع قوله» .

قال بوارو: «ألم تلاحظى الأشياء الصغيرة ؟» فقالت : « أنا يؤسفنى أننى لم ألاحظها . كانت هنالك أشياء كثيرة جدا . وأنا أتذكر أن كثرة الأشياء فحسب هى التى لفتت نظرى ولم أهتم إطلاقا أن أعرف ما هذه الأشياء الكثيرة» .

وساد الصمت لمدة دقيقة وقالت السيدة لوريمير وعلى شفتيها ابتسامة خفيفة : « يؤسفنى أننى لا أستطيع أن أساعدك بهذا الشأن الذى تسأل عنه» .

قال بوارو : «يوجد شيء آخر» وأخرج من جيبه أوراق تسجيل أدوار اللعب فى تلك الحجرة فى منزل شيتانا . وقال:« هذه هى الأدوار الثلاثة التى اكتملت . وأنا أرجو أن تساعدينى استنادا إلى هذه التسجيلات الكتابية،كيف جرت ألعاب كل دور ؟» .

قالت السيدة لوريمير : «دعنى أنظر فيها . هذا هو الدور الأول » وبدا على ملامحها الاهتمام إلى حد كبير . وقدمت بالفعل وصفا تفصيليا للدور الأول . فقال بوارو : «هذا رائع . ذاكرة فى غاية الروعة وخبرة فى غاية الكمال . هذا هو ما لم أجده عند الدكتور روبرتس» . وأمسكت السيدة لوريمير بورقة تسجيل الدور الثانى . وقالت : «هذا الدور صعب من حيث التفاصيل ، سجله ميجور ديسبارد . إنه يستخدم طريقة الخصم ولا يدون كل شيء » وقدمت وصفا تفصيليا للدور على الرغم من طريقة الخصم فى التسجيل .

ثم أمسكت السيدة لوريمير بورقة تسجيل الدور الثالث وقالت : «هذا الدور كان ملحمة كبيرة . أنا أتذكره جيدا . لقد بدأت اللعب . كان الميجور ديسبارد والآنسة ميرديث شريكين» وقدمت وصفا تفصليا للدور الثالث ، ثم قالت : هذا الدور كان مهما للغاية ، ففيه كانت لعبة الجائزة الكبرى يعرضها الدكتور روبرتس» .

قال بوارو : «أنا أكره أدوار الجائزة الكبرى . وبالنسبة لى أنا ، ليس عندى أعصاب للدخول فى مثل هذه الأدوار . أنا ألعب لمجرد التسلية» .

قالت السيدة لوريمير : «لا ينبغى أن تتردد فى اللعب ما دمت تلعب بطريقة سليمة ولا ترتكب أخطاء سخيفة دون داع »فقال بوارو : «هل أخاطر باللعب ولو خسرت؟» فقالت : لا مجال للمخاطرة مادمت تلعب بطريقة سليمة . وعندما لا تخطئ أنت ربما يخطئ خصمك فتكسب أنت. هذه هى اللعبة باختصار . هل يلزم أن أعطيك دروسا فى لعبة البريدچ؟» فقال بوارو : «لو أعطيتنى دروسا فى لعبة البريدچ سوف يتحسن مستواى فى هذه اللعبة يا مدام لوريمير» .

وجمع بوارو أوراق تسجيل نتائج اللعب فى الأدوار الأربعة ، وانحنى انحناءة خفيفة ثم قال : «يا سيدتى ، أنا أهنئك . ذاكرتك فى البريدچ قوية جدا . إن عندك القدرة التامة على معرفة كل لعبة لعبها كل لاعب فى كل دور . هذا هو ما كنت أتمنى أن أجده ، ولم أجده عند أحد غيرك . شرحك للأدوار الثلاثة قد ساعدنى كثيرا على فهم ما دار فيها بدقة كاملة . اسمحى لى أن أهنئك وأن أشكرك» .

ونهضت السيدة لوريمير واقفة ثم قالت : «أنا آسفة أننى يلزم أن أغادر المنزل الآن . أنا آسفة جدا – ولكن يلزم فى الحقيقة ألا أتأخر» .

قال بوارو : «بالطبع . أنا آسف أننى قد أقحمت نفسى على وقتك» فقالت : «يؤسفنى أننى لم أقدم لك مساعدة أكثر . فقالت بوارو : «ولكنك قد قدمت لى مساعدة كبيرة بالفعل» فقالت : «لا أكاد أعتقد فى ذلك» فقال بوارو : «ولكن ، نعم، لقد أخبرتنى بكفاءة تامة عن شىء كنت أريد أن أعرفه» ومد يده إليها مصافحا . وقال : «أشكرك يا سيدتى لجميل صبرك وتحملك عناء مساعدتى» .

ومدت يدها وصافحته وهى تقول :«أنت رجل غير عادى يا سيد بوارو» . فقال بوارو : «هكذا خلقنى الله» . فقالت :«أنا كما قلت لك أنا» فقال : «عفوا يا سيدتى . بعض الناس يحبون أن يدخلوا على خلقة الله لهم بعض التعديلات مثل المرحوم شيتانا» . فقالت :«على أى نحو تعنى؟» فقال :«كان له ذوق جميل فى اقتناء التحف ، ولكنه لم يكتف بذلك وحاول أن يجمع أشياء أخرى» . فقالت :«ما هذه الأشياء الأخرى التى كان يحاول أن يجمعها غير التحف؟» فقال بوارو :«حسنا ، كان يحاول أن يصنع – دعينى أقل – إحساسات ومشاعر معينة ويستمتع بمراقبتها مثلا» . فقالت : «هل تعتقد أن هذه الرغبة كانت موجودة فى طبعه؟» .

وهز بوارو رأسه بحزن وقال : «كان يمثل دور الشيطان ببراعة . ولكنه لم يكن الشيطان فى الحقيقة . لقد كان رجلا غبيا ولذلك – مات مقتولا» . فقالت : «لأنه كان غبيا؟» فقال بوارو : «الغباء هو الرذيلة التى لا علاج لها وهى دائما تجر على الشخص الغبى أوخم عاقبة ليلقى جزاء إصراره على الغباء يا سيدتى» .

وساد الصمت برهة ثم قال بوارو: «اسمحى لى أن أنصرف . وألف شكر لروحك الودية الطيبة يا سيدتى . أنا لن أعود لزيارتك إلا إذا استدعيتنى وطلبت أنت حضورى عندك» . وارتفع حاجبا السيدة لوريمير وقالت : «عجبًا يا سيد بوارو : لماذا أطلب أن تحضر عندى؟» فقال بوارو :«يجوز ذلك يا سيدتى . إنها مجرد فكرة . ولو حدث ذلك، سأحضر . تذكرى هذا» .

وانحنى بوارو انحناءة خفيفة مرة أخرى وغادر الحجرة ونزل إلى باب المنزل ثم مشى فى الشارع وبدأ يقول لنفسه :أنا على صواب ... أنا متأكد أننى على صواب .. ولابد أن أكون كذلك !» .

الفصل الثانى عشر
آن ميرديث

* * * * *

خلصت السيدة أوليڤر جسمها من مقعد القيادة بصعوبة كبيرة . كانت السيارة صغيرة الحجم ذات مقعدين فقط . ويبدو كما لو كان مصممو هذا النوع من السيارات يصرون على أن السيدات الرشيقات القوام فقط هن اللاتى سيجلسن على مقعد قيادة هذه السيارات صغيرة الحجم . وهكذا كانت عملية تخليص سيدة بدينة فى منتصف العمر من مقعد قيادة هذه السيارة تتطلب منها جهودا خارقة للعادة بالنسبة لها ، ولكنها على كل حال ممكنة ما دامت هى مستعدة لبذل جهد كاف ، والسيدة أوليڤر سيدة مستعدة لبذل الجهد دائما .

وبحركة قوية من ردفها مع جذب ركبتها ودفع باب السيارة بكتفها خلصت السيدة أوليڤر ردفيها واحدا بعد الآخر من مقعد وعجلة القيادة ونزلت بقدمها اليمنى ثم قدمها اليسرى أمام نوع من الرصيف الصغير أمام بوابة ويندون كوتاچ بينما كانت حبات من التفاح تندفع من داخل كيس على أرضية السيارة وتتدافع على الأرض فى سباق مع الزمن بينما هى مشغولة عن حبات التفاح المتدحرجة بعملية النزول من السيارة .

وتنهدت السيدة أوليڤر ، وعدلت وضع قبعتها وأزاحتها قليلا إلى الخلف وأمالتها قليلا على أحد جانبى رأسها ، ونظرت إلى لون فستانها التويد الذى كانت قد انتقته بعناية من دولاب ملابسها . وقطبت جبينها عندما لاحظت أنها لم تلبس حذاءها الجديد ووضعت فى قدميها الحذاء القديم ، ولكنه على كل حال يريح قدميها أكثر من الحذاء الجديد .

ودفعت بيدها باب ويندون كوتاچ ومشت فى طرقة صغيرة تفضى إلى باب المسكن ودقت الجرس على الباب . وتطلعت حولها إلى حديقة صغيرة فيها بعض شجيرات ورد وبعض الخضراوات ، ثم يمتد حقل صغير يصل مباشرة إلى نهر صغير . وكانت الشمس تبث كثيرا من الدفء فى هذا اليوم من شهر أكتوبر . ولم يفتح الباب أحد .

وكانت فتاتان تمشيان فى الحقل الصغير متجهتين نحو الكوخ وعندما تقدمت الفتاتان

لتضعا أقدامهما فوق الممشى الصغير المفضى إلى الكوخ تسمرت إحداهما فى مكانها . وتقدمت نحوها السيدة أوليڤر وهى تقول : «كيف حالك يا آنسة آن ميرديث؟ أنت تتذكريننى ، أليس كذلك؟» .

وجرت نحوها آن ميرديث وصافحتها وهى تقول :«أوه ، أوه ، بالطبع». وكانت عيناها قد زاد اتساعهما وبدا فيهما شيء من الارتياع والدهشة والخوف والارتباك ، وبعد قليل تماسكت .

قالت آن ميرديث :«هذه هى صديقتى التى تقيم معى – الآنسة رودا داويز ، هذه هى السيدة أوليڤر». وكانت البنت الأخرى ، رودا داويز ، بنتا طويلة القامة ، تبدو القوة فى ملامحها ، وبادرت إلى القول :«أوه ، أنت السيدة أوليڤر؟ أريدن أوليڤر؟» فقالت السيدة أوليڤر :«أنا أريدن أوليڤر». ثم التفتت نحو آن ميرديث وقالت لها :«الآن ، هيا نجلس فى أى مكان يا عزيزتى لأن عندى كلام كثير سأقوله» فقالت :«آن ميرديث : «بالطبع ، وسنشرب الشاى» فقالت السيدة أوليڤر :«الشاى يمكن أن ينتظر» .

ومشت آن ميرديث أمامها نحو بضعة كراسى من الخيرزان القديمة ، واختارت السيدة أوليڤر أقواها وفحصته بعناية ورجحت أنه يصلح ويتحمل وزنها وجلست ثم قالت على الفور: «والآن يا عزيزتى ، لا يليق بنا أن نحفر بعيدا عن جذر الشجرة . إننى أتكلم عن جريمة القتل التى حدثت فى تلك الليلة . يجب أن نشمر عن سواعدنا لنعمل شيئا مفيدا» فرددت آن ميرديث كلماتها الأخيرة بلهجة استفهامية :«نعمل شيئا مفيدا؟» فقالت السيدة أوليڤر : «طبيعى . أنا لا أعرف فيم تفكرين . ولكن ليس عندى أقل شك فيمن ارتكب هذه الجريمة . إنه ذلك الطبيب . ماذا كان اسمه ؟ روبرتس ! إنه هو ، روبرتس! اسم من الأسماء المستخدمة فى ويلز . أنا لا أثق إطلاقا فى الناس الذين ينحدرون إلينا من جبال ويلز! كانت لى مربية من ويلز ، أخذتنى وأنا صغيرة إلى هاروجيت ونسيت كل شيء عنى ، ولم يعثر على أهلى إلا بعد جهود مضنية . يحبون الأذى للناس ، لا علينا من تلك المربية. روبرتس هو الذى فعلها . ويجب أن تكون رؤوسنا معا ونتعاون لنثبت عليه ذلك» .

وضحكت رودا داويز بصوت عال ثم تضرج وجهها باللون الأحمر وقالت: «عفوا يا سيدتى ، ولكنك – ولكنك مختلفة جدا عن الصورة التى كانت فى خيالى» . فقالت السيدة أوليڤر دون أى حرج :«خاب أملك كثيرا . أنا امرأة عادية مثل كل النساء ، أليس كذلك ؟ تعودت أن يقول الناس لى ذلك عندما يروننى لأول مرة . لا تهتمى كثيرا بهذا . عندنا الآن ما هو أكثر أهمية . ماذا نفعل لنثبت أن الدكتور روبرتس هو الذى فعلها؟» .

قالت آن ميرديث :«وكيف نثبت ذلك؟» فقالت رودا داويز :«أوه ، لا تكونى انهزامية

هكذا يا آن . أنا أعتقد أن السيدة أوليڤر سيدة عظيمة جدا . إنها ستعمل كل الذى يعمله سڤين جيرسون . إنها تعرف كيف تعمل هذه الأشياء . عندها خبرة كبيرة فى هذه الأمور . سڤين چيرسون هى التى اخترعته ليحل مثل هذه المشكلات» . فقالت السيدة أوليڤر : «نستطيع أن نعمل فى الواقع ما أعمله أنا فى الخيال . بدلا من أن أعمل فى عالم الخيال ، سنعمل سويا فى عالم الواقع . أمامى مجال فسيح للعمل فى عالم الخيال . وأمامنا مجال فسيح لنعمل سويا فى عالم الواقع . أنا أجعل الأبطال يتعاونون لكشف الجرائم والقبض على الجانى ليلقى جزاءه فى عالم الخيال . ليس البطل وحده هو الذى يقبض على الجانى فى عالم الخيال ، بل يساعدونه آخرون من الشخصيات الخيرة النبيلة ، ولا أستطيع أن أعمل وحدى فى عالم الواقع . ولا رجال الشرطة يستطيعون العمل وحدهم . يستحيل الوصول إلى نتائج حاسمة ضد الأشرار الطالحين ما لم يتعاون فى القضاء عليهم الأبرار الصالحون . من الضرورى أن نعمل ذلك يا بنيتى . أنا أقول لك لماذا يلزم ذلك . أنت لا ترغبين فى أن يعتقد الناس فى أنك أنت التى ارتكبت هذه الجريمة . هذا الاعتقاد ممكن إذا لم تقدم للناس القاتل الحقيقى . وعندما تقدم للناس القاتل الحقيقى يخرج الأشخاص الآخرون من دائرة الاتهام تماما» .

فقالت آن ميرديث :«ولماذا يعتقد الناس أننا قد فعلناها؟» فقالت السيدة أوليڤر : «أنت تعرفين الناس! تذهب بهم الظنون كل مذهب حتى يقطع الشكُّ اليقين . الشكُّ يحيط بالثلاثة الذين لم يفعلوها كما يحيط بالشخص الذى فعلها . كنتم أربعة أشخاص فى الحجرة تلعبون البريدچ . وكان المجنى عليه يجلس فى نفس الحجرة على الكرسى ثم استغرق فى النوم وأنتم تلعبون. تم العثور عليه مطعونا خلف رقبته بخنجر . شخص واحد هو الذى طعنه طعنة واحدة قاتلة . مَن مِن الأربعة ؟ هذا هو السؤال؟ متى يكف الناس عن ترديد هذا السؤال؟ عندما نقدم لهم الشخص الذى فعلها . أين الدليل ؟ يجب أن نتعاون فى البحث عن الدليل لنقدمه للناس وللشرطة وللعدالة ليلقى هذا المجرم جزاءه» .

قالت آن ميرديث :«أنا مازلت لا أفهم لماذا تطلبين منى أنا بالذات أن أتعاون معك؟ لماذا لم تذهبى إلى الآخرين لتطلبى منهم هذا المطلب؟» فقالت السيدة أوليڤر : «لأن الاثنين الآخرين لا يهمنى شأن أى منهما بالفعل! السيدة لوريمير امرأة متقدمة فى العمر تلعب البريدچ طوال النهار ولساعات من الليل فى النوادى وفى بعض الحفلات بالمنازل . والنسوة من هذا النوع يلزم إسقاطهن من الحساب ، وهى لن تترك لعبتها المفضلة لكى تعمل معنا، وهى سيدة محترمة لتقدمها فى العمر وتستطيع أن تدبر شئونها جيدا . ولكن البنت الشابة مثلك ظروفها تختلف . أمامك الحياة ممتدة للأمام ، أما حياتها هى تزحف إلى الوراء » .

قالت آن ميرديث :«والميچور ديسبارد؟» فقالت السيدة أوليڤر :« ياه! إنه رجل . وأنا لا

يهمنى الرجال . هل نبحث عن حقوقنا نحن النساء أم نبحث عن حقوق الرجال؟ الرجال معهم حقوقهم وزيادة ، ونحن نصارع من أجل التساوى معهم فى الحقوق والواجبات . ثم، هل يليق بى أن أذهب إلى رجل وأقول له تعال تعاون معى ؟ ولماذا؟ من أجل صالحه ؟ لماذا لا يعمل هو من أجل صالحه ؟ ولماذا لا يأتى إلينا ؟ أنا لن أذهب إليه ، ولن أطلب منه أى تعاون . أنا – لهذه الأسباب – حضرت إليك أنت يا آنسة آن ميرديث ، وأطلب أن تتعاونى معى . إن الميجور ديسبارد يستمتع بحياته هنا أحيانا كما يحلو له أو يستمتع بحياته خارج البلاد فى بلاد الليمبوبو مثلا أو على شاطئ أى نهر فى إفريقيا أو أمريكا الجنوبية . أين تستطيعين أنت أن تذهبى؟»

قالت آن ميرديث :«هذا فضل كبير وكرم عظيم منك أن تهتمى بشأنى على هذا النحو يا سيدة أوليفر» فقالت رودا داويز :«كانت تلك الجريمة جريمة وحشية غادرة . لقد حطمت أعصاب آن ميرديث يا سيدة أوليفر . إنها حساسة جدا . وأنا أعتقد أنك على صواب فى كل الكلام الذى سمعته منك الآن . من الأفضل عمل شىء بدلا من مجرد الخوف والجلوس هنا دون عمل أى شىء» .

قالت السيدة أوليفر :«بالطبع عمل شىء أفضل من لا شىء . وأنا أقول الحقيقة . أنا لم أصادف جريمة قتل حقيقية إلا فى تلك الليلة . ومع أننى بعيدة تماما عن أى اتهام إلا أننى أشعر أن من واجبى أن أسهم فى محاولة الإمساك بالجانى بحيث لا أدع أولئك الرجال الثلاثة الذين تعرفينهم – كبير المفتشين باتل والرجلان الآخران – لكى ينفردوا بميزة النجاح فى القبض على المجرم الذى فعلها . هم ثلاثة رجال يعاونهم رجال آخرون . بصراحة، أشعر أننا – معشر النساء – يجب أن نفعل شيئا . لذلك أطلب أن نتعاون لكى نثبت أن المرأة أيضا تستطيع أن تسهم فى صنع الحياة الفاضلة مع الرجال . إننى دائما أقول لو أن امرأة كانت على رأس إدارة سكوتلانديارد!» فقالت رودا :«نعم ، لو أنك قد كنت بالفعل على رأس إدارة سكوتلانديارد ماذا كنت ستفعلين؟» فقالت السيدة أوليفر :كنت سأقبض فورا على الدكتور روبرتس –» فقالت رودا :«نعم؟» فقالت السيدة أوليفر :«على كل حال أنا لست على رأس إدارة سكوتلانديارد – أنا مواطنة من طراز خاص . مجرد امرأة تريد أن تثبت قدرات المرأة فى الحياة» . فقالت رودا :«أوه ، أنت ياسيدة أوليفر لست مجرد امرأة عادية . أنت كاتبة روائية كبيرة . كم امرأة تستطيع أن تكتب روايات مثلك؟» فقالت السيدة أوليفر :«هذا أهم من الروايات . نحن الآن بصدد الواقع . أنا أعرف أن ثلاثة من الرجال قد كرسوا جهودهم لمعرفة المجرم وتقديم الدليل على إجرامه . وها نحن أولاء الآن ثلاث نساء . ثلاث مخبرات خصوصيات ماذا نستطيع أن نفعل ؟ هل سينجح الرجال الثلاثة؟ ألا نستطيع نحن الثلاثة أن ننجح مثلهم؟ أريد أن نسبقهم إلى النجاح فى هذه

القضية لو وضعنا رؤوسنا نحن الثلاثة سويا!»

قالت آن ميرديث :«لماذا تعتقدين أن الدكتور روبرتس هو الذى فعلها؟» فقالت السيدة أوليڤر باقتضاب :«إنه هو هذا النوع من الرجال؟» فقالت آن بعد شيء من التردد «ألا تعتقدين مع ذلك – مع ذلك – أنه – أنه – ألا يمكن للطبيب–؟ أقصد أن استخدام نوع من السموم فى القتل يكون أكثر سهولة بالنسبة إلى طبيب؟» فقالت السيدة أوليڤر :«كلا ، على الإطلاق . السم وكل أنواع العقاقير لو استخدمها الطبيب فى جريمة قتل سيشير السم وتشير العقاقير إلى أن الطبيب هو القاتل . إنهم يبيعون السموم ويتظاهرون أنها قد سرقت منهم .ولكن من الصعب عليهم أن يستخدموها هم أنفسهم فى قتل أى شخص . وطبيعى جدا أن يفضلوا استخدام خنجر عن استخدام سم أو جرعة زائدة من أى عقار من العقاقير الطبية» . فقالت آن ميرديث :«أنا فهمت الآن . ولكن لماذا تعتقدين أن الدكتور روبرتس قد قتل شيتانا؟ ما الدافع الذى دفعه إلى قتله ؟ هل عندك فكرة عن الدافع إلى القتل؟» .

قالت السيدة أوليڤر : «فكرة ؟ عندى كمية كبيرة جدا من الأفكار . أنا أطلب تعاونكما للتحقق من هذه الأفكار ، لأن التحقق من هذه الأفكار وإثبات صحة واحدة منها بالدليل هو بالضبط الشيء الصعب ، وهو بالتحديد الشيء المطلوب . لا يكفى الاعتقاد ، ولا يكفى مجرد اتهام شخص بأى جريمة ، ولكن المهم هو ماذا يثبت صحة الاعتقاد أو الاتهام . ما الدليل؟ هذا هو المهم . أنا لا أفكر فى دافع واحد يدفع المجرم إلى ارتكاب الجريمة . أنا أفكر فى خمسة أو ستة دوافع . والعناء كل العناء إنما هو فى المفاضلة بينها ، إيجاد الدليل على صحة واحد منها . وأول دافع فكرت فيه بالنسبة للدكتور روبرتس هو أنه ربما كان شيتانا واحدا من المرابين الذين يقرضون الأموال فى مقابل الحصول على نسبة كبيرة من الربا . وربما كان الدكتور روبرتس مدينا له بمبلغ كبير تضاعف بمرور السنين وعجز عن السداد. يجب أن نبحث هذه الأمور ونفحصها بدقة يا آن . ربما يكون شيتانا قد اعتدى على أخت أو خطيبة الدكتور روبرتس جنسيا . من يدرى؟ يجب أن نبحث فى كل الاتجاهات وليس فى اتجاه واحد . ربما كان شيتانا يعرف أن الدكتور روبرتس متزوج من امرأتين . وربما كان روبرتس متزوجا من ابنة عم شيتانا ومن الممكن أن يرث من خلالها ثروة شيتانا لو مات شيتانا فجأة ولم يترك أولادا ولذلك قتله روبرتس ليصل إليه الميراث بسرعة . أو – هناك احتمالات كثيرة» .

قالت رودا : «هذه أربعة احتمالات أو أربعة أسباب» فقالت السيدة أوليڤر: «أو – وهذا احتمال قوى – نفترض أن شيتانا كان يعرف سرا خطيرا فى ماضى حياة روبرتس. ربما لم تلاحظى يا عزيزتى آن أن شيتانا كان يقول كلاما غريبا أثناء تناول العشاء» .

انحنت آن لتقتل إحدى الحشرات ثم قالت :«لا أعتقد أننى أتذكر مثل هذا الكلام الذى قاله شيتانا» . وقالت رودا :«ماذا كان شيتانا قد قال ؟» فقالت السيدة أوليڤر : «كان قد قال- ماذا كان قد قال ؟ - كان قد قال شيئا عن القتل باستخدام السموم - ألا تتذكرين ذلك يا آن ؟» وضغطت آن بيدها بشدة على حافة مقعدها وقالت :«أنا أتذكر بالفعل أن شيتانا كان قد قال شيئا من ذلك» .

وقالت رودا :«يا عزيزتى آن ، يجب أن تلبسى معطفا . إنك ترتعشين . لسنا فى الصيف. ادخلى وأحضرى المعطف» . وهزت آن رأسها وقالت : «أشعر بالدفء . لا أشعر بأى برودة فى الجو» ولكنها كانت بالفعل ترتعش وهى تقول ذلك.

واستمرت السيدة أوليڤر فى الكلام فقالت :«أنتما تدركان نظريتى . أستطيع القول أن شخصا من المرضى الذين كان يعالجهم الدكتور روبرتس مات مسموما . وكان ذلك فى حقيقة الأمر من تدبير روبرتس هذا . وأنا أستطيع القول أيضا إنه كان قد استخدم هذه الطريقة فى قتل أناس كثيرين» .

وتضرج وجه آن بشىء من الحمرة عند سماعها هذا الكلام . وقالت:«هل يقتل الأطباء مرضاهم بكثرة بهذه الطريقة؟ ألا يحدث ذلك تأثيرا ضارا على العيادات التى يديرونها ؟» فقالت السيدة أوليڤر بفتور :« من الضرورى أنه يوجد سبب قوى لذلك» . فقالت آن :«أنا أعتقد أن هذه فكرة غير معقولة . إنها فكرة خيالية يمكن أن توجد فى الروايات الخيالية فقط . الأطباء يكرسون جهودهم لإنقاذ الناس من الموت إلى أكبر حد ، ولا يعملون على قتل مرضاهم . هذه هى الحقيقة » .

قالت رودا فى لهجة فيها اعتذار عن مناقضة رأى آن لآراء السيدة أوليڤر : «أوه يا آن! حاولى أن تفهمى . قليل من الأطباء يفعلون ذلك . حاولى أن تفهمى! أنا أعتقد أن فكرتك هذه فكرة عظيمة يا سيدة أوليڤر . ويستطيع الطبيب أن يجد نوعا من السموم ليس من السهل اكتشاف آثاره . أليس كذلك ؟ ألا يستطيع الطبيب ذلك؟» فقالت آن : «أوه ، أنا أتذكر شيئا آخر. كان السيد شيتانا قد تكلم بالتحديد عن الفرص المتاحة للأطباء فى معاملهم . ربما كان يقصد شيئا محددا من كلامه هذا» فقالت السيدة أوليڤر :«لم يكن شيتانا هو الذى قال ذلك . كان الميجور ديسبارد هو الذى قال ذلك» .

والتفتت آن وراءها عندما وصلت تحت أقدامها كرة كان يلعب بها بعض الأطفال فى الشارع ، ولم تلبث أن قالت : «تكلمنا عن القط!» .

كان الميجور ديسبارد يقف أمام بوابة الكوخ .

الفصل الثالث عشر
زائر ثان

* * * * *

بوغت الميجور ديسبارد لدى رؤيته للسيدة أوليڤر . كانت البوابة مفتوحة . وكان وجه الميجور ديسبارد قد اكتسب لونا من الاحمرار الطوبى اللون ، واتجه بكلامه إلى الآنسة آن ميرديث بصوت مرتفع وقال :«أنا أعتذر يا آنسة ميرديث لاضطرارى أن أدق جرس بابك على الرغم من أننى فى زيارة عابرة وبمحض الصدفة . لم يحدث شيء يؤبه له ، وليس لزيارتى سبب محدد . كنت أمر من هذا الطريق . وقلت فى نفسى لماذا لا أمر عندكم» .

وقدمت له آن ميرديث زميلتها رودا التى قالت :«فلنتناول الشاى . بدأ الرذاذ ينزل . من الأفضل أن ندخل» . ودخلوا جميعا إلى المنزل الصغير . ودخلت رودا إلى المطبخ . وقالت السيدة أوليڤر:«هذه مصادفة كبيرة . مصادفة كبيرة أن نلتقى هنا مرة أخرى» . وقال ديسبارد: «نعم ، إنها مصادفة حقا» واستقرت عيناه فوق وجه السيدة أوليڤر وكان فى عينيه سؤال لم ينطق به لسانه ، فقالت السيدة أوليڤر :«كنت أنا أقول للآنسة ميرديث إنه ينبغى علينا أن نضع خطة نقوم بها للبحث عن القاتل . وأنا أقصد بالطبع ذلك الطبيب . ألاتتفق معى فى ذلك ؟» فقال الميجور ديسبارد : لا أستطيع. أن أقول لك ذلك – لا يكاد يوجد أى دليل نستند إليه» .

واكتسى وجه السيدة أوليڤر بتعبير واحد يقول من خلال ملامح وجهها : «يالك من رجل أبله!» وشعرت السيدة أوليڤر بخيبة أمل كبرى فى هذا الشخص من صنف الرجال . وساد الصمت برهة كانت أفكار السيدة أوليڤر تدور خلالها فى هذا المدار عندما دخلت رودا تحمل صينية الشاى ، فقالت السيدة أوليڤر على الفور إنها تريد أن تعود إلى المدينة وإنها لن تستطيع أن تشرب الشاى مع أنه كرم كبير منهم ، ولكنها لا تسطيع أن تتناوله ثم قالت: «أنا سأترك لكم بطاقتى . ها هى ذى . عنوانى موجود فيها . تعالوا عندى عندما تأتون إلى

المدينة ، وسنتحدث فى كل شىء لنصل إلى أعماق كل شىء» فقالت لها رودا :«أنا سأخرج معك إلى البوابة» .

وعندما كانت السيدة أوليڤر والآنسة رودا عند البوابة جرت نحوهما آن ميرديث وقالت : «كنت أفكر فى الموضوع» فقالت السيدة أوليڤر وقد بدأت أسارير وجهها المكتئبة فى الانفراج :«نعم ، يا عزيزتى ؟» .

قالت آن ميرديث :« كرم غير عادى من جانبك يا سيدة أوليڤر أن تتجشمى كل هذا العناء . ولكننى أفضل ألا أفعل أى شئ على الإطلاق – أنا أعنى أنه كان شيئا فظيعا . وأنا أريد فقط أن أنساه» .

قالت السيدة أوليڤر :«يا طفلتي العزيزة ، هل سيكون من المسموح لك أن تنسيه؟» فقالت آن ميرديث :«أوه ، أنا أفهم أن الشرطة لن تسكت عن هذا الحدث . ربما يحضرون هنا لكى يوجهوا بعض الأسئلة . وأنا مستعدة لذلك . ولكن بينى وبينك أنا أريد أن أنسى كل شىء عن الموضوع ، ولا أحب أى شىء يذكرنى به بأى حال . كيف أعمل أنا ما يذكرنى به ؟ أنا أريد أن أنساه . أنا أستطيع أن أقول إننى جبانة . هذا هو شعورى عن هذا الموضوع» . فقالت رودا داويز : «أوه يا آن! لا تقولى هذا الكلام» . فقالت السيدة أوليڤر : «أنا متفهمة لشعورك ، ولكننى لست متأكدة من الحكمة فى ذلك . لو تركنا الأمور كما هى فمن الأرجح ألا يصل رجال الشرطة إلى الحقيقة . وتظل الشكوك كما هى» . وهزت آن ميرديث كتفيها وقالت : «يصلون إلى الحقيقة أو لا يصلون إلى الحقيقة ، هل هذا يهمنا فى حقيقة الأمر؟» وصاحت رودا : «يهمنا؟ بالطبع يهمنا . ألا يهمنا هذا يا سيدة أوليڤر ؟» فقالت السيدة أوليڤر بجدية : «بالتأكيد يلزم أن أقول إنه يهمنا جدا» فقالت آن ميرديث بعناد : «أنا لا أوافق . لا أحد يعرفنى سيظن أننى فعلتها أبدا . وأنا لا أرى سببا للتدخل فى هذا الموضوع الذى لا شأن لى به. إنها مهمة رجال الشرطة . رجال الشرطة هم الذين يحتم عليهم عملهم محاولة الوصول إلى الحقيقة» فقالت لها رودا :«آن ، أنت بالفعل ليس لديك روح قوية» فقالت آن :«هذا هو ما أشعر أنا به على كل حال أشكرك جدا يا سيدة أوليڤر . إنه كرم منك هذا الاهتمام بشأنى» ومدت آن ميرديث يدها لمصافحة السيدة أوليڤر فقالت لها السيدة أوليڤر :«بالطبع مادمت تشعرين بالمسألة على هذا النحو فلا شىء أكثر من ذلك يمكن أن يقال . أما أنا فلن أظل مكتوفة اليدين . وداعا يا عزيزتى . ابحثى عنى فى لندن لو حدث تغيير فى رأيك» .

ودخلت السيدة أوليڤر بجسمها بالتدريج فى سيارتها ، وأدارت المحرك وبدأت تبتعد عنهما

وهى تلوّح لهما بيدها . وفجأة اندفعت رودا نحو السيارة وهى فى بداية تحركها ووضعت قدميها على الرفرف الجانبى بالقرب من النافذة وقالت :«هل كلامك عن إمكان زيارتك فى لندن يخص آن وحدها أم أنه يشملنى أنا أيضا؟» فقالت السيدة أوليفر :«أنا أقصد كلتيكما بالطبع» . فقالت رودا : «أوه ، أشكرك ، لا توقفى السيارة . أنا ربما أحضر عندك فى أى يوم . يوجد شيء ما – لا ، لا توقفى السيارة . أنا أستطيع أن أقفز وهى تمشى» .

وقفزت . ولوحت بيدها ، وجرت عائدة إلى البوابة حيث كانت آن ميرديث لا تزال واقفة، وعندما اقتربت رودا منها قالت لها آن :«ماذا أستحلفك بالله؟» فقالت رودا بحماس: «أليست هى بطة كبيرة؟ أنا أحبها. إنها ترتدى جوارب مدهشة ، ألم تلاحظى ذلك ؟ أنا متأكدة أنها بارعة جدا. من الضرورى أن تكون بارعة جدا لكى تكتب كل هذه الكتب . يالها من متعة لو تمكنت هى بمساعدة منا أن تكتشف الحقيقة عن ذلك القاتل بينما يفشل رجال الشرطة والرجال الآخرون فى ذلك!» .

قالت آن ميرديث :«لماذا جاءت إلى هنا؟» واتسعت عينا رودا من الدهشة وهى تقول :«يا عزيزتى جاءت لمساعدتك . لقد قالت لك –» فقاطعتها آن ميرديث بقولها :«يجب أن ندخل بسرعة لقد نسيت . لقد تركته بمفرده وحيدا» . وكان الميجور ديسبارد يقف عند درجات سلم المدخل وقدح الشاى فى يده . وقاطع محاولة آن ميرديث الاعتذار بقوله :«يا آنسة ميرديث ، أنا أريد أن أقول لماذا نزلت عندكم هكذا» . فقالت :«أوه ، ولكن–» فقال : «لقد سبق لى أن قلت إن ذلك قد حدث بالصدفة ، وليس هذا صحيحا تماما . لقد جئت إلى هنا عمدا وعن قصد» . فقالت آن :«وكيف عرفت عنوانى؟» فقال :«لقد حصلت عليه من كبير مفتشى الشرطة باتل» . ووجدها تقشعر قليلا عندما ذكر الرتبة والاسم ، فقال لها بسرعة :«باتل فى طريقه للحضور إلى هنا الآن . لقد رأيته فى بادنجتون . ربما يتأخر قليلا لعمل بعض التحريات وجمع بعض المعلومات ولكنه قادم إلى هنا دون شك . وأخرجت سيارتى عندما لمحته يحوم هكذا وجئت إلى هنا على الفور» فقالت آن ميرديث :«ولكن لماذا؟» فقال :«ربما كنت مندفعا بطبعى .. ولكننى أشعر أنك إنسانة وحيدة فى هذه الدنيا» . فقالت رودا : «أنا معها» فتوجه ديسبارد بنظره نحو رودا وجعل يتأكد من هذه الفتاة الجريئة التى كانت تقف مصغية لكلامه بجوار درجات السلم . كانت فى غاية الفتوة . إنهما ثنائى فريد من نوعه ولهما جاذبية كبيرة .. «هاتان الفتاتان!» .

وبعد أن تأملهما سويا واحدة بعد الأخرى ثم واحدة مع الأخرى تخلص من شرود ذهنه وقال :«أنا متأكد أنها لا يمكن أن تجد صديقة مخلصة ، مثلك يا آنسة داويز . ولكن خطر فى ذهنى أنه فى هذه الظروف غير العادية قد تكون نصيحة من شخص له بعض التجارب فى

الحياة لازمة للآنسة آن ميرديث . وبصراحة الموقف يبدو لى على هذا النحو : الآنسة أنا ميرديث تحوم حولها الشكوك أنها هى التى ارتكبت جريمة القتل مدار البحث الآن . وهو نفس الموقف بالنسبة لى وللشخصين الآخرين اللذين كانا موجودين معنا فى تلك الحجرة فى تلك الليلة . ومثل هذا الموقف ليس موقفا مناسبا مريحا – وفيه صعوباته الخاصة الناجمة عن طبيعة هذا الموقف الشائك ، وفى هذا الموقف بعض الخطورة التى ربما لا تدركها فتاة فى مقتبل العمر مثل الآنسة آن ميرديث فهى محدودة الخبرة فى هذه الأمور . ومن رأيى أن تضعى هذه المسألة فى يد محام قدير . ربما تكونين قد أنجزت هذا المطلب الضرورى لك ؟» فقالت آن :«أنا لا أكاد أحتاج إلى مساعدة أى محام» . فقالت رودا : «يوجد الأستاذ بيرى المحامى ، ولكن عمره يكاد يصل إلى أكثر من مائة سنة . وهو مجرد حطام محام» . فقال ديسبارد :«لو جاز أن تسمحى بسماع نصيحتى لك يا آنسة ميرديث ، أنا أوصى أن تذهبى إلى الأستاذ ميرهون . إنه المحامى الذى أتعامل أنا شخصيا معه . مكتبه فى لندن وتوجد عليه لافتة : «بيل & چاكوبس» الأستاذ ميرهون چاكوبس وشريكه بيل محاميان قديران ، وهما يعرفان كل أساليب التقاضى وكل الحيل القانونية ويعرفان كيف ينجزان صالح موكلهما» .

وامتقع وجه آن ، وجلست على الأرض ثم قالت :«هل هذا ضرورى حقا؟» فقال ديسبارد :«أنا أستطيع أن أقول بكل تأكيد إن هذا ضرورى لك جدا . توجد كل أنواع القفشات القانونية فى مثل هذه المشكلة» . فقالت آن ميرديث :«هل التعامل مع هذين المحاميين يكلف نقودا كثيرة؟» فقالت رودا :«هذا لا يهم كثيرا . المهم هو سلامة موقفك القانونى بحيث يسقط عنك أى اتهام قد يوجه نحوك . هذا مناسب تماما يا سيد ديسبارد . من اللازم الدفاع عن آن وحمايتها» . فقال ديسبارد :«مقابل أتعابهما ستكون معقولة فيما أعتقد . وأنا أعتقد أن هذا المسار مسار طبيعى ومعقول بالنسبة لظروفك يا آنسة ميرديث» . فقالت آن ميرديث :« حسن جدا . أنا سأمشى فى هذا الطريق مادمت توصينى بذلك» . فقال ديسبارد :«هذا أفضل» . فقالت رودا : «أنا أعتقد أن هذه النصيحة جميلة جدا منك يا ميجور ديسبارد . نصيحة جميلة ومفيدة جدا بالفعل» . وقالت آن :«أشكرك.» ثم قالت : «هل أنت قلت إن كبير مفتشى الشرطة باتل فى طريقه إلى هنا؟» فقال ديسبارد :«نعم، ويجب ألا تخافى من ذلك . هذا إجراء لابد منه ولا يمكن تفاديه . سيذهب إلى كل واحد منا كتصرف طبيعى من جانب الشرطة . ولكن لا اتهام دون دليل حقيقى . وهذا هو المهم» . فقالت آن ميرديث :«أنا أعرف ذلك . وفى الحقيقة كنت أتوقع أن يجئ عندى أنا أيضا» . وقالت رودا باندفاع :«آه يا حبيبتى المسكينة – هذه المحنة تكاد تقتلها .. هذا عار مخجل.. ليس هذا من العدل فى شىء» .

قال ديسبارد :«أنا أوافق على ما تقولينه تماما . إنها مسألة وحشية .. جرجرة فتاة شابة فى مقتبل العمر فى مسألة من هذا النوع . ولو كان أى شخص يريد أن يغرس خنجرا فى رقبة شيتانا لكان من الواجب عليه أن يختار مكانا آخر وزمانا آخر غير المكان والزمان اللذين تكون فيه مثل هذه الشابة موجودة حتى لا تتعرض لأى شكوك من جراء عمل لم تعمله ولم تشارك فيه بأى حال من الأحوال .. ولكن هكذا جرت الأمور!» .

قالت رودا :«من تعتقد أنه هو الذى فعلها : الدكتور روبرتس أم تلك السيدة التى اسمها لوريمير؟» وطاف ظل ابتسامة فوق شفتى ديسبارد وهو يقول :«ربما أكون قد فعلتها أنا فلقد كنت أنا أيضا واحدا من الموجودين!» فقالت رودا :«أوه ، لا ، آن وأنا نعرف أنك أنت بالذات لم تفعلها» .

ونظر نحوهما الميجور ديسبارد بعطف وحنان . ثنائى لطيف يتكون من فتاتين جميلتين فى مقتبل العمر . قلب كل منهما مفعم بالصدق والثقة والبراءة . مخلوقة ضعيفة صغيرة خجولة هذه البنت التى اسمها آن ميرديث . لا بأس عليها . سأوصى المحامى ميرهون أن يرعى شأنها جيدا . والفتاة الثانية مقاتلة باسلة . هل كانت قواها ستتضعضع لو كانت هى التى فى مكان وظروف آن ميرديث ؟ أن روحها تبدو أكثر قوة وتماسكا . بنتان لطيفتان . إنه يريد أن يعرف معلومات أكثر عنهما .

كانت هذه المشاعر والخواطر تدور فى ذهنه وعندما وصلت إلى هذا الحد أحس بأنه يجب أن يجذب عنان خواطره وأفكاره بشدة لتتوقف عن التحليق فى ذهنه فقال بصوت تعمد أن يكون عاليا :«لا تأخذى أى شىء مأخذ التسليم قبل فحصه وتمحيصه تماما يا آنسة داويز . أنا لا أعتبر أنه توجد نيات حسنة دائما لدى الناس . انظرى إلى حوادث الطرق مثلا ... يعيش الإنسان دائما فى خطر من حوادث المرور ومن الجراثيم ومن ألف خطر وخطر . ويجوز أن يقتل أى شخص لسبب أو لآخر . وكلما فكر الإنسان فى سلامته هو فقط تعرض الإنسان للخطر فى نظرى» . فقالت رودا :«أنا أتفق معك فى هذا الرأى . أعتقد أن الإنسان يلزم أن يكون قادرا على الحياة فى مواجهة الخطر – لو جدَّ فى حياة الإنسان أى خطر – ولكن الحياة عموما تقل فيها احتمالات الخطر . ومن الضرورى أن نعيش سواء جدَّ فى حياتنا خطر أو مضت بنا الحياة فى أمن وسلام» .

قال ديسبارد :«تجد فى الحياة لحظات» . فقالت رودا :«نعم ، وخصوصا بالنسبة إلى رجل مثلك . أنت تمشى فى الحياة – فيما علمت – إلى آفاق بعيدة . أنت تذهب إلى بلاد بعيدة فيها أسود ، وفيها نمور ، وفيها حشرات، وفيها أناس بدائيون ، متخلفون ، وفيها كل شىء مخيف ، ومثير ، تذهب هناك ثم تعود هنا» .

قال ديسبارد :«حسنا ، لقد نالت الآنسة ميرديث نصيبها من الإثارة والرعب . أنا لا أعتقد أن عددا كبيرا من الفتيات فى مقتبل العمر تجد الواحدة منهن نفسها فى حجرة تقع فيها جريمة قتل» . فقالت آن ميرديث :«أوه ، لا تجعلنى أتذكر هذه المحنة» . فقال بسرعة : «أنا آسف» . وقالت رودا : «بالطبع كان المنظر فظيعا ،ولكنه كان مثيرا جدا فى الوقت نفسه. مشاعر غير عادية يشعر بها الإنسان بالضرورة فى مثل هذا الموقف الخطير . من النادر جدا أن تجرب أى فتاة أخرى مثل هذا الموقف الخطير المثير . ماذا عساها أن تكون مشاعر فتاة بريئة فى هذا الموقف الخطير الشاذ ؟ أنا أعتقد أن آن ميرديث قد فطنت إلى طبيعة هذه المشاعر آنذاك . وأنا أعتقد أيضا أن امرأة ناضجة متقدمة فى العمر مثل السيدة أوليڤر أو السيدة لوريمير قد واجهت كل منهما الشعور بمشاعر غريبة غير عادية . إننى أرى بوضوح مثلا أن السيدة أوليڤر لا تزال متأثرة بهذه المشاعر الشاذة الغريبة غير المألوفة ، وزيارتها لنا دليل على صحة ما أقوله» .

قال الميجور ديسبارد :«أوه ، السيدة -؟ صديقتكما البدينة التى تكتب روايات عن ذلك البطل الفنلندى الذى اخترعه خيالها ؟ هل هى تحاول أن تقوم بعمل تحريات خاصة بها فى الموضوع هى الأخرى؟» فقالت رودا : «هى تحاول هذه المحاولة بالفعل» . فقال ديسبارد : «فلنتمن لها التوفيق ربما يكون شيئا مسليا لو تمكنت أن تنجح حيث يفشل باتل وشركاه» فقالت رودا :«ما شكل باتل هذا؟» فقال ديسبارد إنه رجل ضخم خشبى المنظر . وهو رجل شرطة قدير جدا» فقالت : «أوه ، آن تقول إنه رجل غبى أحمق» . فقال ديسبارد : «هذا فى نظرى من أصول المهنة . إنهم يتظاهرون بالغباء فقط. يجب أن نحذر . باتل ليس غبيا» .

ونهض . وقال : «حسنا ، يجب أن أنصرف من هنا . يوجد شىء واحد أحب أن أقوله» وسكت قليلا ، فنهضت آن واقفة ومدت إليه يدها مصافحة وهى تقول :«نعم؟» وأمسك ديسبارد يدها فى يده ، وظل ممسكا بها ، ثم نظر فى عينيها الواسعتين وقال :«أرجو ألا تغضبى منى . ربما تكون عندى بعض الشكوك بشأن الظروف التى جعلتك تتعرفين على رجل مثل شيتانا لكى يدعوك إلى حفل عشاء خاص . ربما لا تريدين أن تفحصى عن هذه الظروف . ولو كان الأمر كذلك ، فأنا أرجو ألا تغضبى من مجرد إشارتى إليه . (وهنا شعر أنها تجذب يدها من يده) - ثم استطرد ديسبارد قائلا :«أنت فى إطار حقوقك القانونية تماما لو امتنعت عن إجابة أى سؤال يوجهه إليك باتل مالم يكن محام لك موجودا» .

قالت آن ميرديث :«لا يوجد أى شىء .. لا شىء إطلاقا . كانت معرفتى طفيفة جدا بذلك الرجل المتوحش شيتانا . رودا تعرف ذلك تماما» فقال ديسبارد :«أنا آسف . ظننت أننى يجب أن أذكر هذه النقطة بالذات» وقالت رودا :«هذا الذى تقوله آن صحيح تماما .

آن تعرفت عليه معرفة طفيفة بالصدفة وبحضوري . لم تكن تحبه شخصيا أبدا . ولكن حفلاته كانت لذيذة فيما يبدو» . فقال ديسبارد :«كانت حفلاته بالفعل هي الحسنة الوحيدة لذلك الشيطان» . وعادت آن ميرديث تقول :«كبير المفتشين باتل يستطيع أن يسألني عن أي شيء يريده . ليس عندي شيء أخفيه . وليس عندي شئ يدينني في مقتل شيتانا . لا شيء» .

وقال ديسبارد :«من فضلك اعذريني» ونظرت نحوه آن ميرديث - وزال غضبها ، وهدأت مشاعرها ، وابتسمت . وكانت ابتسامة حلوة . وقالت : «وهو كذلك . كان مقصدك طيبا. أنا أعرف ذلك» ومدت يدها نحوه مرة ثانية . وتناول يدها في يده مرة أخرى وقال :«نحن في قارب واحد . أنت تعرفين ذلك . ومن الضروري أن نتعاون» .

وكانت آن ميرديث هي التي مضت معه نحو البوابة . وعندما عادت كانت رودا تحملق نحوهما من النافذة ، وكانت لا تزال واقفة تصفر . واستدارت فقط عندما دخلت صاحبتها إلى الحجرة فبادرتها رودا بقولها : «إنه رائع بشكل مخيف يا آن» . فقالت :«إنه جميل ، أليس كذلك ؟» فقالت رودا :«إنه أكثر من جميل . عواطفي لا تحدها حدود نحوه . لماذا لم أحضر أنا ذلك العشاء الملعون بدلا منك ؟ كنت أنا سأستمتع بالمشاعر المثيرة لذلك الحادث الفظيع ، والشبكة وهي تلتف حولي ، وبظلال المشنقة، والتعرف على هذا الرجل» فقالت آن ميرديث :«لا ، لا تتمنى كل ذلك يا رودا . أنت تخرفين» وكانت لهجة آن ميرديث فيها كثير من الخشونة ثم زالت الخشونة وهي تضيف قائلة :«كان جميلا منه أن يقطع كل هذه المسافات ثم يأتي عند فتاة لم يرها إلا مرة واحدة من قبل» .

قالت رودا :«أوه ، لقد سقط في شبكتك . الرجال لا يظهرون الشفقة دون غرض . إنه لم يكن ليأتي إليك لو كنت قبيحة الشكل ووجهك مليء بالدمامل» . فقالت آن ميرديث : «هل أنت تعتقدين ذلك؟» فقالت رودا :«أنا لا أعتقد ذلك فقط ، ولكنني أعتقد أن السيدة أوليڤر أيضا لديها دوافع قوية جدا» . فقالت آن ميرديث :«ولكنني لا أحبها أبدا . أشعر شعورا غريبا نحوها... وأنا أعجب : لماذا جاءت عندنا في حقيقة الأمر؟» .

قالت رودا :«حب الاستطلاع المعروف في الجنس الذي تنتمين إليه يا آن. وأنا أعتقد أن للميجور ديسبارد طاحونته الخاصة التي يطحن فيها الطحين الذي يخصه ، وهو غير طحين السيدة أوليڤر بطبيعة الحال ولاختلاف الجنس بينهما» .

قالت آن ميرديث : «إنه ليس من نفس جنس السيدة أوليڤر» ثم احمر وجهها وضحكت رودا داويز .

الفصل الرابع عشر
زائر ثالث

★ ★ ★ ★ ★

وصل كبير المفتشين باتل إلى وولنجفورد فى حوالى الساعة السادسة . ولقد كان قد عقد العزم على أن يلم قدر المستطاع بأى معلومات تتصل بمهمته من كلام الناس عن الهدف الذى يقصده قبل أن يصل إلى الآنسة آن ميرديث .

ولم يكن من الصعب الحصول على معلومات عادية كثيرة . ولم يعط باتل أى معلومات عن شخصه أو مهنته . وقال بعض الناس عنه إنه أحد عمال البناء من لندن يريد أن يبحث عن عمل فى الريف ، أو أن الفتاتين قد استأجرتاه ليضيف بعض المبانى إلى مبانى الكوخ عندما بدأ باتل يسأل عن الكوخ وسكانه .

وقال بعض الناس إنه يريد أن يستأجر كوخا لقضاء عطلة نهاية الأسبوع فى الريف الهادئ . وقال رجلان إنه مندوب مبيعات أدوات لعبة التنس . وكانت هنالك أقوال أخرى .

وسأل باتل أخيرا عن ويندون كوتاج . وكان يسمع الإجابة السريعة : «ويندون كوتاج ، نعم . إنه هنا – على طريق مالبورى . لا يمكن أن تخطئه . نعم . سيدتان فى عمر الشباب الغض . الآنسة داويز والآنسة ميرديث . إنهما جميلتان . من النوع الهادئ جدا» .

«إنهما هنا منذ سنوات ؟ أوه ، لا . ليس منذ وقت طويل . منذ الربع الأول من شهر سبتمبر الماضى فقط . اشتريتا الكوخ من السيد بيكرزجيل . لم يكن يريد أن يقيم فيه منذ ماتت زوجته» .

ولم تصل معلومات كبير المفتشين باتل إلى أنهما كانتا قد قدمتا من نور ثمبرلاند ولندن بل كان يظن أنهما قد قدمتا من بلدة مجاورة مع أن بعض الناس كان تفكيرهم من طراز

عتيق وكانوا يعتقدون أنه لا يليق أن تعيش فتاتان فى منزل بمفردهما . ولكنهما كانتا تعيشان حياة هادئة . كانت الآنسة رودا هى البنت الجريئة دائما . وكانت الآنسة ميرديث فتاة هادئة متحفظة . نعم ، كانت الآنسة رودا داويز هى التى تدفع الفواتير . وكانت هى التى تحصل على المال مع بيع آن منتجات زراعية .

وكان من الضرورى أن تفضى محاولات كبير المفتشين باتل للحصول على المعلومات به إلى أن يصل عند السيدة آستويل التى كانت تعمل فى خدمة الفتاتين فى ويندون كوتاچ .

وكانت السيدة آستويل سيدة ذربة اللسان . قالت :«حسنا ، لا يا سيدى ، لا أكاد أعتقد أنهما ترغبان فى بيع الكوخ . لن تبيعاه بهذه السرعة . لقد أقامتا فيه منذ أقل من عامين . لقد عملت معهما منذ البداية . نعم يا سيدى . من الساعة الثامنة حتى الثانية عشرة . هذه هى الساعات التى أعمل فيها معهما . حسنا جدا . شابتان مفعمتان بالحيوية . النكتة حاضرة دائما عندهما وتميلان إلى الفكاهة . ليستا متزمتتين على الإطلاق .

«حسنا يا سيدى – أنا بالطبع لا أستطيع أن أعرف ما إذا كانت هذه هى الآنسة داويز التى تعرفها أنت وهى من نفس العائلة التى تسأل عنها أم لا . أنا أعتقد أن أصل عائلتها فى ديفونشاير . تصلها القشدة من هناك لتبيعها هنا من آن لآخر . هكذا أعتقد .

«تماما كما تقول يا سيدى – من المحزن أن تضطر فتاتان أن تعملا لكسب عيشهما فى هذه الأيام . إنك لا يمكن أن تقول عنهما إنهما ثريتان، ولكنهما تتمتعان بحياة سعيدة ، الآنسة داويز هى التى تحصل على النقود طبعا . والآنسة آن ميرديث هى زميلتها ، تستطيع أن تقول ذلك . أعتقد أنك يمكن لك أن تقول إن الآنسة داويز هى التى تمتلك الكوخ .

«أنا لا أستطيع أن أقول من أى بلد جاءت الآنسة آن ميرديث . سمعتها تقول آيل أوف وايت ، وأنا أعرف أنها لا تحب شمال إنجلترا . هى والآنسة رودا كانتا يقيمان قبل ذلك فى ديڤونشاير ، لأننى سمعتهما تحكيان حكايات ضاحكة عن التلال التى هناك وسمعتهما تتحدثان أيضا عن الخلجان والبلاچ هناك» .

وكان تدفق الكلام من فم السيدة آستويل مستمرا سلسلا من سلسل . وكان باتل يبدى ملاحظة بسيطة أو يسأل سؤالا قصيرا ، فينهمر كلام السيدة آستويل انهمارا متدفقا . ولكن باتل لم يدون فى مفكرته إلا كلمات قليلة .

وفى الساعة الثامنة والنصف مساء كان يمشى فى الممر الصغير المفضى إلى مدخل ويندون كوتاچ . وفتحت له الباب فتاة طويلة ترتدى فوق ملابسها مريلة برتقالية اللون من قماش الكريتون . وسألها باتل :«هل الآنسة آن ميرديث تقيم هنا؟» وكان يبدو متخشبا تلوح

فى هيئته الملاح العسكرية . وقالت الفتاة :«نعم . هى تقيم هنا» . فقال باتل :«أنا أريد أن أتكلم معها من فضلك» . فقالت رودا داويز :«ادخل» .

كانت آن ميرديث تجلس على كرسى بالقرب من المدفأة ، وتشرب القهوة. وكانت ترتدى بيچاما من الكريب . وقالت رودا :«إنه كبير المفتشين باتل» .

ونهضت آن واقفة ومدت يدها مصافحة على طول امتداد يدها . وقال باتل: «وقت متأخر للزيارة ولكننى كنت أرجو أن أجدك بالمنزل . والجو اليوم لا بأس به» وابتسمت آن وقالت :«حسنا ، هل تشرب قهوة ؟» فقال باتل :«حسنا ، هذا كرم منك يا آنسة ميرديث» . فقالت آن :«أعتقد أننا نعمل القهوة جيدا» .

وجلس باتل فى الكرسى التى أشارت إليه آن ميرديث . وأحضرت رودا قدحا لامعا، وصبت آن القهوة فى الفنجان . وكانت ألسنة النار الهادئة فى المدفأة مع وجود بعض الأزهار فى إحدى الفازات تجعل الجلسة ممتعة فى تقدير كبير المفتشين باتل .

كان جوا منزليا بهيجا وممتعا . وكانت آن تبدو متماسكة هادئة الأعصاب. وكانت الفتاة الأخرى لا تكف عن النظر إليه متفحصة باهتمام شديد كما لو كانت سترسم تضاريس هيئته بعد ذلك اعتمادا على الذاكرة .

قالت آن :« لقد كنا نتوقع حضورك عندنا» . وبدا كما لو كانت تقول له: لماذا تأخرت فى المجىء إلينا؟ فقال باتل : «أنا آسف يا آنسة ميرديث . كان عندى عمل روتينى كثير لكى أنجزه» فقالت :«هل العمل مُرضٍ لك؟» فقال :«ليس تماما . لكنه عمل يلزم القيام به على أى حال . قمت بتقليب الدكتور روبرتس على كل جانب . وفعلت نفس الشىء مع السيدة لوريمير ، وجاء دورك يا آنسة ميرديث» فابتسمت آن ميرديث وقالت :«وأنا جاهزة» . وسألته رودا :«وماذا عن ميجور ديسبارد؟» فقال باتل : «لن نبحث شأنه . أؤكد لك ذلك» . ووضع فنجان القهوة من يده ، ونظر نحو آن ميرديث التى اعتدلت فى جلستها على الكرسى ثم قالت :«أنا جاهزة تماما يا سيادة المفتش . ماذا تريد أن تعرف؟» فقال باتل: «حسنا ، باختصار ، أريد أن أعرف كل ما يتصل بشخصك ..» فقالت آن وهى تبتسم :«أنا شخصية محترمة» . وقالت رودا : «عاشت حياة لا شبهة فيها – أنا أستطيع أن أشهد بذلك». فقال لها باتل :«حسنا ، أنت تعرفين الآنسة ميرديث منذ وقت طويل إذن؟» فقالت رودا :«كنا فى المدرسة سويا. يالها من عصور مضت فيما يبدو الآن! أليس كذلك يا آن؟» فقال باتل :«كان ذلك منذ وقت طويل فيما أعتقد . والآن يا آنسة ميرديث . يبدو أننى سأكون مثل كاتب فى مصلحة الجوازات أملأ استمارات جواز سفر» .

وبدأت آن تقول :«أنا كنت قد وُلدْتُ» – فأكملت رودا :«لأبوين فقيرين ولكنهما شريفان» فقالت آن :«رودا يا عزيزتى ، المسألة جادة الآن» فقالت رودا :«أنا آسفة» وقال باتل :«الآن يا آنسة آن ، أنت ولدت – أين؟» فقالت: «فى كوتيا بالهند» . فقال باتل :«آه، نعم ، كان أبوك من رجال الجيش» فقالت آن :«نعم ، كان أبى هو الميجور چون ميرديث. ماتت أمى عندما كنت فى الحادية عشرة من عمرى . وتقاعد والدى عن الخدمة بالجيش عندما كنت فى الخامسة عشرة من عمرى وذهب ليعيش فى تشلتنهام . ومات عندما كنت فى الثامنة عشرة من عمرى ، ولم يترك شيئا من المال» . وهز باتل رأسه بحنان وقال : «كانت هذه صدمة لك إلى حد ما؟» فقالت : «إلى حد ما . كنت دائما أعرف أن حالتنا المالية ليست متيسرة تماما . ولكن عندما وجدت عمليا أننى وحيدة فى الحياة ولا أمتلك أى نقود ، فهذا شيء مختلف» .

قال باتل بلهفة :«وماذا فعلتى يا آنسة ميرديث؟» فقالت :«كان يتحتم على أن ألتحق بأى عمل . ولم أكن قد تلقيت قسطا كبيرا من التعليم . ولم أكن أجيد أى مهنة . لم أكن أعرف الكتابة على الآلة الكاتبة أو الاختزال أو أى شيء آخر . وعثرت لى إحدى الصديقات فى شيلتنهام على عمل عند صديقة لها . رعاية طفلين أثناء الإجازة وبعض الأعمال المنزلية» .

قال باتل :«اسم صاحبة العمل وعنوانها من فضلك؟» فقالت :«السيدة إيلدون فى لارقشيز . ڤينتنور . مكثت هناك لمدة سنتين . ثم سافرت عائلة إيلدون إلى خارج البلاد. ثم التحقت بخدمة سيدة اسمها السيدة ديرنج .» فقالت رودا :«وهى خالتى» . فقالت آن : «نعم، خالتها ، ورودا هى التى ألحقتنى بالعمل عند خالتها . كنت سعيدة جدا . كانت رودا تحضر وتبقى معى أحيانا ، وكنا نقضى وقتا ممتعا» .

فقال باتل :«ماذا كنت تعملين هناك ؟ هل كنت مجرد مرافقة؟» فقالت :«نعم ، كان عملى يرقى إلى هذه المرتبة» وقالت رودا :«وكانت أيضا بستانية تحت التمرين . خالتى إميلى كانت مغرمة بفنون زراعة البساتين. وكانت آن تقضى معظم الوقت فى قص الحشائش والأغصان وتطعيم الأشجار وتزويدها بالماء وتسميدها وغير ذلك من أعمال البساتين» .

قال باتل :«هل تركت الخدمة والإقامة عند السيدة ديرنج؟» فقالت: «ساءت صحتها ، واقتضى الأمر أن تكون ممرضة محترفة فى خدمتها» . فقالت رودا :«أصيبت بمرض السرطان . حبيبتى المسكينة كان من الضرورى أنا تعالج بالمورفين وغيره من المسكنات» . وقالت آن : «كانت عطوفة جدا معى . وكنت أنا حزينة جدا لاضطرارى إلى مفارقتها» .

وقالت رودا :«وكنت أنا أبحث عن منزل ريفى صغير . وكنت لا أستطيع أن أعيش فيه بمفردى . اصطحبت آن للعيش معى فى هذا المنزل الصغير كما ترى . ونحن نعيش معا على وفاق تام» .

قال باتل :«يبدو أن هذه حياة لا شائبة فيها . يلزمنا فقط ضبط التاريخ فى كل مرحلة . لقد كنت تعملين مع السيدة إيلدون لمدة سنتين . على فكرة ، ما عنوانها؟» فقالت :«إنها فى فلسطين . حصل زوجها على عمل هناك . وظيفة حكومية ، أنا لا أعرف ما هى بالضبط» فقال باتل :«آه . سأعرف فى القريب العاجل . وبعد ذلك ذهبت للعمل عند السيدة ديرنج ؟» فقالت : «عملت عندها ثلاث سنوات . وعنوانها هو مارسن دين – لتيل هيمبورى ديڤون» .

قال باتل :«فهمت . أنت الآن عمرك خمسة وعشرين عاما يا آن . والآن، يوجد الآن شىء واحد هو اسم وعنوان شخصين فى تشيلتنهام يعرفانك وكانا يعرفان والدك» . وأمدته آن بهذين الاسمين .

قال المفتش باتل :«والآن ، ماذا عن تلك الرحلة إلى سويسرا – حيث تمت المقابلة بينك وبين السيد شيتانا – هل ذهبت إلى سويسرا بمفردك أم كانت الآنسة داويز معك ؟» فقالت آن ميرديث :«ذهبنا سويا . كانت هناك مجموعة من ثمانية أشخاص» فقال لها باتل :«أخبرينى عن لقائك مع السيد شيتانا» فقالت :«كان هذا اللقاء لمجرد أنه كان موجودا هناك . عرفناه بالطريقة التى تتعرف بها على أى شخص فى فندق . لقد حصل على الجائزة الأولى فى حفلة تنكرية . كان شيتانا يرتدى فى هذه الحفلة ملابس الشيطان» وقالت رودا : «لقد كان رائعا مدهشا . لم يكن يوجد بينه وبين الشيطان الحقيقى أى فرق» . وقال باتل : «من منكما التى تعرفت عليه أولا» وترددت آن فى الإجابة فقالت رودا :«اشتركنا فى التعرف عليه . كنا دائما معا ، نشترك فى كل شىء ونقابل أى شخص سويا . قابلناه سويا بعد هذه الحفلة مرات قليلة جدا . أنت تدرك أن جماعتنا فى رحلة سويسرا هذه كان أفرادها يكثرون من التزحلق على الجليد ومن حفلات السمر فى المساء وفى هذين المجالين لفت شيتانا ببراعته فى هذين النوعين نظر آن إلى حد ما. وكان فى بعض الأحيان يدفع ثمن طلباتها وأشياء وبعض المجاملات من هذا القبيل . لفت نظرها إليه إلى حد ما بمثل هذه الأمور» وقالت آن :«أنا أعتقد بالضبط أنه كان يفعل ذلك متعمدا لكى يغيظنى . كان يعرف أننى لا أحبه ، وكان يتعمد بهذه الأشياء أن يجعلنى مضطرة أن ألتفت إليه مع أننى لا أحبه» . وقالت رودا وهى تضحك :«كنا نقول لها أن زواجها منه سيكون زواجا مدهشا من رجل غنى . وكانت بكل بساطة تثور علينا عندما نقول لها ذلك» .

قال باتل :«ربما تستطيعين أن تذكرى لى أسماء الأشخاص الآخرين الذين اشتركوا معك فى الرحلة إلى سويسرا» . فقالت رودا :«أنت رجل شكاك . هل تعتقد أن ما نقوله لك مجرد أكاذيب» . فقال باتل :«أنا أحاول فقط أن أتأكد أنه ليس مجرد أكاذيب» فقالت رودا :«أنت بالفعل شكاك إذا كان هذا هو غرضك» وخطت رودا بعض الأسماء على شريحة من الورق وأعطتها له .

ونهض باتل وهو يقول :«حسنا ، أشكرك جزيل الشكر يا آنسة ميرديث . أنت بالضبط كما تقول الآنسة داويز – حياتك لا تثريب عليك فيها على الإطلاق . لا أعتقد أنه يجوز لك أن تنزعجى على الإطلاق . من الغريب أن طريقة السيد شيتانا فى الحياة قد جرفتك نحوه لحضور حفلة العشاء بمنزله تلك الليلة . ستلتمسين لى العذر فى كل هذه الأسئلة ، ولكنه فيما أعتقد لم يطلب منك صراحة الزواج منه . خصَّك فقط بتوجيه الانتباه نحوك ، وهذا شيء آخر ، أليس كذلك؟» فقالت رودا بحماس : «إنه لم يلفت نظرها على الإطلاق لو كان هذا هو ما تقصده» . واحمر وجه آن ميرديث وقالت: «لا شيء من ذلك على الإطلاق . كان دائما فى غاية الأدب – وكان يتصرف بطريقة رسمية لائقة . كانت أساليبه المعقدة الملتوية هى التى لفتت نظرى نحوه» فقال باتل :«هل تقصدين أشياء قليلة كان يقولها أو يتعمد التلميح إليها؟» فقالت :«نعم – على الأقل – لا ، هو لم يلمح أبدا إلى أى شيء » فقال باتل: «أنا آسف . طابت ليلتكما . القهوة ممتازة» .

وبعد إغلاق الباب وراء باتل قالت رودا :«وهكذا انتهى الموضوع ! وبدون فظاعة ! إنه رجل له مظهر أبوى لطيف . ومن الواضح أنه لا يشك ولا يرتاب فيك على الإطلاق . لقد انتهى الموضوع أفضل بكثير جدا مما كنت أتوقع» .

وجلست آن ميرديث وهى تفكر ثم قالت :«فى الحقيقة كان سهلا جدا. كان من السخف أن أشغل نفسى بكل هذه الهموم . كنت أعتقد أنه سيعصرنى فقالت رودا :« إنه معقول فيما يبدو . ومن الضرورى أنه يعرف أنك لست من نوع البنات القاتلات» .

وبعد قليل قالت رودا :« أنا أقول يا آن – أنت لم تخبريه أنك قضيت بعض الشهور فى العمل فى بلدة كروفتوريز . هل كان ذلك بسبب النسيان؟» فقالت آن بعد شيء من التردد:«أنا لا أعتقد أن هذا شيء مهم . قضيت فى تلك البلدة شهورا قليلة . ولا يوجد أى شخص يسأله عنى هناك. أستطيع أن أكتب إليه وأخبره بهذه المعلومة لو تعتقدين أنها على شيء من الأهمية ، ولكننى متأكدة أنها لا تهم ، فلنهمل شأن هذه المعلومة» . فقالت رودا: «وهو كذلك مادمت تعتقدين ذلك» .

الفصل الخامس عشر
الميچور ديسبارد

* * * * *

خرج ميچور ديسبارد من شارع ألبانى ومشى منحرفا بمقدار زاوية كاملة لكى يدخل فى شارع ريچنت وقفز بداخل الأتوبيس .

كان الوقت وقت هدوء فى المواصلات . وكانت مقاعد قليلة فى الطابق العلوى من الأتوبيس هى المشغولة بينما معظم المقاعد لا يجلس عليها أحد . وتقدم ديسبارد إلى الأمام وجلس فى أحد المقاعد الأمامية .

كان ديسبارد قد قفز إلى الأتوبيس أثناء سير الأتوبيس . ووصل الأتوبيس الآن إلى إحدى المحطات ، وصعد إليه بعض الركاب ثم تحرك الأتوبيس فى شارع ريچنت مكملا خط سيره.

وكان الشخص الثانى الذى صعد إلى الأتوبيس فى تلك المحطة قد صعد إلى الطابق العلوى من الأتوبيس أيضا ، وشق طريقه نحو مقدمته وجلس فى الكرسى الأمامى أيضا، ولكن فى جانب آخر من الأتوبيس .

ولم يلتفت ديسبارد إلى هذا الشخص الذى جلس فى الكرسى المجاور له ، ولكن بعد وقت قليل جدا تمتم صوت مألوف لديه قائلا :«إنه منظر حلو لمدينة لندن ، منظرها عندما ينظر إليها الإنسان من الطابق العلوى للأتوبيس ، أليس كذلك؟»

وأدار ديسبارد رأسه نحو الشخص الذى يقول هذا الكلام ثم أشرق وجهه وقال : «عفوا يا سيد بوارو . أنا لم ألحظ أنك أنت الذى جلست بجوارى . نعم ، أنت على صواب فى كل ما تقوله . يحصل الإنسان على منظر كذلك المنظر الذى تراه عين الطائر من هذا المكان .

وكان هذا المنظر أفضل فى السنوات الماضية عندما لم تكن هذه الأقفاص الزجاجية موجودة حول الشرفات» .

قال بوارو :«ومع ذلك لم يكن المنظر جميلا عند ازدحام الأتوبيس فى يوم مطير ، والأيام المطيرة كثيرة فى هذا البلد» فقال ديسبارد :«المطر ، المطر فيه خير كثير ، ولم يؤذ المطر أى إنسان» فقال بوارو :«أنت مخطئ . إنه يفضى بكثير من الناس إلى التقوقع داخل صناديق المنازل أو الملابس» .

ابتسم ديسبارد وقال :«أنا أرى أنك تنتمى إلى مدرسة أولئك الأشخاص الذين يلتفون فى ملابسهم جيدا فى الشتاء يا سيد بوارو» . وكان بوارو بالفعل قد احتاط جيدا حتى لا يتعرض لخيانة يوم من أيام الخريف عندما يحلو ليوم من أيام الخريف أن يتحول إلى يوم من أيام الشتاء . كان بوارو يرتدى بالفعل معطفا ثقيلا وفوقه عباءة . وقال ديسبارد أيضا :« من الغريب أن ترتدى ملابس ثقيلة على هذا النحو فى هذا الوقت من السنة يا سيد بوارو!» ولم يشاهد ديسبارد الابتسامة التى أخفتها عنه عباءة بوارو وقال ديسبارد :ألا توجد غرابة فى هذه المصادفة التى جعلت ديسبارد يخرج من مسكنه ويقفز داخل الأتوبيس الذى ركبه بوارو فى المحطة التالية؟» وقال بوارو: « هذا صحيح . لم نتقابل منذ ذلك العشاء الأخير فى منزل شيتانا» .

قال ديسبارد :«ألست تساعد بجهودك فى حل ألغاز هذه القضية ؟» فقال بوارو هو يدلك طرف أذنه بطرف أصبعيه تدليكاً خفيفا «أنا أفكر فقط . أفكر كثيرا. أما أن أجرى هنا وهناك لعمل التحريات اللازمة فهذا ليس شأنى . هذا لا يتلاءم مع طبيعة عمرى . لقد تقدم بى العمر كما ترى . أصبحت التحريات لا تتلاءم مع طبيعة عملى ولا تتلاءم مع طابعى الحالى» .

قال ديسبارد :«أنت تفكر إذن ؟ تفكر فقط ؟ إيه ؟ حسنا ، التفكير أفضل . يوجد أناس كثيرون يندفعون فى العمل هذه الأيام دون أن يفكروا . ولوكانوا يفكرون قبل أن يعملوا لما كان هنالك هذه التخبطات الكثيرة التى نشهدها فى أيامنا هذه» .

قال بوارو :«هل هذا هو منهجك فى الحياة يا ميجور ديسبارد ؟» فقال ديسبارد : «هذا طبيعى . احشد إمكاناتك . حدد طريقك . اعمل حساباتك. اتخذ قرارك ولا تحد عنه» . وزم ديسبارد شفتيه فقال بوارو :«وبعد ذلك لا شيء يجعلك تغير طريقك ، أليس كذلك؟» فقال ديسبارد :«أنا أقول ذلك . لو ارتكبت خطأ ، أعترف به وعدل مسارى» فقال بوارو :

«ولكننى أعتقد أنك لا ترتكب أخطاء كثيرة يا ميجور ديسبارد» فقال ديسبارد :«نحن جميعا نرتكب أخطاء يا سيد بوارو» . فقال بوارو : «بعض الناس يرتكبون أخطاء أقل من الآخرين» . ونظر ديسبارد إليه نظرة عميقة ممتزجة بتفكير عميق ثم قال:« ألم تفشل فى شىء أبدا يا سيد بوارو؟» فقال بوارو باعتزاز شديد : «كانت آخر مرة واجهت فيها الفشل منذ ثمانية عشر عاما . وحتى فى هذه المرة كانت هنالك ظروف – ولكن هذا لا يغير من النتيجة» . فقال ديسبارد: «هذا سجلٌ عظيم جدا» . ثم أضاف ديسبارد يقول :« ماذا عن قضية قتل شيتانا ؟ هذه لا تدخلَ فى سِجلِّكَ فيما أعتقد حيث إنك لست مكلفا بالتحقيق فيها رسميا» .

قال بوارو :«ليست قضية رسمية بالنسبة لى . لا . ومع ذلك فهذه القضية فيها تحد خطير لى شخصيا . أنا أعتبرها وقاحة . أنت تفهم قصدى . إنها جريمة قتل ارتكبها القاتل الجرىء تحت أنفى ، على مسافة أمتار قليلة منى متحديا بذلك قدرتى على إبداء الرأى فيها!» فقال ديسبارد :«لم تقع هذه الجريمة تحت أنفك فقط ولكنها حدثت تحت أنف قسم التحقيقات الجنائية أيضا» . فقال بوارو :«كانت هذه غلطة كبيرة . ربما يبدو كبير المفتشين باتل المربع الشكل متخشبا إلى حد ما ، ولكنه ليس متخشب العقل على الإطلاق» . فقال ديسبارد :«أنا أتفق معك . تخشبه مجرد مظهر يتظاهر به ، ولكنه ضابط شديد الحرارة مقتدر فى عمله» . وقال بوارو :«وأنا أعتقد أنه نشيط جدا فى العمل فى هذه القضية» .

قال ديسبارد :« أوه ، إنه نشيط بدرجة كافية جدا . انظر خلفك لتجد واحدا من المخبرين العاملين معه يجلس فى الكرسى الخلفى فى هذا الأتوبيس» . فقال بوارو وهو يتطلع خلفه : «لا يوجد أحد فى الكرسى الخلفى الآن» فقال ديسبارد :«آه ، لم يبق جالسا فى الكرسى الخلفى ، لقد تحرك قليلا للأمام . إنه يجلس الآن فى مقعده فى وسط الأتوبيس . إنه لا يفقد أثرى أبدا . إنه يتبع كل خطواتى . إنه فى غاية الكفاءة . إنه يغير شكله مرة عن المرة الأخرى . فنان تماما كثير التفنن فى هذا الشأن . «فقال بوارو :«آه ، ولكن هذا بالطبع لايخدع رجلا مثلك . عينك سريعة الملاحظة بالغة الذكاء. فقال ديسبارد :«أنا لا أخطىء فى وجه أراه ، ولو كان زنجيا بين الزنوج . أجيد هذا أكثر كثيرا مما يتخيله كثير من الناس .

قال بوارو : «أنت بالضبط الشخص الذى أحتاج إليه . يالها من فرصة أن نلتقى بالصدفة اليوم . أنا أريد شخصا له عين جيدة وذاكرة جيدة . ومن العجيب حقا أنهما لا يجتمعان فى شخص واحد . سألت الدكتور روبرتس سؤالا لم يعطنى ردا وافيا . وفعلت نفس الشىء

وحصلت على نفس النتيجة مع السيدة لوريمير . وأنا الآن أريد أن أعرف ما إذا كان من الممكن أن أحصل على ما أريده ؟ أريد القدرتين في شخص واحد ! ارجع بذاكرتك إلى الوراء وعُدْ بها إلى تلك الحجزة التى كنتم تلعبون فيها لعبة البريدچ فى منزل شيتانا وأخبرنى بكل ما تستطيع أن تتذكره من محتوياتها» .

وبدا ديسبارد حائرا وقال :«أنا لا أفهم قصدك تماما .» فقال بوارو : «أعطنى وصفا للحجرة - أثاثها - والأشياء التى كانت موجودة بها» فقال ديسبارد :« أنا لا أعرف أن لى يدا طولى فى هذا المجال من مجالات القدرات البشرية . لقد كانت نوعا من الحجرات العفنة فى نظرى . لم تكن حجرة تليق أن يقيم فيها بشر إقامة مستديمة . كمية كبيرة من أقمشة التنجيد المطرزة والأقمشة الحريرية تغطى بعض القطع من الأثاث العتيق الطراز. كان نوعا من الحجرات التى تتفق مع ذوق رجل مثل شيتانا» .

قال بوارو :«ولكن لو شئنا تفاصيل المحتويات؟» فقال ديسبارد :«يؤسفنى أننى لم ألاحظ أى تفاصيل . كانت عنده كمية لا بأس بها من السجاد . سجادتان من بخارى وثلاثة أو أربعة من قطع السجاد الإيرانى ، فيها واحدة من همذان وأخرى من تبريز . وكانت توجد إحدى اللوحات ، لا ، كانت هذه موجودة فى الصالة» .

قال بوارو :«ألا تعتقد أن شيتانا كان رجلا من النوع الذى يذهب إلى الغابات ويصطاد الوحوش ؟» فقال ديسبارد :«ليس هو من هذا النوع من الرجال . إنه لا يجيد إلا الجلوس . أنا أراهن على هذا . ماذا كان يعمل أكثر من ذلك ؟ يؤسفنى أننى لم أحقق رغبتك ، ولكننى فى الحقيقة لا أستطيع إنجاز مطلبك . أى أشياء صغيرة كانت هناك كانت المناضد تزدحم بها . وأنا لم أهتم بأى شىء منها سوى تمثال جميل التشكيل والألوان ولوحة لبحيرة شرقية . وخشب مصقول جيداً . لا ، يؤسفنى أننى لا أستطيع أن ألبى مطلبك بطريقة جيدة» فقال بوارو : «لا يهم» وحاول التظاهر بشىء من الحزن والأسى لذلك ثم قال : «هل تعرف أننى اكتشفت أن السيدة لوريمير تمتلك ذاكرة قوية فيما يتصل بكل الألعاب التى تضمنها كل دور من الأدوار . كانت تعرف ماذا لعب فلان وماذا لعبت فلانة وماذا لعب فلان بعدها وماذا لعبت هى وهكذا بإطراد حتى ينتهى الدور بفوز أحد اللاعبين فوزا نهائيا ؟! كانت مدهشة !» وهز ديسبارد كتفيه وقال : «هذا شأن بعض النساء لأنهن يلعبن طوال النهار وطرفا من الليل فيما أعتقد» . فقال بوارو : «هل تستطيع أنت أن تفعل ذلك ؟» وهز ديسبارد رأسه وقال : «أستطيع أن أتذكر لعبة أو لعبتين فى الدور فقط . مثلا كنت سأكسب بالديامондس وفوجئت بأن روبرتس أطار النصر من يدى ، ونام ولم يقبل التحدى

لتفاجئني السيدة لوريمير بما أضاع النصر الذى كنت أحلم به . أستطيع أن أتذكر ألعابا من هذا القبيل» . قال بوارو : «هل تلعب البريدج كثيرا؟» فقال ديسبارد: لست لاعبا مستديما مدمناً للعبة مع أنها لذيذة» . فقال بوارو : «هل تفضل عليها ألعابا أخرى » فقال : «نعم . أفضل ألعابا أخرى فيها مغامرة ومخاطرة أكثر من البريدج» فقال بوارو : «أنا لا أعتقد أن شيتانا كان يلعب أى لعبة من ألعاب الورق» . فقال ديسبارد :«هناك لعبة وحيدة كان شيتانا يلعبها باستمرار» . فقال بوارو :«وماهى ؟» فقال ديسبارد: «لعبة جذب السيقان» . فقال بوارو بعد شىء من التأمل والتفكير : «هل تعرف عنه ذلك أم أنك تخمن مجرد تخمين ؟» .

احمر وجه ديسبارد احمرارا طُوبِيًّ اللون لدى سماعه هذا السؤال. ثم قال ديسبارد: «ليس من اللازم عندما نستدل بجملة من الكتاب المقدس أن نذكر الإصحاح ورقم الجملة فى الإصحاح . لست ملزما أن أقول كل شىء . وأنا أكتفى بأن أقول إننى أعرف أن هذه هى لعبته المفضلة الوحيدة . وهذه المعلومة قد عرفتها من خلال تجربة شخصية لا أحب أن أذكر تفاصيلها» . فقال بوارو : «هل تتصل هذه التجربة بامرأة أو بعض من النساء ولذلك لاتستطيع أن تتكلم عنها؟» فقال ديسبارد : «نعم ، كان شيتانا مثل كلب قذر يحب أن يتعامل مع النساء» . فقال بوارو : «هل تعتقد أنه كان يفعل ذلك بقصد الابتزاز؟ هذا شىء مثير» . فقال ديسبارد وهو يهز رأسه نفيا: «لا ، لا. لقد أسأت فهمى . هذه هى الطريقة الوحيدة التى أستطيع أن أستخدمها فى التعبير . لقد كان يستمتع فقط بأن يرى الناس وهم يتعذبون ويصارعون الخوف والقلق والقهر والعجز وقلة الحيلة . أنا أعتقد أن ذلك كان يجعله يتذبذب بين أن يكون أحقر من القملة وأكبر من أى إنسان يقع فى مصيدته.كانت تلك هى لعبته وكانت تلك هى لعبته الوحيدة . حقير يستمتع بأن يجعل غيره مضطرا إلى الشعور بالحقارة أكثر مما يشعر بها هو شخصيا . وهذه اللعبة شديدة التأثير بوجه خاص على النساء . كان يكتفى بأن يلمح فقط إلى أنه يعرف عنهن ما يعرف ، وعلى الفور يخبره النساء بكل ما عندهن فيحصل منهن على أكثر مما كان يعرفه عنهن. وكان ذلك يشبع رغبته فى التسلية . ثم يتفاخر بطريقته الشيطانية بأنه يعرف كل شىء ! ويقول فى نفسه أنا شيتانا العظيم لاتخفى عنى خافية ! كان الرجل نوعا منحطا من القردة» .

قال بوارو ببطء : «هل تعتقد أنه قد أخاف الآنسة ميرديث بهذه الطريقة؟ وماذا حصل عليه منها بهذه الطريقة؟» فقال ديسبارد : «الآنسة ميرديث ؟ لا ، أنا لم أكن أفكر فيها . إنها ليست من النوع الذى يخاف من شيتانا» .

قال بوارو : «عفوا . هل تقصد السيدة لوريمير؟» فقال ديسبارد : «لا . لا . لا . لقد أسأت فهمي أكثر وأكثر . أنا كنت أتكلم بوجه عام . ليس من السهل أن يخيف امرأة مثل السيدة لوريمير . إنها ليست امرأة يمكن أن يتصور أحد أنها قد ارتكبت خطأ أو جريمة لم يتم الكشف عنها . لا ، أنا لم أكن أتكلم عن امرأة بعينها» . فقال بوارو : «كنت تتكلم عن طريقته بوجه عام؟» فقال ديسبارد : «بالضبط» .

قال بوارو : «لاريب في أن من تسميه بالشيطان كان لديه دائما دراية بطبيعة تفكير النساء . إنه كان يعرف جيدا كيف يقترب منهن . وكان يعرف كيف يستل الأسرار من صدورهن» . فقال ديسبارد بعد فترة صمت وتأمل : «هذا سخيف وغير معقول .كان الرجل مجرد جماد هامد ، لا خطر منه في حقيقة الأمر ، ومع ذلك كانت النساء مرعوبات منه . شيء مضحك ومؤسف» .

ثم قال ديسبارد : «أهلا ، لقد فاتت محطتي . لقد اندمجت فيما كنا نتكلم عنه . وداعا وإلى اللقاء ياسيد بوارو . انظر وستجد ظلي الذي يتبعني ينزل من الأتوبيس في المحطة الذي سأنزل فيها» . وأسرع إلى سلم النزول ونزل فعلا قبل أن يقف الأتوبيس بمسافة كبيرة .

وعندما نظر بوارو من زجاج الأتوبيس للخلف ، شاهد ديسبارد وهو يمشي عائدا في الاتجاه المعاكس لمسار الأتوبيس . ولم يهتم بأن ينظر إلى ظل ديسبارد وهو يغادر الأتوبيس عندما وصل إلى المحطة التالية . كان بوارو يفكر عندئذ فحسب في قول ديسبارد : «لا أحد على وجه الخصوص» .

* * * *

الفصل السادس عشر
إفادة من إلسى بات

* * * * *

كان الرقيب أوكونور ملقبا بين زملائه فى إدارة سكوتلانديارد بأنه كان رجلا وسيما جدا . كان طويل القامة مع اعتدال تام فيها ، وكان عريض المنكبين مفتول الذراعين . وكان التناسب والتناسق والجمال فى قسمات وجهه بمعايير وسامة الرجال لايقل بأى حال عن جمال لون ولمعان عينيه مما كان يجعل له جاذبية لاتقاوم من جانب بنات الجنس اللطيف . ولم يكن أحد يجادل على الإطلاق فى أن الرقيب أوكونور قد حقق بهذه المؤهلات فى مجالات البحث الجنائى السرى قدرا هائلا من النجاح .

وبسرعة ، بعد أربعة أيام فقط من وقوع جريمة قتل شيتانا ، كان الرقيب أوكونور يجلس بجوار الآنسة إلسى بات فى مقاعد الثلاثة شلنات وست بنسات . وكانت الآنسة إلسى بات هذه هى وصيفة السيدة كرادوك فى المنزل رقم ١١٧ فى شارع نورث أودلى .

وعندما اقترب الرقيب أوكونور من هدفه المنشود بدقة ومهارة بدأ فى تقديم الطعم . فقال: «يذكرنى بأحد الرجال . كان اسمه كرادوك كان لعنة من لعنات الزمان لو شئت أن تقولى ذلك» .

قالت الآنسة إلسى : «كرادوك . كنت أعمل عند أسرة كرادوك فى بعض الأيام التى مضت» . فقال أوكونور : «هذا عجيب . هل كانوا على نفس هذه الشاكلة ؟» فقالت إلسى: «كانوا يقيمون فى شارع نورث أودلى نعم ، أنا أعتقد أنهم كانوا يقيمون فى نورث أودلى، أنا لم أستطع أن أطيق صبرا مع السيدة كرادوك هذه . دائما كانت تجد عيبا فى أى شيء أعمله وتظل تشكو منه حتى تجد عيبا آخر تشكو منه!» .

قال أوكونور : «كان زوجها أيضا يقاسى منها» . فقالت : «لقد كانت دائما تشكو من أنه يهملها – ومن أنه لايفهمها . وكانت دائما تقول إنها معتلة الصحة مصابة بعديد من الأمراض ، وتظل تئن وتتوجع . ولوسألتنى لقلت لك إنها لم تكن تعانى من أى مرض فى حقيقة الأمر» .

واقترب أوكونور بجسمه منها كما لو كان مشوقا إلى سماع المزيد من كلامها وقال : «عرفتها . ألم يكن هناك كلام يقال عنها وعن طبيب اسمه ، طبيب اسمه...؟ كان كلاما غير مستساغ ؟» فقالت : « أنت تقصد الدكتور روبرتس ؟ كان رجلا جميلا . كان» . فقال أوكونور : «أنتن أيتها البنات ! آه منكن ! أنتن تشبه كل واحدة منكن الباقيات. كلكن سواء من هذه الناحية ومن الناحية الأخرى . كلما كان الرجل لعوبا تعلقت البنات برقبته ، أنا أعرف هذا النوع من البنات . مغرمات فقط بالرجل اللعوب . يبتعدن عن الرجل الجاد!» .

قالت إلسى : «لا . لا تقل هذا . لقد أخطأت فى حق الرجل . لم يكن هنالك شىء من هذا النوع بالنسبة لهذا الرجل بالذات ، ولم تكن غلطته هو . كانت الغلطة غلطة السيدة كرادوك التى كانت دائما ترسل فى طلبه لكى يفحص حالتها الصحية بالمنزل . وماذا يفعل الطبيب حيال ذلك ؟ لو أنت سألتنى لم يكن يدور فى ذهنه شىء من ذلك أبدا . لم يكن ينظر إليها إلا باعتبار أنها مريضة . كان كل شىء من ترتيبها وتخطيطها هى . لم تكن تريد أن تتركه فى حاله أبدا» .

قال أوكونور : «كل هذا لاشىء فيه يا إلسى . لا تؤاخذينى فى أن أقول اسمك هكذا بدون تكليف خصوصا أنه اسم جميل ، لطيف وخفيف. هل تؤاخذيننى فى ذلك ؟ أنا أشعر الآن كما لو كنت أعرفك منذ سنين طويلة مضت» . وهزت إلسى رأسها وقالت : «لا بأس فى ذلك . وأنا أشعر نحوك نفس الشعور مع أنك لم تعرفنى منذ سنوات طويلة» .

قال أوكونور : «حسنا يا إلسى . كنت أقول أن كل هذا الكلام لا بأس به ، ولكن زوجها ، زوجها كان متحجرا ، أليس كذلك؟» فقالت : «ذات يوم لعب الفأر فى داخل صدره . ولكن لوسألتنى عن السبب لقلت إنه كان مريضا فى ذلك اليوم بالذات . ومات بعده بأيام قليلة المسكين!» .

قال أوكونور : «أنا أتذكر ذلك – مات بسبب غريب ، أليس كذلك؟» فقالت : « شىء مصنوع فى اليابان – فرشاة حلاقة كان قد اشتراها . هذا شىء مرعب ، أليس كذلك ؟ لم أكن أتخيل وجود أشياء مصنوعة فى اليابان لتقتل الناس بسرعة بهذه الطريقة!» .

قال أوكونور : «اشترى فرشاة حلاقة أم أنك تقولين أنه كان يتناقش مع الدكتور روبرتس بشأن زوجته؟» وأومأت إلسى برأسها مصممة على كلامها وهى منشرحة الصدر أنها قد عثرت على موضوع يشد انتباه ذلك الرجل الوسيم الجالس بجوارها من خلال إحياء فضيحة قديمة نسيها الناس مع أنها كانت شاهدة عيان على وقائعها . كم يلذ لها الآن أن تحكى

مشاهد ووقائع هذه الفضيحة التى يلعب الجنس دورا مهما فيها لهذا الرجل الوسيم .

قالت إلسى مستخدمة أسلوب الاستعارة المكنية لإضفاء المزيد من التشويق على الحكاية التى وجدت فرصة مناسبة لكى تحكيها من جديد : «لقد كان الرجلان ، زوج السيدة كرادوك والدكتور روبرتس مثل المطرقة والسندان . كان زوجها فى البداية هو الذى جعل العلاقة بينهما تأخذ هذا الشكل ، كان الدكتور روبرتس رجلا هادئ الطباع . كان يقول هذا كلام فارغ . ما هذا الكلام الفارغ الذى تحشو به رأسك؟» .

قال أوكونور : «كان هذا النقاش بين الرجلين فى منزل كرادوك طبعا؟» فقالت إلسى : «نعم ، كانت هى التى قد استدعت الطبيب وعندما عاد زوجها إلى المنزل ، وكان الطبيب لايزال موجودا بالمنزل ، همست فى أذن زوجها وقالت له بضع كلمات هاج زوجها وماج وقال كلاما فظيعا فى مواجهة الطبيب» .

قال أوكونور : «وماذا قال زوجها للطبيب بالضبط؟» فقالت : «حسنا ، بالطبع لم يكن من المفروض أن أسترق السمع . كان ذلك فى حجرة نومها . وظننت وصح ظنى أن شيئا غير عادى يحدث فى حجرة النوم ، تظاهرت بأننى أقوم بتنظيف الأرضية، واقتربت من الباب. لم أكن أريد أن يفوتنى شيء» .

وشعر الرقيب أوكونور بالراحة عندما تأكد أن الآنسة إلسى ستفضى بكل ما عندها من معلومات كان من المستحيل أن تفضى بها فى تحقيق رسمى تحسب حساب كل كلمة تقولها وتخشى عاقبتها . وفى هذه الحالة ليس هناك أسهل من أن تقول إنها لم تكن قد شاهدت ولم تكن قد سمعت ولم تكن قد عرفت أى شيء على الإطلاق . ولكنها الآن مستعدة تماما أن تقول كل شيء . يكفى فقط أن يصغى إليها ثم يكتب تقريره الذى سيصفق له كبير المفتشين باتل شخصيا وأراد أن يحلم بمكافأة كبيرة هذه المرة ربما تكون ترقية قبل زملائه . وعندئذ قال لها : «وماذا بعد؟» .

قالت إلسى : «كنت أقول إن الدكتور روبرتس كان هادئا جدا . وكان الصياح كله من جانب سيدى زوج السيدة كرادوك» .

قال أوكونور : «ماذا كان السيد كرادوك يقول للدكتور روبرتس؟» فقالت إلسى : «كان يشتمه ويحط من شأنه بألفاظ فظيعة ، ويتهمه بأنه كان يريد أن يغتصب زوجته ويتعمد مداعبة أجزاء حساسة من جسمها بيده بحجة أنه يريد أن يشخص مرضها . كان يقول إن الدكتور روبرتس قد خالف أصول المهنة . كان يقول له : هذا مسلك غير طبى . أنت تنتهز الفرصة . وكان يقول أشياء أخرى من هذا القبيل إلى حد أننى سمعت أنه يقول

له إنه سيعمل على محو اسم الدكتور روبرتس من سجل الأطباء . كيف كان يستطيع ذلك؟ كان يقول أشياء مثل هذه الأشياء» .

فقال أوكونور : «هذا صحيح . كان يستطيع أن يشكوه لنقابة الأطباء وللمجلس الطبى الأعلى» . فقالت إلسي : «نعم ، كان الرجل المهتاج يقول ذلك بطريقة هستيرية. وكان يقول بأعلى صوته : «أنت لاتعبأ بكرامتى – أنت تهزأ برجولتى – أنت تتخلى عن المبادئ السليمة كلها – وأشياء من هذا القبيل . ولكننى سمعت السيدة كرادوك تقول له إن الدكتور روبرتس ملاك فيزداد السيد كرادوك هياجا وصياحا . ثم خرج الدكتور روبرتس من حجرة النوم وهو يسحب السيد كرادوك من يده ، وأغلق باب حجرة النوم وراءهما ، وسمعت الدكتور روبرتس يقول للسيد كرادوك : يارجل ياطيب – ألا تعرف أن زوجتك تخرف؟ إنها لا تعرف معنى ما تقوله -- أقول لك الحق، حالتها صعبة جدا – أنا كنت أريد أن أتوقف عن علاجها لولا أننى لاحظت أنها (وقال كلمة طبية طويلة جدا لم أعد أتذكرها من الممكن أن تكون كومبليكتد سايكو(معقدة نفسيًا) أو أى شيء من هذا القبيل) واستمر الدكتور روبرتس بعد ذلك يقول : أنا قلت لنفسى إنها حتى لو كانت بهذه الحالة فهى تستحق أيضا الرعاية الطبية ولكن على هذا الأساس – هذا هو السبب فى أننى ظللت أقدم لها ما أعتقد أنه حقها فى العلاج – وهى لم تكن ستدعنى لشأنى أبدا – الوساوس تتغلب عليها – أنا لم أتخط حدودى أبدا معها – لاتصدق كلامها إنها تهذى – وقال كلاما من هذا النوع ، وهدأ السيدكرادوك قليلا فقال له الدكتور روبرتس : أنت ستذهب إلى عملك مرة أخرى . فكر فى الموضوع بهدوء وستعرف أن الضجة قد تمخضت عن لاشيء. أنا فقط سأغسل يدى وأذهب لعيادة حالة أخرى . ليست زوجتك هى السيدة الوحيدة التى أعالجها ، ولم يحدث أن قالت أى مريضة أى شيء مما تقوله زوجتك . اسمح فقط أن أغسل يدى . ودخل الدكتور روبرتس إلى الحمام» .

قال الرقيب أوكونور : «وزوجها ، كيف تصرف بعدذلك؟» فقالت : «خرج وعاد إلى عمله ولكنه كان يبدو مريضا معتلا إلى حد ما . أما الدكتور روبرتس فقد غسل يديه بالماء الساخن المخلوط بالماء البارد ، والصابون . وكانت أدوات الحلاقة موجودة على رف فى أعلى الحوض . وكانت الفرشاة اليابانية أيضا موضوعة على الرف . وبعد ذلك خرج الدكتور روبرتس يحمل حقيبته الصغيرة وهو يصفر بفمه ، وقام بوداعى بطريقته المعتادة فى كل مرة. وبعد أيام قليلة مات السيد كرادوك وقال بعض الناس إن الطبيب كان قد وضع ميكروبات الأنتراكس على الفرشاة ، وقال بعض الناس ، لا ، بل كانت الفرشاة من النوع اليابانى الذى كان يحمل العدوى ولا ذنب للطبيب» .

قال الرقيب أوكونور : «وهل عاد الدكتور روبرتس بعد وفاته إلى المنزل أم أنه تخلى عن علاج سيدتك نهائيا؟» فقالت : «لم يعد الدكتور روبرتس بعد ذلك إلى المنزل أبدا ، كيف كان يعود إلى المنزل والشائعات تحاصر علاقته بالسيدة كرادوك وزوجها المتوفى ؟ أنا أقول إنه لم يكن هناك شيء . لو كان هناك شيء لتزوجها بعد موت زوجها أليس كذلك ؟ ولكنه لم يتزوجها أبدا . إنه لم يكن مغفلا إلى هذا الحد . عرف حقيقتها جيدا . كانت قد اعتادت أن تتصل به هاتفيا من المنزل ، وكان الرد دائما أنه غير موجود . ثم باعت المنزل ، واستغنت عن خدماتنا . وسافرت إلى مصر» .

قال الرقيب أوكونور : «ولم تشاهدى الدكتور روبرتس يحضر عندها بعد وفاة زوجها حتى سافرت إلى مصر؟» فقالت : «لم يحضر عندها فى المنزل ، ولكن قبل أن تسافر، وقبل أن نترك خدمتها أعرف أنها هى التى ذهبت إليه مرة قبل سفرها مباشرة وذلك لكى تحصل لنفسها علي ما يسمونه التطعيم ضد مرض الحمى . ورجعت وذراعها متورم من جراء هذا التطعيم . وأنا أعتقد أنه قد قال لها إنه لايريد أى علاقة معها على أرض بريطانيا ولكنها عادت من عنده منشرحة الصدر ، واشترت على الفور كمية كبيرة من الملابس البيضاء والفاتحة اللون ، كلها فاتحة اللون مع أننا كنا فى منتصف الشتاء . ولكنها قالت لى إن الدفء فى مصر ، وربما تتزوج على أرض مصر بدلا من أن تتزوج على أرض بريطانيا . وربما كان ذلك هو السبب فى كل تلك الملابس البيضاء والفاتحة اللون التى كانت قد قامت بشرائها» .

قال الرقيب أوكونور : «الجو دافئ صحيح فى مصر . وهى ماتت هناك بسرعة ، أليس كذلك؟» فقالت : «أنا لا أعرف ما حدث لها فى مصر . ربما كانت قد ماتت هناك وأنا لا أعرف» .

وقال الرقيب أوكونور : «ربما لا أزعجك بأى أسئلة أخرى . يجب أن أذهب بسرعة إلى مقر الشركة التى أعمل بها» . فقالت : «ألا يجوز أن أراك مرة أخرى» . فقال لها : «لايجوز ذلك ، إذ إننى ربما أسافر إلى مصر» .

وشعرت إلسى بالإحباط ، وتدلى رأسها على صدرها . وعلى الرغم من أنها لم تقرأ ولم تسمع أبدا قصيدة لورد بايرون الشهيرة المعنونة بعنوان : «لم يحدث أن أحببت غزالا» فلقد كانت معانى هذه القصيدة تملأ ذهن إلسى بات آنذاك وقالت لنفسها : «من المضحك أن الرجال الذين تتوافر فيهم الرجولة والجاذبية لانصل معهم إلى أى شىء وعلى كل حال يوجد فريد ، وهو صديق دائم عندما يفلت مثل هذا الرجل الذى كان يتحدث معى ويجلس بجوارى كما لو كان حلما صحوت منه» .

الفصل السابع عشر

إفادة من رودا داويز

★ ★ ★ ★ ★

خرجت رودا داويز من محل دينهام ووقفت تفكر فوق الرصيف. كانت الحيرة وعدم القدرة على الحسم مرتسمة على ملامح وجهها . كان وجهها ممتاز التعبير عن مشاعرها وخواطرها وانفعالاتها . وكان كل انفعال طفيف شارد فى ذهنها يعبر عن نفسه بسهولة وبسرعة على قسمات وجهها تعبيرا يليه وبسرعة تعبير آخر .

ولقد كان من الواضح تماما فى تلك اللحظة أن وجهها يقول : «هل سأقدم أم سأحجم؟ أنا أود أن أفعل .. ولكن ربما لايحسُنُ أن أفعل!» .

وقال منادى السيارات : «هل تريدين سيارة أجرة يا آنسة؟» وهزت له رودا رأسها بما يفيد النفى . واصطدمت بها بشدة امرأة مشوقة إلى شراء حاجيات العيد فى وقت مبكر ، ولكن بالرغم من ذلك ظلت رودا ساكنة فى مكانها واكتفى جسمها القوى بامتصاص الصدمة التى لم تعتذر عنها تلك المرأة المتسرعة . كانت رودا لم تحسم رأيها بعد.

كانت ومضات من بداية أفكار ووصفات من نهاية أفكار تومض بسرعة وتنطفئ بسرعة فى ذهنها وظلت تقول فى نفسها : «ومع كل ذلك لماذا لا أقدم ؟ لقد طلبت منى أن أزورها – ولكن ربما كان ذلك مجردكلام تقوله لكل شخص تصادفه ! إنها لاتريد أن يأخذ أحد مثل هذا الكلام مأخذ الجد. ورغم كل شيء لم تشأ أن تأخذنى معها . لقد أوضحت لى تماما أنها ترغب فى أن تذهب هى والميجور ديسبارد بمفردهما تمام إلى ذلك المحامى .. ولماذا كانت ترغب فى أن أذهب معهما هكذا ؟ قالت إنها تقصد أن ثلاثة أشخاص يحدثون زحاما . حجة واهية .. وهذه المسألة لاتخصنى .. يبدو كما لو كنت أريد بوجه خاص أن أقابل الميجور ديسبارد .. وهو على الرغم ذلك لطيف جدا ... أعتقد أنه قد وقع فى شبكة

آن... الرجال لايتجشمون عناء فى خدمة فتاة إلا إذا كانوا قد سقطوا فى شباكها .. أعنى أنها ليست مجرد شفقة...» .

واصطدم بها صبى يبدو أنه ساع فى مكتب مسرع لإنجاز مهمة من مهامه ، واعتذر لها الصبى قائلا : «معذرة يا آنسة» . ومضى مبتعدا بسرعة . «آه الناس من حولى يسرعون ، كل يسرع إلى غايته ، وأنا واقفة فى مكانى لا أتحرك... لا أعرف ما أعمل ... لا أعرف أين أذهب .. كل ذلك لمجرد أننى حمقاء .. أنا بنت حمقاء ... لدرجة أننى لا أستطيع أن أقدم ولا أريد أن أحجم ... أنا لا أستطيع أن أحسم أمرى . أعتقد أن معطفى والقميص الذى تحته جميلان جدا... هل كان اللون البنى أجمل من هذا اللون الأخضر ؟ لا ، لا أعتقد ذلك . حسنا ، هيا .. هل أذهب؟ أم يحسن بى ألا أذهب ؟ الساعة الآن هى الثالثة والنصف – الوقت مناسب جدا – أقصد أنه لايبدو أننى أريد أن أحصل عندها على وجبة غداء . يجوز لى إذن أن أذهب إليها ، ولو لمجرد أن ألقى نظرة ثم أعود» .

واندفعت تعبر الشارع ، واستدارت جهة اليمين بعد أن عبرت الشارع ، ثم انعطفت جهة اليسار ومشت فى شارع هارلى ثم وجدت نفسها أمام مجموعة من المساكن التى اعتادت السيدة أوليڤر أن تقول عنها أنها بيوت الممرضات .

وقالت لنفسها : «حسنا ، إنها لن تأكلنى» . ودخلت بجسارة إلى المبنى .

كانت شقة السيدة أوليڤر فى الدور العلوى من المبنى . ورفعتها عاملة المصعد بسرعة إلى آخر دور فى المبنى وفتحت لها باب المصعد الكهربى وأشارت إلى باب مسكن السيدة أوليڤر. ووجدت رودا نفسها أمام سجادة صغيرة جدا أنيقة وجديدة ولونها أخضر زاه أمام باب أخضر زاه . وقالت رودا فى نفسها : «هذا شىء مرعب أكثر رعبا من عيادة طبيب الأسنان. يجب أن أدخل الآن على الرغم من كل شىء وليكن ما يكون» . وضغطت جرس الباب وقد ازداد وجهها احمرارا . وفتحت الباب خادمة متقدمة فى العمر .

قالت رودا : «هل – هل أستطيع – هل – السيدة أوليڤر موجودة؟» وانسحبت الخادمة إلى الداخل لتفسح لها طريق الدخول بما يفيد أن السيدة أوليڤر كانت موجودة . وتنفست رودا الصعداء . وأدخلتها الخادمة إلى حجرة استقبال فى حالة يرثى لها من الفوضى ، وقالت لها الخادمة : «أى اسم سأقوله من فضلك؟» فقالت رودا : «أوه ، إر – الآنسة داويز– رودا داويز» .

وانسحبت الخادمة . وبعد مدة بدت لها كما لو كانت أعواما بطولها فى حين أنها كانت دقيقة واحدة وعادت الخادمة وقالت لها : «هل تتفضلين بالمجئ من هنا يا آنسة؟» .

واقتفت رودا خطاها وقد ازداد احمرار وجهها إلى أقصى درجة وصل إليها احمرار وجهها من قبل طوال حياتها . وفى نهر الممر الصغير ، وبعد انعطاف جهة اليمين كان أحد الأبواب مفتوحا . ودخلت وأعصابها مشدودة إلى أقصى حد ممكن ما بدا لها لأول وهلة وكأنه غابة فى قارة إفريقيا!.

طيور ، كتل متلاحمة من الطيور ، عدد كبير من الببغاوات قصيرة الذيل وطويلة الذيل وطيور لاتعرف لها نوعا ولا صنفا قد تزاوجت وتناسلت وباضت وأفرخت بين الأشجار والأسلاك التى كانت تملأ المكان فى كل الأركان وفيما بين الأركان بحيث كانت تملأ كل المكان فيما كان يبدو مثل غابة على ضفة من ضفاف نهر الأمازون. وفى وسط هذا الازدحام المكتظ بالأشجار والطيور استطاعت رودا بعد تدقيق النظر أن تلمح منضدة مطبخ عليها آلة كاتبة ، وكانت كتل من الصفحات المكتوبة بهذه الآلة الكاتبة تحيط بالمنضدة من كل جانب متناثرة فوق الأرضية ، وكانت السيدة أوليفر شعرها منكوش ومنفوش بطريقة تتجاهل تماما أى تصفيف أو تمشيط أو ولو باستخدام راحة اليد. وبدأت السيدة أوليفر تنهض عن كرسى عريض إلى حد بعيد .

وقالت السيدة أوليفر : «ياعزيزتى ! كم هو جميل أن أراك! ومدت نحوها يدها ملوثة بألوان الكربون ، بينما كانت تحاول أن تزيح الشعر عن عينيها بيدها الأخرى . كان منظرا لايمكن تصديقه ، ولكن هكذا بالفعل استقبلت السيدة أوليفر ضيفتها الآنسة رودا داويز !

وبعد أن استردت السيدة أوليفر كف يدها من كف يد الآنسة رودا وأنزلت يدها الأخرى عن شعرها ، لمست بذراعها سلة مصنوعة من الورق كانت موضوعة على المنضدة ، وتدحرج تفاح كثير على الأرضية.

وقالت السيدة أوليفر : «لاتقلقى ياعزيزتى ... سيجمعها شخص ما ويعيدها إلى السلة فى أى وقت . هذا لايهمنا الآن . المهم كيف حالك ياعزيزتى ؟ ونهضت رودا واستقام ظهرها وهى تحمل فى يديها ست تفاحات وتعيدها إلى السلة وهى تقول : «أوه ، أشكرك . أنا بخير . يحسن ألا أضعها فى السلة . السلة مخرومة» .

قالت السيدة أوليفر : «ضعيها على الدولاب . هذا أفضل . والآن، اجلسى لنتكلم» .

واستلمت رودا فى يدها أحد الكراسى وعدلت وضع أحد أرجله وجلست وهى تركز نظرها على وجه السيدة أوليفر وتقول لها : «أنا أقول أنا آسفة جداً . أنا أعطلك عن العمل أو أى شىء» . فقالت لها السيدة أوليفر : «أنت تعطليننى ولا تعطليننى . أنا أعمل كما ترين. ولكن هذا الفنلندى اللعين الذى اخترعته بنفسى فى رواياتى قد أتعبنى بعناده وغبائه

وشقاوته . لقد التهم طبقا من الفاصوليا الفرنسية وعجز بعد ذلك تماما أن يأكل أى شىء من إوزة عيد سان مايكل التى اكتشف الآن أن فيها سما مكونا من الصدأ والنشادر ، وكان ذلك هو السبب الحقيقى الذى من أجله التهم هذا الفنلندى الذى لم يكن غبيا الفاصوليا الفرنسية كلها . اكتشفت أنه كان قد فعل ذلك حتى لا يأكل من الإوزة المسمومة» .

كانت رودا مبهورة بهذه اللقطة الطازجة من ذلك الخيال الخلاق الذى يبدع روايات خيالية مشهورة عن بطل فنلندى من اختراع خيال السيدة أوليڤر يعمل كمخبر سرى ويكتشف أسرار الجرائم الغامضة ، وتأسف السيدة أوليڤر كثيرا لأنها جعلته فنلنديا ولم تجعله من إحدى دول البلقان مثل بلغاريا أو الصرب التى لا يقرأ معظم أهلها اللغة الإنجليزية على كل حال كانت رودا مبهورة بهذه اللقطة الوجيزة التى اكتشف فيها البطل الخيالى الفنلندى السم فى الإوزة.

قالت رودا : «كان يجب أن يضعوا لحم الإوزة فى علبة من الصفيح الذى لايصدأ» . فقالت السيدة أوليڤر : «كان يجب عليهم ذلك فعلا ، ولكن لوكانوا قد فعلوا ذلك لضاعت حبكة الرواية ولما استطاع البطل الفنلندى الذى لانعرف ما إذا كان غبيا أم ذكيا أن يكتشف لنا شيئا على الإطلاق» . قالت رودا : «أوه ياسيدة أوليڤر، من الضرورى أنه شىء رائع أن تتمكن سيدة من كتابة رواية هائلة» . وحكّتْ السيدة أوليڤر جبهتها بيدها المصبوغة بالكربون وقالت : «لماذا يكون عجيبا أن تصنع المرأة أحداث رواية هائلة من وحى خيالها؟ هل المرأة أقل من الرجل موهبة وقدرة على الإبداع؟» فقالت رودا : «أوه ، أقصد فقط أنه شىء رائع أن يجلس أى شخص ليكتب كتابا كاملا» . فقالت السيدة أوليڤر : «هذا لايحدث بالضبط كما تقولين . من الضرورى أن نفكر ، نفكر ، نفكر أولا كما تعرفين . والتفكير دائما شىء مضن، ويلزم أن تخططى للأمور والأحداث ، ما قبل الأحداث وما يحدث أثناء حدوث الأحداث وما يحدث بعد حدوث الأحداث، ويتعثر الفكر عندما تتشابك الأحداث ، ومن الصعب أن نعرف كيف نخرج من شبكة الأحداث بسلام ، ولكننا بعد مجهودات عنيفة تعتمد على التخطيط الفكرى السابق الإعداد نتمكن من الخروج . الكتابة مجهدة ، وليست الكتابة مجرد عمل سار خصوصا عندما يكون من الضرورى وجود خطة معينة للكتابة وأهداف معينة للكتابة ، ولذلك لايستطيع الكتابة الجيدة إلاعدد قليل جداً من الناس الذين يستطيعون بالفعل أن يفكروا قبل أن يكتبوا، وعندما يكتبون ، وبعد أن يكتبوا» . قالت : رودا : «ولهذا لاتكون الكتابة مثل أى عمل آخر؟» فقالت السيدة أوليڤر : «الكتابة ليست صعبة على من لايتعين عليه أن يكتب . من السهل أن يتعلم كثير من الناس الكتابة كمجرد كتابة . ولكن الكتابة التى يحتاج الناس عموما إلى قراءتها هى الكتابة الصعبة .

الكتابة بالنسبة لى عمل شاق يلزم أن أعمله . وأنا أعمله وأتحمل مشقاته . وفى بعض الأيام لا أستطيع أن أعمل شيئا سوى أن أحسب مرة وألف مرة ما يمكن أن أحصل عليه من بيع حقوق التأليف لأحد الناشرين . ثم يحفزنى هذا فى فترات معينة أن أعمل وأعمل وأن أكتب وأكتب لأحصل على شىء يساوى شيئا أكثر من المال . وهكذا تتم الكتابة فقط عندما تتوافر القدرة على الكتابة ويتوافر الحافز الذى يدفع إلى الكتابة متمثلا فى دفتر الشيكات عندما تنظرين إليه لتجدى أنك قد بدا لك السحب على المكشوف وشيكا أو بدأ فعلا» .

قالت رودا : «أنا لم أكن أتخيل أبدا أنك تكتبين أصول كتبك على الآلة الكاتبة . ظننت أن عندك سكرتيرة» . فقالت السيدة أوليڤر : «كانت عندى سكرتيرة ، وأكثر من سكرتيرة . وكنت أملى ما أريد كتابته فكنت أجد إما أن السكرتيرة مثقفة ثقافة متقدمة فتناقشنى فى كل شىء من بناء الجملة حتى النقطة والشولة والشولة المنقوطة وعلامة التعجب وعلامة الاستفهام وبداية ونهاية الفقرات ، وتطول المناقشة فتضيع الفكرة !ولو كانت السكرتيرة ضئيلة الثقافة تخطئ فى كل ما تكتب» .

قالت رودا : «من الضرورى أن القدرة على الكتابة تعطى إحساساً لذيذاً عندما يستطيع الإنسان أن يفكر» . فقالت السيدة أوليڤر : «أنا دائما أفكر فى أمور كثيرة ، ولكن كتابتها هى التى تكون صعبة . فى كثير من الأحيان كنت أعتقد أننى قد فرغت من الكتابة ، وعندما أعد الكلمات أجد أننى قد كتبت ثلاثين ألف كلمة والمطلوب ستين ألف كلمة ، ويلزم أن أعيد الكتابة من جديد مع إدخال تعديلات على خطة الكتابة للوصول إلى الكمية المطلوبة وربما يتطلب منى ذلك أن أدخل جريمة قتل أخرى على هامش الجريمة الموجودة لكى أصنع مجالا أكثر سعة للكتابة أو أجعل البطلة يتم خطفها مرة أخرى بعد أن تم استردادها من محاولة الخطف الأولى وهكذا ، لابد من التفكير وإعادة التفكير والكتابة بدون تفكير . هذه هى الصعوبة الرئيسية فى الكتابة الجيدة فما بالنا بالكتابة الممتازة؟!» .

ولم تتكلم رودا . ظلت صامتة تنظر فقط إلى السيدة أوليڤر باحترام الشباب للشهرة فى شخص الإنسان المشهور الذى يتصادف أن يلتقى به على غير انتظار أحد الشباب أو إحدى الشابات .

وسألتها السيدة أوليڤر : «هل تحبين الحجرات التى يغطى ورق الحائط جدرانها؟ أنا شخصيا مغرمة بالأشجار الخضراء والطيور الحقيقية التى تقف على أغصانها . أوراق الأشجار الخضراء تعطى الأوكسچين والدفء وتجعلنى أشعر أننى أعيش فى جو دافىء حتى ولو

كانت الدنيا تمطر ثلجا . أنا لا أستطيع أن أكتب أى شيء مالم أشعر بالدفء ولكن سيڤين چيرسون ، ذلك البطل الخيالى الفنلندى الذى اخترعته ليقوم بأدوار البطولة فى كل رواياتى يحطم كل الثلوج وهو فى طريقه للمجئ عندى صباح كل يوم» .

قالت رودا : «أنا أعتقد أن هذه كلها أشياء جميلة جدا ، وأجمل شيء أنك تجعليننى أشعر أننى لم أعطلك عن العمل» .

قالت السيدة أوليڤر : «سنأكل بعض التوست ونشرب بعض القهوة .قهوة لونها أسود جدا. وتوست ساخن . هل تحبين ذلك ؟ أنا أستطيع أن آكل هذه الوجبة فى أى وقت» .

وذهبت إلى الباب ، وفتحته ونادت . ثم عادت وقالت : «ماذا جاء بك إلى لندن؟ شراء حاجيات؟» فقالت رودا : «نعم . كنت أقوم بشراء بعض الحاجيات» . فقالت السيدة أوليڤر: «هل جاءت الآنسة ميرديث معك إلى لندن أيضا؟» فقالت رودا : «نعم ، وهى قد ذهبت مع ميچور ديسبارد إلى محام» . فقالت السيدة أوليڤر : «محام، إيه ؟» وارتفع حاجبا السيدة أوليڤر من فرط الدهشة فقالت رودا : «أنت تعرفين أن الميچور ديسبارد كان قد قال لها إنها كان يتعين عليها أن تلجأ إلى مساعدة محام . لقد كان طيبا جدا . كان بالفعل رجلا طيبا» .

قالت السيدة أوليڤر : «وأنا أيضا كنت طيبة جدا ، ولكن لم تمش الأمور معها كما يجب ، هل سارت الأمور مع الآنسة ميرديث كما كنت أريدها أن تسير ؟ فى الحقيقة ، أنا أعتقد أن صاحبتك قد تضايقت من زيارتى لها» . فقالت رودا : «أوه ، لم تتضايق .. لم تتضايق وهذا هو أحد الأسباب التى جعلتنى أحضر عندك الآن ... لكى أوضح ذلك . أنت تدركين أنك لم تفهمى هذه النقطة كما هى فى الحقيقة . لقد كانت تبدو فى الحقيقة على نحو غير لائق ... ولكن لم تكن هذه هى الحقيقة ... ولم يكن ذلك هو ما يجب أن يكون .. أقصد أن زيارتك لم تكن هى الشيء غير المرغوب . لقد كان جزءاً من كلامك هو الذى جعلها تشعر بالقلق» فقالت السيدة أوليڤر : «جزءاً من كلامى» . فقالت ردوا : «نعم ، أنت لم تشعرى بذلك بطبيعة الحال . كان هذا مجرد سوء حظ لا أكثر» .

قالت السيدة أوليڤر : «ماذا كنت أنا قد قلت وسبب لها أى ضيق؟» فقالت رودا : «أنا حتى لا أعتقد أنك تتذكرين ذلك لأنك لم تكونى تتعمدين الإساءة إلى مشاعرها. لقد تضايقت من طريقة الكلام فى موضوع معين ورد فى كلامك عرضا ، وهى حساسة جدا من هذه الناحية . لقد جاء فى كلامك شيء عن حادثة موت بالسم» . فقالت السيدة أوليڤر: «هل أنا قلت شيئا من ذلك؟» فقالت رودا : «أنا أعرف أنه من المحتمل أنك

لاتتذكرين ذلك الآن . نعم ، لعلك لاتعلمين أن الآنسة آن ميرديث قد تعرضت بالصدفة لتجربة فظيعة ذات مرة . كانت تعمل فى منزل أخذت فيه سيدة المنزل شيئا من السم – طلاء قبعات – أعتقد أنه كان عبارة عن مادة تستخدم فى طلاء القبعات وهى مادة سامة بالفعل . أخذته عن طريق الخطأ باعتبار أنه شيء آخر كانت قد تعودت أن تتناوله ، وماتت من جراء هذه الغلطة غير المقصودة . وكانت هذه بطبيعة الحال صدمة فظيعة للآنسة آن ميرديث. إنها لاتستطيع أن تتحمل التفكير فى ذلك أو الكلام فى هذا الموضوع من قريب أو بعيد . وكلامك غير المقصود فى هذا الموضوع قد جعلها تتذكره بطبيعة الحال . وتصلبت وتحجر تفكيرها كما اعتادت ذلك وأنا لاحظت أنك كنت تشعرين بعنادها وعدم تجاوبها مع كلامك المعقول لمصلحتها كما كنت أنا أراه بوضوح . ولم أستطع أن أناقشها لكى تعدل موقفها فى حضورك ، ولكنها لم تتضايق من مجرد زيارتك لها» .

ونظرت السيدة أوليڤر إلى وجه رودا وقد ازداد احمرارا ثم قالت : «فهمت» . فقالت رودا : «صديقتى آنا ميرديث حساسة جدا بشكل مخيف جدا . وهى ليست شجاعة فى مواجهة الأمور . إنها مترددة لفرط ذكائها ولفرط حساسيتها ... تفكر ولا تعمل وتتردد كثيرا فى عمل أى شيء أو قول أى شيء .. وخصوصا عندما يكون لأى شيء أى أهمية . ولو ضايقها أى شيء تحب ألا تتكلم عنه وتحب ألا تسمع عنه مع أن هذا ليس صوابا . أنا لا أحب ذلك . يحدث ما يلزم أن يحدث سواء تكلمنا عنه أم لم نتكلم . لا يكفى الجرى بعيدا عن الأحداث لتبدو لنا وكأنها لم تحدث ولا وجود لها . أنا أحب أن أواجه الأحداث ولو كانت مريرة أو متعبة أو مؤلمة» .

قالت السيدة أوليڤر : «آه ، ولكن ، أنت ياعزيزتى واحدة من الجنديات الباسلات ، وليست صديقتك آن ميرديث مثلك فى البسالة والشجاعة» .

وازداد احمرار وجه رودا وقالت : «آن حبيبتى» . وابتسمت السيدة أوليڤر : «أنا لم أقل إنها ليست حبيبتك أو أنها لاتستحق محبتك لها . أنا أقول فقط إنها ليست شجاعة مثلك» .

وتنهدت السيدة أوليڤر وقالت : «هل تؤمنين بقيمة الصدق والاعتراف بالحقيقة ياعزيزتى أم لاتؤمنين بذلك؟» فقالت رودا : «بالطبع ، أنا أؤمن بشدة بقيمة الصدق والحقيقة» . فقالت السيدة أوليڤر : «نعم أنت بالفعل تؤمنين بالحقيقة . ولكنك لم تفكرى فى ذلك . الحقيقة قد تكون مؤلمة فى بعض الأحيان ، وربما تحطم قدرة الإنسان على الاحتمال فى أحيان أخرى» . فقالت رودا : «ومع ذلك ، ليس هناك أفضل من التمسك بالحقيقة مهما كانت الظروف» . فقالت السيدة أوليڤر : «وأنا أيضا ولكننى لست متأكدة مما إذا كان ذلك صوابا!» .

قالت رودا : «لا تخبرى آن بما قلته الآن عن هذا الموضوع. إنها لاتحب ذلك ، وأنا قد أوضحت لك السبب» . فقالت السيدة أوليڤر : «أنا لا أفكر أبدا فى أن أخبرها بذلك .هل حدث ذلك منذ وقت طويل فى الماضى» . فقالت رودا : «حدث منذ حوالى أربع سنوات . هذا غريب . أليس كذلك . كم تتكرر وتتوالى الأحداث على الإنسان ! كانت لى خالة تتوالى عليها النكبات وها هى ذى صديقتى آن تجد نفسها منغمسة فى حادثتين من حوادث القتل . وحادثة القتل الأخيرة أكثر وضوحا . القتل بالسم كان عن طريق الخطأ . أما القتل بتوجيه طعنة إلى القتيل فهو بفعل فاعل . القتل شىء فظيع مهما تكن طريقة القتل . أليس كذلك ؟» فقالت السيدة أوليڤر : «نعم ، إنه أفظع الفظائع فى دنيا الناس» .

وظهرت القهوة و التوست الساخن المدهون بالزبدة فى تلك اللحظة . وأكلت رودا وشربت بشهية الشباب . كان من المثير المبهج جدا لها أن تشترك فى وجبة طعام مع الشهرة ذاتها .

وعندما انتهت من تناول وجبة الطعام نهضت وقالت : «أنا آمل ألا أكون قد قاطعت عملك بشكل مخيف . هل يمكن أن أقصد ألا يضايقك أن أشترى كتابا من الكتب التى أحبها مما تكتبين وأحضره لك لكى تكتبى لى إهداء توقعينه بنفسك» .

وضحكت السيدة أوليڤر وقالت : «أوه . أنا أستطيع أن أفعل ما هو أكثر من ذلك من أجلك يارودا» . ونهضت إلى دولاب فى أحد الأركان وفتحته وقالت : «أى كتاب تفضلينه؟ أنا أتخيل أنك تفضلين كتاب : «حكاية السمكة الذهبية الثانية» . إنه ليس مخيفا مثل الكتب الأخرى» .

وانزعجت رودا قليلا عند سماعها المؤلفة وهى تصف فلذات كبد قلمها على هذا النحو، ولكنها وافقت على الفور على الكتاب الذى اختارته لها السيدة أوليڤر . وفتحت السيدة أوليڤر أول صفحة من الكتاب وكتبت إهداء قصيرا ووضعت اسمها تحته بحروف أنيقة وقالت : «هاك هو» . فقالت رودا : «أشكرك جزيل الشكر . أنا فى أفضل حالات المتعة . هل أستطيع أن أتأكد أنك لم تنزعجى لحضورى عندك ؟» فقالت السيدة أوليڤر : «بالعكس، كنت أرجو أن تحضرى عندى. أنت طفلة جميلة ، وداعا وإلى اللقاء ، خذى حذرك واحتاطى لنفسك ياعزيزتى» . وبعد أن أغلقت رودا الباب وراءها قالت السيدة أوليڤر لنفسها : «لماذا قلت لها ذلك ؟» وهزت رأسها ، وسوت شعرها بيدها ، وعادت إلى استرضاء بطلها الفنلندى سيڤين چيرسون الذى يمتزج غباؤه بذكائه .

الفصل الثامن عشر
شاي وحنان

* * * * *

خرجت السيدة لوريمير من وراء باب فى شارع هارلى. وقفت على درجات السلم قليلا من الوقت ثم نزلت على درجات السلم ببطء ... كان هنالك شعور غريب يرتسم على وجهها - خليط من التصميم على فكرة وقرار غريب تحس به فى أعماق قلبها دون أن تحدده تحديداً دقيقا . كانت تحس أنها من الضرورى أن تعمل شيئا يريح قلبها ويريح ضميرها . ما هذا الشيء ؟ إنها لاتعرفه . تعرف - أنها تريد شيئا ، ولا تعرف ما هذا الشيء، وظلت تفكر . وشعرت أن حاجبيها قد ارتفعا رغم إرادتها وسمحت لهما أن يعودا إلى الوضع الطبيعى المعتاد لهما وهى تأمل أنها ربما تعرف ما تريد أن تفعله فى وقت لاحق لم يحن حتى تلك اللحظة ، ولكنها ستعرفه بالتأكيد فيما بعد .

فى هذه اللحظة لمحت السيدة لوريمير الفتاة آن ميرديث على الرصيف الآخر . كانت آن واقفة تحملق فى مجموعة من الشقق السكنية أمامها ، وترددت السيدة لوريمير لحظة ثم عبرت الشارع متجهة نحو الرصيف الذى كانت تقف عليه آن ميرديث وقالت لها :«كيف حالك يا آنسة ميرديث» ؟ وأجفلت آن ميرديث والتفتت نحو السيدة لوريمير وقالت : «أوه ، كيف حالك ؟» فقالت السيدة لوريمير : «هل أنت لاتزالين موجودة فى لندن ولم تذهبى إلى محل إقامتك الدائم ؟» فقالت آن : «لا. أنا حضرت إلى لندن اليوم فقط . لكى أقوم بمهمة قانونية» .

كانت عينا آن ميرديث لاتزالان تحملقان فى مجموعة الشقق فى ذات المبنى الذى كانت تحدق فيه من قبل . فقالت السيدة لوريمير : «هل يوجد شيء من الناحية القانونية ؟» وأجفلت آن وهى تشعر أنها قد ارتكبت ذنبًا جديداً وقالت : «شيء من الناحية القانونية ؟ أوه، لا ماذا يمكن أن يكون عندى من الناحية القانونية ؟» فقالت السيدة لوريمير : «يبدو أنه توجد مشكلة تشغل بالك ؟» فقالت آن : «لاتوجد مشكلة . نعم . توجد - ولكنه شيء غير مهم - شيء سخيف» . وضحكت ضحكة قصيرة ثم قالت : «كل ما فى الأمر أننى ظننت أننى قد رأيت صديقتى - البنت التى أنا أقيم معها - تدخل هناك ، وأنا أعجب أنها ربما

تكون قد ذهبت لتزور السيدة أوليڤر» . فقالت السيدة لوريمير : «هل تقيم السيدة أوليڤر فى هذا المبنى ؟ أنا لم أكن أعرف ذلك» . فقالت آن : «نعم ، هى كانت قد جاءت لزيارتنا منذ أول أمس وأعطتنا عنوانها وطلبت منا أن نزورها . وأنا أتساءل ما إذا كانت رودا هى التى شاهدتها أم أننى شاهدت فتاة أخرى» .

قالت السيدة لوريمير : «هل تحبين أن تدخلى المبنى وتتأكدى من ذلك؟» . فقالت آن : «لا ، أنا أفضل ألا أفعل ذلك» . فقالت السيدة لوريمير :«تعالى وخذى الشاى معى . يوجد محل يقدم الشاى فى مكان قريب جدا أعرفه.» فقالت آن بتردد : «هذا كرم كبير منك» .

ومشتا جنبا إلى جنب كما تسير أم ترافقها ابنتها ، ودخلتا شارعاً جانبياً، ودخلتا أحد المحلات حيث قدمت لهما إحدى العاملات الشاى وبعض الفطائر .

لم يكثرا من الكلام فى البداية . كانت فترات الصمت أكثر وأطول من لحظات الكلام القليل حتى سألت آن فجأة :«هل قامت السيدة أوليڤر بزيارتك؟» فقالت السيدة لوريمير : «لم يزرنى أحد سوى السيد بوارو» . فقالت آن :«أنا لم أقصد-» فقالت السيدة لوريمير : «لم تقصدى؟ أعتقد أنك تقصدين» . فقالت آن :«لم يحضر عندك كبير المفتشين باتل؟» فقالت السيدة لوريمير :«بالطبع ، حضر عندى.» فقالت لها آن :«ما نوع الأشياء التى سألك عنها؟» فقالت السيدة لوريمير :«الأشياء المعتادة . أعتقد أنها مجرد إجراءات شكلية . كان مسروراً أنه قد أجراها وتخلص منها» . فقالت آن: «أنا أعتقد أنه قد قابل كل شخص منا؟» فقالت السيدة لوريمير :«أعتقد أن هذا ضرورى» . وساد الصمت مرة أخرى وقالت آن :«يا سيدة لوريمير - هل تعتقدين أنهم سيعرفون من فعلها؟» وقالت السيدة لوريمير :«لا أدرى بالضبط» . فقالت آن : «ليس هذا صوابا . أليس كذلك» .

ونظرت السيدة لوريمير نحو آن ميرديث بحنان وقالت :«كم عمرك الآن يا آنسة ميرديث؟» فقالت آن :«أنا - أنا فى الخامسة والعشرين» . فقالت السيدة لوريمير : «وأنا فى الثالثة والستين . معظم عمرك لا يزال أمامك.» وارتجفت آن ميرديث وقالت: «يجوز أن يصدمنى أتوبيس اليوم وأنا فى طريق عودتى إلى المنزل» . فقالت السيدة لوريمير :«نعم هذا صحيح - وأنا أستمر فى الحياة» . كان كلاما غريبا ، لم تستوعب آن معناه تماما فنظرت نحوها مستغربة مندهشة ، فقالت السيدة لوريمير موضحة ما تقصده :«إن الحياة شأن صعب الممارسة ، ستعرفين ذلك عندما يتقدم بك العمر يا آن. إنها تحتاج إلى شجاعة بغير حدود ، وتحتاج إلى قوة تحمل بغير حدود أيضا . وفى النهاية يتساءل الإنسان: هل هى تستحق كل هذا الذى تتطلبه من الإنسان من تهافت على الملذات وعناء تحمل المشقات؟!» فقالت آن : «أوه ، لا تقولى هذا الكلام . وضحكت السيدة لوريمير ، وزال عن خاطرها كل ما كان يثقل خاطرها من هموم قبل اكتشافها لوجود آن أمامها وابتسمت وهى تقول :«الحياة

أرخص من تستحق منا أى كلمات كئيبة عنها . لا تستحق الحياة أى كلمة من أى نوع» .

ونادت السيدة لوريمير عاملة بالمحل لكى تدفع الحساب . وخرجنا إلى باب الخروج من المحل ، ولمحت السيدة لوريمير سيارة أجرة ، ونادت وأشارت بيدها ، وتوقفت السيارة أمام المحل .

قالت السيدة لوريمير :«هل أوصلك إلى أى مكان تريدينه . أنا سأتجه جنوب المنتزه» . وأضاء الاحمرار وجه آن وقالت :«لا . أشكرك . أنا أرى صديقتى قادمة . أشكرك جدا يا سيدة لوريمير وداعا وإلى اللقاء» وقالت السيدة لوريمير :«وداعا وإلى اللقاء» .

وأضاء وجه رودا عندما رأت آن ميرديث . ثم غاض كل الاحمرار الزائد من وجهها دفعة واحدة وأحست بشعور بالذنب أمام صديقتها آن التى بادرتها بالسؤال قائلة : «رودا، هل أنت ذهبت لزيارة السيدة أوليڤر ؟» وقالت رودا :«حسنا ، فى حقيقة الأمر، أنا ذهبت لزيارتها» . فقالت لها آن :«وأنا قد قبضت عليك متلبسة بهذه الزيارة» . فقالت لها رودا :«آن لست أدرى ماذا تقصدين بقولك إنك قبضت علىَّ متلبسة . ماذا تقصدين بالضبط ؟ دعينا نمش من هنا ونأخذ الأتوبيس . أنت كنت قد ذهبت لتدبرى حالك مع صاحبك . ظننت أنه على الأقل سيدعوك إلى تناول الشاى» . وسكتت آن ميرديث ولم تجب ، فقالت رودا :«ألا يمكن لو مشينا قليلا فى الشوارع المجاورة فى هذه المنطقة أن نلتقى صدفة مع صديقك وأدعوكما أنا لنشرب الشاى سويا» . فقالت آن ميرديث :«أشكرك بشدة . اتفقت معه على أن نتناول الشاى سويا ، هو وأنا وحدنا فى مكان ما» .

أكذوبة – وهى أكذوبة سخيفة . أكذوبة غبية قفزت إلى الذهن دون أى تفكير يا آن ميرديث . كان من الأفضل أن أقول إن صديقى كان على موعد لتناول الشاى مع أناس آخرين بسبب ارتباط سابق . ولكننى قلت كلاما خاطئا . بدلا من ذلك . إنه مأزق . رودا ستغضب . هذا شىء غريب. لماذا لا أريد أن تكون رودا معنا . ربما كنت أريد أن أحتفظ بميزة لقاء ديسبارد لى أنا وحدى . أنا أشعر بالغيرة من رودا . فى تلك الليلة كان يبدو كما كان ميچور ديسبارد يكتشف أن رودا أيضا بنت جميلة ولطيفة . ولكنه قد جاء عندنا من أجلى أنا آن ميرديث . رودا أيضا معجبة به . إنها لم تتعمد أن تكون معجبة به ولكنها معجبة به على كل حال . شخصيتها أقوى من شخصيتى . لا ، يلزم ألا تكون رودا معنا بأى حال . ولكننى تصرفت بطريقة خاطئة . لو كنت قد تخلصت من رودا بحيلة أخرى لكان من الممكن أن أذهب أنا وحدى لتناول الشاى مع ديسبارد فى أى مكان بعيداً عن رودا.

شعرت آن ميرديث بالتحديد بالانزعاج لوجود رودا معها . رودا مصدر خطر مزعج . وماذا عساها أن تكون قد قالت أثناء زيارتها للسيدة أوليڤر ؟ آه، هذه هى الخطورة الحقيقية !

قالت آن ميرديث بصوت عال فيه شىء من العصبية :«لماذا ذهبت لزيارة السيدة أوليڤر؟»

فقالت رودا :«حسنا ، هي كانت قد دعتنا لزيارتها» . فقالت آن :«نعم ، ولكنني لا أعتقد أنها كانت جادة . كان ذلك كلام مجاملة» .

فقالت رودا :«كانت تعنى ما تقول. لقد كانت لطيفة جدا معى ، لقد أهدت إلىَّ واحدا من كتبها . انظرى» واستعرضت رودا الجائزة التى كانت قد حصلت عليها .

قالت آن ميرديث بارتياب :«فيم تحدثتما . أرجو ألا يكون حديثكما قد دار بشأنى أنا؟» فقالت رودا :«ما هذا الذى تقولينه؟ كفى عن مكر البنات!» فقالت آن بإصرار على الاستفسار الرئيسى :«لا ، ولكن هل تحدثتما فى شئون تخصنى؟ هل تحدثتما عن جريمة القتل ؟» فقالت رودا :«تحدثنا عن جرائم القتل الخاصة بها هى . إنها تكتب بالفعل رواية عن حادثة قتل باستخدام السم الذى حصل عليه القاتل بطريقة بسيطة . ابتكر نوعاً جديداً من السم بخلط الصدأ مع البصل .. إنها إنسانة بكل معنى الكلمة .. ولقد قالت لى إن الكتابة عمل شاق جدا وقالت إن متاهة الخطط المختلفة فى الكتابة ترهق الذهن إلى حد بعيد . شربنا قهوة ساخنة وأكلنا التوست بالزبدة» .

وبعد أن انتهت رودا من تقديم بيان عن محتويات الانتصارات التى تحققت لها أثناء زيارتها للسيدة أوليڤر قالت :«أوه يا آن ، أنت تحتاجين أن تشربى الشاى . أنت لم تأكلى ولم تشربى شيئا مثلى» . فقالت آن :«لا لقد شربت الشاى وأكلت بعض الفطائر أيضا مع السيدة لوريمير» .

قالت رودا :«السيدة لوريمير؟ أليست هذه السيدة هى التى كانت موجودة هناك أيضا؟» فقالت آن :«نعم . هى» . فقالت رودا :«وكيف تمت المقابلة معها؟» فقالت آن :«قابلتها بالمصادفة فى شارع هارلى» . فقالت رودا: «وكيف كانت تبدو؟» فقالت آن :«لا أعرف . كانت – إلى حد ما – غريبة – لم أفهمها جيدا – لم تكن هى كما سبق أن رأيتها فى تلك الليلة – كانت تبدو كما لو كانت سيدة أخرى ، لكنها كانت كريمة معى» . فقالت رودا :«ألا تزالين تعتقدين أنها هى التى فعلتها؟» فقالت آن بعد شىء من التفكير :«أنا لا أعرف . لا داع للاستمرار للكلام فى هذا الموضوع يا رودا . أنت تعرفين كم أكره الكلام عن هذه الموضوعات!» .

قالت رودا:«وهو كذلك يا حبيبتى . وكيف كان حال المحامى ؟ هل كان جافا فى كلامه يردد نصوص القانون ؟» فقالت آن :«كان يقظا ، ويهوديا» . فقالت رودا : «يبدو هكذا كمحام جيد . وكيف كان حال ديسبارد» ؟ فقالت آن :«كان متعاطفا معى إلى أبعد الحدود» . فقالت رودا :«لقد وقع فى شباكك يا آن . أنا متأكدة من ذلك» . فقالت آن : «يا رودا ! كفى عن الكلام الفارغ» . فقالت رودا :«حسنا ، أنت سترين» وقالت رودا لنفسها إن آن بالفعل جميلة . ثم صاحت بصوت عال : «هذا الأتوبيس سيأخذنا إلى بادينجتون . ومنها نأخذ قطار ٤,٤٨» .

الفصل التاسع عشر
مشـــاورات

* * * * *

دق جرس التليفون فى الحجرة التى كان يجلس فيها بوارو وتكلم صوت مهذب وقور يقول : «أنا الرقيب أوكونور . أقدم إلى سيادتك تحيات وأطيب تمنيات كبير المفتشين باتل . وسيادته يسأل ما إذا كان السيد بوارو يناسبه أن يتفضل بالمجئ إلى إدارة سكوتلانديارد فى الساعة ١١,٣٠ ؟» .

وأجاب بوارو بالإيجاب والقبول ، وشكره الرقيب أوكونور وأنهى المكالمة. وفى الساعة ١١,٣٠ بالدقيقة كان السيد بوارو ينزل من سيارة أجرة أمام مبنى إدارة سكوتلانديارد الجديد لكى تقبض عليه السيدة أوليفر وهى تقول:« السيد بوارو ؟ كم يبدو هذا رائعا بالنسبة لى . هل تتفضل بأن تنقذنى ؟» فقال بوارو بالفرنسية ما معناه : «بكل سرور يا سيدتى . ماذا أستطيع أن أفعل ؟» فقالت : «ادفع أجرة السيارة التى حضرت أنا بها . أنا لا أعرف كيف حدث لى هذا . أنا أحضرت معى الحقيبة التى بها النقود التى أستخدمها عندما أسافر إلى الخارج تركت النقود المستخدمة فى الداخل! ويرفض السائق أن يأخذ الفرنكات الفرنسية أو الليرات الإيطالية أو الماركات الألمانية!» .

وأخرج بوارو من جيبه بعض النقود ، ودخل فى صحبة السيدة أوليفر إلى إدارة سكوتلانديارد . وأرشدهما أحد الجنود إلى الحجرة التى يشغلها مكتب كبير المفتشين باتل . وكان باتل يجلس وراء مكتبه ويبدو متخشبا أكثر من أى وقت مضى . وهمست السيدة أوليفر فى أذن بوارو تقول له : «بالضبط مثل تمثال من أحدث طراز» .

ونهض باتل عن مقعده ، وصافح كلا منهما ، وجلسوا ، وقال باتل : «أنا أعتقد أنه قد حان الوقت لكى نعقد اجتماعا صغيرا . أنتم تحبون أن تسمعوا أخبارا عما أنجزته من أعمال فى موضوعنا . وأنا أحب أن أسمع ما وصلتم أنتم إليه . نحن فقط ننتظر وصول الكولونيل ريس وبعد ذلك ...» .

وفى هذه اللحظة فُتح البابُ ودخل الكولونيل ريس وهو يقول : «أنا آسف أننى قد تأخرت يا باتل . كيف حالك ياسيدة أوليفر ؟ أهلا ياسيد بوارو . آسف جدا أننى جعلتكم تنتظرون ، ولكننى سأسافر غدا ، وعندى مشاغل كثيرة» .

قالت السيدة أوليفر : «أين ستسافر فى هذا المرة؟» فقال لها : «رحلة صيد صغيرة ـ عن طريق بلوخستان » . فقال له بوارو : «هل توجد قلاقل صغيرة فى هذا الجزء من العالم يلزم أن تكون حذرا هناك إلي حد ما» . فقال ريس : «أنوى أن أكون حذرا» . فقال له باتل «هل حصلت لنا على أى شيء يا سيدى؟» فقال ريس : «لقد حصلت لك على كل المعلومات الممكنة عن ميجور ديسبارد . ها هى ذى هنا ـــ» ودفع على سطح المكتب نحو باتل مظروفًا بداخله بعض الأوراق . وقال : «توجد تلال من التواريخ والأماكن فى هذه الأوراق . معظمها لايهم فيما أتصور . لايوجد شيء ضده . إنه شخص مستقيم . سجله نقى تماما . إنه شخصية عملية صارمة فى التزام ما يلزم التزامه . يحبه ويثق فيه أهل البلاد التى رحل إليها . يطلقون عليه فى قلب إفريقيا لقب : «الرجل الذى يبقى فمه مغلقا ويحكم بالعدل» . ويطلقون عليه فى الأقطار التى يسكنها شعوب بيضاء لقب «زميل الدراسة» . وهو معروف بأنه قناص ماهر . هادئ الأعصاب . بعيد النظر ويمكن الاعتماد عليه» .

وغير متأثر بكل هذه المآثر قال باتل : «هل يوجد فى سجله أى حادثة قتل أو موت مفاجئ لشخص كان يعيش معه؟» فقال ريس : «لقد أوليت هذه المسألة اهتماما خاصا . ويوجد أيضا وصف رائع لكيفية إنقاذه لزميل له من براثن أسد مفترس» . فقال باتل وهو يتثاءب : «نحن لانبحث عن بطولات إنقاذ من الخطر . نحن نبحث عن جرائم سابقة» .

قال ريس : «أنت تلح فى سؤالك هذا يا باتل . توجد حادثة واحدة من النوع الذى تلح فى السؤال عنه ، وأنا أعتقد أنها تلائم مزاجك الذى لا يصفو إلا بسماع تفاصيل الجرائم. رحلة فى أعماق أمريكا الجنوبية . رافق ديسبارد البروفيسور لوكسمور ، عالم النبات المشهور وزوجته فى هذه الرحلة. ومات البروفيسور لوكسمور هذا بسبب الحمى فيما يقال وتم دفنه بالقرب من نهر الأمازون» . فقال باتل : «بسبب الحمى ؟ إيه؟» فقال ريس : «الحمى . ولكننى سأكون صادقا معك . أحد الحمالين من المواطنين الأصليين هناك يردد قصة مؤداها أن البرفيسور لوكسمور لم يمت بسبب الحمى ، ولكنه مات مقتولا بالرصاص. ولكن هذه الحكاية لم يأخذها أحد مأخذ الجد» . قال باتل : «ربما لم تؤخذ مأخذ الجد لأنها لم تجد من يحقق فيها هنا فى ذلك الوقت؟» فقال ريس : « أنا أعطيتك كل المعلومات . أنت طلبت منى المعلومات ، وأنا قدمت لك المعلومات ، تستطيع أن تستنتج أنت

منها ما تشاء . أما أنا، فأنا أعتقد أن ديسبارد يوجد ألف مانع ومانع فى أن يكون هو الذى ارتكب ذلك العمل القذر فى منزل شيتانا فى تلك الليلة . إنه رجل أبيض يا باتل» . فقال باتل : «هل تقصد أنه عاجز عن القتل لأنه رجل أبيض؟» فقال الكولونيل ريس بعد تردد : «عاجز عما تسميه أنت جريمة القتل – نعم» . فقال باتل : «ولكنه غير عاجز عن القتل عندما يوجد ما تسميه أنت أو غيرك بالأسباب المبررة للقتل . وعندئذ لايعتبر القتل قتلا . يأخذ القتل اسما آخر ، ولا يكون القاتل قاتلا!» فقال ريس : «فى هذه الحالة تكون الأسباب أسبابًا كافية وقوية فى نظر الجميع» فقال باتل : «لايحق لك أن تجعل بعض الناس فى أى وقت يشاءون يأخذون حق التشريع من جديد بين أيديهم ويحاكمون الناس وفقا لأهوائهم ومعتقداتهم الخاصة. الأصل أن القوانين موجودة ومحاكمة الناس يلزم أن تتم حسب القوانين الموجودة بطريقة مسبقة لكى تطبق القوانين على كل الأشخاص عند إصدار الأحكام ، ولاينبغى أبدا أن تصدر الأحكام من شخص على شخص آخر وفقا لأهواء أو آراء هذا الشخص أو ذاك . السؤال هو : هل الأحكام يتم إصدارها وفقا لقوانين محددة موجودة سلفا أم يتم إصدار الأحكام وفقا للأهواء الشخصية لدى شخص يزعم لنفسه أن من حقه إصدار الأحكام على الآخرين وفقا لهواه ومصلحته ؟» .

قال الكولونيل : «يحدث فى أماكن كثيرة وفى أوقات كثيرة أن يحكم شخص على شخص آخر وفقا لهواه وكما يحلو له» . فقال باتل : «هذه هى الفوضى التامة والظلم البشع، وضياع العدالة ، وتخلف الحضارة ، ويستحيل أن يكون ذلك موجودا عندنا ملطخا لصفحات حضارتنا» . أنت تقول إن هذا يحدث فى بلاد أخرى فى أى وقت . وأنا أقول لك أن هذا هو ما لا ينبغى أن يحدث فى أى بلد متحضر . يلزم أن يكون الحكم على الأشخاص بموجب القوانين وليس بموجب أهواء أى شخص كائنا من كان . مارأيك ياسيد بوارو» . فقال بوارو : «أنا أوافق على رأيك تماما يا باتل. الحكم على شخص يلزم أن يكون بموجب القانون وليس بموجب الأهواء الشخصية لدى أى شخص آخر يقول نأمر باعتقال هذا الشخص أو بإعدام ذلك الشخص دون إبداء الأسباب الموجبة لذلك أو إثبات التصرفات الموجبة لذلك الصادرة عن الشخص الذى يضار من أحكام الشخص الذى يصدر الأحكام وفق هواه وليس وفقا للقوانين والحقائق الثابتة بالأدلة التامة المصداقية . هذا هو القانون فى الدول المتحضرة» .

قالت السيدة أوليفر : «دعونى أقدم لكم مثالا بسيطا : «ألا يمكن النظر إلى المسألة كما لو كانت عملية صيد للثعالب وقتلها للحصول على الفراء . ألا تعتقدون أنه يوجد أشخاص يلزم قتلهم ؟» فقال باتل «هذا ممكن» فقالت السيدة أوليفر: «لا مشكلة إذن» فقال

لها باتل : «أنت لاتفهمين الفرق بين الثعلب والإنسان . أنا لا أهتم بالضحية . أنا أهتم فقط بأخلاقيات الإنسان الذى يصدر قرارا بالقتل . يصدر الحكم القانونى مثلا بقتل القاتل. ويتم إعدام القاتل بالفعل . لماذا يتم إعدامه أو قتله؟ لوجود السبب ولوجود قانون . وإذا لم يوجد سبب يجوز أن يحكم القانون بالقتل لايجوز مطلقا أن يحكم أى شخص أو أن يصدر أوامر بقتل إنسان أو توقيع عقوبة عليه. يمكن قتل إنسان يتم إعدامه ، ولكن المهم هو: لماذا ؟ ومن الذى يحكم عليه هذا الحكم أو ذاك ؟ وكيف يتم إصدار هذا الحكم أو ذاك ؟ وكيف يتم تنفيذ هذا الحكم أو ذاك ؟ هذه كلها أسئلة مهمة من الضرورى الإجابة عنها فضلا عن أسئلة أخرى أقل أهمية ، ويستحيل أن تكون المسألة فى هذا الشأن خاضعة لفوضى الأهواء الشخصية لشخص أو مجموعة من الأشخاص» .

قالت السيدة أوليڤر : «وماذا بشأن الحرب؟» فقال باتل : «فى الحرب أنت لاتمارسين حق الحكم الشخصى بل يخضع الطرفان المتحاربان لحكم نتيجة الحرب بانتصار طرف وهزيمة الطرف الآخر من طرفى الحرب. وهنا تكمن الخطورة فى الحرب . فى الحرب لايكون السؤال هو : أين الحق والعدل ؟ بل يكون السؤال فى الحرب هو : أين الأقوى . فى الحرب يكون القتال بين دولة ودولة أخرى أو بين قوتين متصارعتين فى الدولة . وبالنسبة لجريمة القتل يكون الصراع بين قوانين الدولة التى تكفل العدل لأبنائها ممثلة فى رجال الأمن والقضاء وبين مجرم أو مجموعة مجرمين ارتكبوا عملا لاتسمح به قوانين الدولة ، وتضع له فى قوانينها عقوبة معينة . الفروق كثيرة بين الحرب وبين الصراع بين العدالة وبين المجرم القاتل . وعندما يتغاضى أى شخص عن قوانين الدولة المعمول بها فى عقاب المجرم ويصدر على المجرم فى نظره أحكاما وفق هواه يكون قد اغتصب وظيفة الله العادل» .

ونهض الكولونيل ريس وافقا وهو يقول : «يؤسفنى أننى لا أستطيع أن أستمر فى الاستمتاع بالاستماع إلى جهابذة القانون وعلوم الشرطة وسياسة الدولة أكثر من ذلك. أنا فقط أحب أن أرى نهاية لهذه القضية .وفى رأيى أنه حتى لو عثرتم على الشخص الذى فعلها سيكون من رابع المستحيلات أن تثبتوا أنه قد فعلها . اقتراف الجريمة شىء والدليل أو الأدلة على أن شخصا معينا قد ارتكبها شىء آخر . أنا أيضا أعرف الفروق الدقيقة الخطيرة بين الاعتبارات المختلفة وأطمئنكم أن من السهل أن تقولوا ، وربما تكونون على صواب فى أن تقولوا – إن هذا الشخص أو ذلك هو الذى ارتكب الجريمة . ولكننى أطمئنكم أن المعرفة بوقوع الجريمة شىء ، ومعرفة من الذى ارتكبها شىء آخر ، ومعرفة لماذا ارتكبها شىء ثالث ، ومعرفة كيفية ارتكابها شىء رابع ، والوصول إلى امتلاك أدلة تثبت أن هذا

الشخص هو دون سواه الذى ارتكبها شيء خامس . وأنا مطمئن تماما إلى أنكم خير من يعرف وأفضل من يتصرف ، لقد أعطيتكم المعلومات التى طلبتموها عن ديسبارد، تصرفوا فيها كيف شئتم ، ولكن رأيى الشخصى هو أن ديسبارد ليس الرجل الذى تبحثون عنه باعتبار أنه قاتل شيتانا أنا أعتقد أيضا أن ديسبارد لم يقتل أى شخص من قبل .ربما يكون شيتانا قد سمع أية أقاويل مصدرها مجرد ظنون خاطئة تتعلق بموت لوكسمور ولكننى أعتقد أنها لم تكن سوى مجرد ظنون. أنا أعرف أن ديسبارد رجل أبيض متحضر ، ولذلك فهو لم يقتل . هذا هو رأيى وأنا خبير فى النظر إلى الرجال ومعرفة طبائعهم وكيفية سلوكهم» .

قال باتل : «وما الحقائق التى يمكن معرفتها عن السيدة لوكسمور؟» فقال ريس : «هى تعيش معكم هنا فى لندن . وتستطيعون أن تصلوا إلى أخبارها بمعرفتكم . ستجدون عنوانها ضمن هذه الأوراق فى مكان فى ساوث كينجستون . ولكننى أكرر أن ديسبارد ليس هو القاتل» .

وغادر الكولونيل ريس إلى الحجرة بخطوات لاتحدث أى صوت مثل خطوات صياد يقترب من فريسته .

وهز باتل رأسه وهو يفكر بينما كان الكولونيل ريس يغلق الباب وقال : «يحتمل أن يكون ريس على صواب . أعتقد أن لديه شفافية كافية للنفاذ فى أعماق الرجال . ولكن على كل حال لا نستطيع أن نأخذ كل شيء مأخذ التسليم ، ولا صواب إلا ما يثبت بكل أساليب الفحص والتحرى أنه صواب ولا خطأ إلا ما يثبت بكل أساليب الفحص والتحرى أنه خطأ» .

وأخذ باتل ينظر إلى كتلة الوثائق التى تركها له ريس ويقلب الصفحات بسرعة ، ويكتب ملاحظات موجزة بقلم رصاص فى ورقة صغيرة من مفكرة كان قد أخرجها من جيبه .

واستمر الصمت فترة من الوقت حتى قطعته السيدة أوليڤر بقولها : «حسنا يا سيد باتل ، هل ستخبرنا بما كنت تفعله؟» وابتسم باتل وقال : «أشياء مفككة غير متكاملة وغير متسقة حتى الآن ياسيدة أوليڤر» فقالت: «هذا هراء . أنا متأكدة أنك لن تخبرنا بأى شيء تريد الاحتفاظ به» . فقال باتل : «لا ، سنضع كل الأوراق على المنضدة . هذا هو المبدأ الذى نعمل وْفقاً له . اللعب حسب أصول اللعب» . وجذبت السيدة أوليڤر مقعدها لتكون أكثر قربا من مكتبه وقالت : «إذن أخبرنا» .

قال باتل بهدوء شديد : «أول كل شئ أقول هذا . طالما قضية شيتانا مفتوحة فالجهود

فيها غير كافية . لاتوجد أى إشارة أو دلالة فى أوراق شيتانا الخاصة توضح أى شيء . وبالنسبة للأشخاص الأربعة الذين كانوا فى الحجرة ليلة مقتله جعلت رجالى يقتفون ظل كل منهم فى كل مكان ، ولكن دون أى طائل . وكان ذلك متوقعا . إنهم يمضون فى حياتهم كالمعتاد شأنهم شأن غيرهم من البشر . وبناء عليه يتضح لحضراتكم أنه - كما قال السيد بوارو - لايوجد أمامنا طريق إلا طريق واحد هو تتبع الماضى لنكتشف أية جريمة قتل يكون أحد أولئك الأشخاص قد ارتكبها وكان شيتانا يلمح إليها مما جعل القاتل يحس بالخطر من وجوده فقرر قتله ونجح فى تنفيذ قراره ذاك» . وهنا أيضا قالت السيدة أوليڤر : «حسنا ، هل وجدت أى شيء؟» فقال باتل : «لقد وجدت خيطا عند أحدهم» فقالت : «من هو؟» فقال : «الدكتور روبرتس» ونظرت إليه السيدة أوليڤر بارتياح ممتزج بالسرور .

واستطرد باتل يقول : «كما يعرف السيد بوارو قمت بتجربة كل النظريات . فحصت تاريخ أسرة الدكتور روبرتس نفسها وتأكدت أن أحدهم لم يمت مقتولا . ومشيت فى كل الطرق والشعاب قدر ما استطعت وتمخضت الجهود أخيرا عن إمكانية واحدة . منذ سنوات قليلة كان الدكتور روبرتس مذنبا فيما يتعلق بأخلاقيات مهنة الطب على الأقل مع واحدة من المريضات أثناء زياراته المنزلية لها . ويجوز ألا يكون مخطئا مع السيدة فى شيء . ولكن المرأة كانت مهووسة ومن النوع الذى يحب أن يبدع روايات بسبب الهوس ولمزيد من حب الشهرة . سواء كان زوجها قد ترامت إلى سمعه أصداء ذلك من الآخرين أو كانت زوجته هى التى اعترفت له صدقا أو كذبا عن وجود أشياء غير لائقة بين الدكتور روبرتس وبينها . ووجد الزوج نفسه فى أتون النار مع الدكتور روبرتس . وهدد الزوج الثائر الدكتور روبرتس أنه كان سيشكوه إلى المجلس الطبى العام ، وهو الأمر الذى كان يمكن أن يقضى على المستقبل الطبى للدكتور روبرتس» .

قالت السيدة أوليڤر :«وماذا حدث بعد ذلك؟» فقال باتل :« فيما يبدو نجح الدكتور روبرتس فى أن يهدئ من روع الزوج المهتاج ولو على نحو مؤقت . ومات الزوج الذى كان يهدد الدكتور روبرتس بعد ذلك بأيام قليلة معدودة ، وقيل إن سبب وفاته هى حمى الأنثراكس . وهى نوع من الحمى الميكروبية التى يمكن دس ميكروبها» .

قالت السيدة أوليڤر : «أنثراكس ! إنه مرض يصيب الأبقار» . فقال باتل: «بالضبط ياسيدة أوليڤر . ولعلك تذكرين أنه كانت توجد ضجة حول نوع من فرشاة الحلاقة مصنوعة من شعر الغنم وقيل إنها هى السبب فى انتشار عدوى الأنثراكس بين الرجال بنوع خاص» .

قالت السيدة أوليڤر :«هل تقصد أن الطبيب قد دس جراثيم هذا المرض فى فرشاة الزوج

المهتاج؟» فقال باتل : «هذه هى الفكرة العامة وهى ليست إلا مجرد فكرة ، مجرد تخمين، ولكن الاحتمال ممكن الحدوث».

قالت السيدة أوليفر :«هل هو تزوج السيدة كرادوك بعد وفاة زوجها؟» فقال باتل : «أوه، لا ، أنا أتخيل أن الغرام كان موجودا من جانب هذه السيدة من طرف واحد . حاولت الاتصال به ولكنها فجأة تقرر السفر إلى مصر بعد زيارة وحيدة له يبدو أنه أقنعها أنه لايستطيع أن يتزوجها إلا فى بلد أجنبى . وماتت السيدة كرادوك فى مصر بعد وصولها إليها مباشرة ، وبعد أن كان الدكتور روبرتس قد أشرف على تطعيمها ضد بعض الأمراض المعدية، وثارت شكوك حول موتها بسبب تسمم فى الدم ».

قالت السيدة أوليفر : «يجوز ألا يكون الطبيب هو الذى سمها». فقال باتل: «لا أعرف . تناقشت فى ذلك مع أحد علماء البكتيريا ، ولكن من الصعب الحصول منهم على نتائج قاطعة . إنهم لايعطون رأيا قاطعا أبدا. إنهم لا يقولون نعم ولايقولون لا . يقولون فى حالة كذا يكون كذا ومن الجائز أن يحدث كذا كذا نتيجة لكذا أوكذا . وهكذا ،و يقولون أيضا : وهذا يتوقف على حالة المتلقى . يجوز .. ويجوز .. ويجوز .. وهكذا . وهم أيضا يستخدمون مصطلحات لم تستخدم من قبل وهنالك تشابه وتداخل بين معانيها ربما لايتفقون على معنى محدد لها أبدا . ولكن بعد كثير من المناقشات معهم استطعت أن أخلص إلى نتيجة لاخلاف عليها وهى أن ميكروب الأنثراكس بالذات يمكن دسه فى الفرشاة ليصاب من يستخدمها بالقطع بهذا المرض وتكون وفاته مؤكدة . كما أن التطعيم ضد الأمراض المعدية يعتبر فرصة مناسبة لإدخال أى ميكروبات فى الحقنة التى يتم تطعيمها بواسطتها ، وتموت أيضا بعد أيام قليلة ليتخلص الدكتور روبرتس من خطر تهديد حقيقى من الزوج أو الزوجة بعد وفاة الزوج».

قال بوارو :«هل تم تطعيم السيدة كرادوك ضد مرض التيفود بالذات ؟ أنا أعرف أن من يسافرون إلى الخارج يتم تطعيمهم ضد التيفود» . فقال باتل: «نعم» فقال بوارو : «هل ثبت بالقطع أن الدكتور روبرتس هو الذى قام بتطعيمها ضد التيفود قبل سفرها إلى مصر مباشرة» . فقال باتل : «قالت وصيفتها إنها كانت قد ذهبت إلى الدكتور روبرتس ، وكانت تلك هى المرة الوحيدة التى ذهبت إلى عيادته فيها ،وعادت من عنده بذراع متورمة من أثر التطعيم . وعلى كل حال ، نحن لانميل إلى الظن. هذه كلها مجرد تخمينات . ونحن نريد أدلة حاسمة قاطعة».

قال بوارو : «هذه الظروف تتسق تماما مع تلميحات شيتانا . كان شيتانا يمتدح القاتل

الذى يستحيل أن تصل الأدلة على جريمته إلى أرض الوطن».

قالت السيدة أوليڤر :« وكيف عرفها شيتانا نفسه إذن؟» فهز بوارو كتفيه: «هذا هو مالا يمكن أن نعرفه حيث إن شيتانا قد مات فلا نستطيع أن نسأله. ولكن يتضح من تلميحاته هذه أنه كان قد عرف كل هذه التفاصيل عن الدكتور روبرتس . لقد كان شيتانا بارعا فى اصطياد الأسرار الدفينة واستخراجها من أماكنها ووسائله فى ذلك متعددة . وعلى كل حال نستطيع أن نقول إنه كان يخمن . ولكن هل كان تخمينه صحيحا؟».

قال باتل : «فى رأيى أن الطبيب المرح كان قاتلا . قتل كرادوك ، ويجوز أن يكون قد قتل السيدة كرادوك أيضا عندما أحس أنها تشكل مضايقة ومصدرا للفضيحة له . والسؤال الذى يهمنى الآن هو هل قتل الدكتور روبرتس شيتانا ؟ لو أننا أجرينا مقارنة بين جرائم القتل هذه نجد عدم التماثل بين جريمتى قتل السيد والسيدة كرادوك وجريمة قتل شيتانا . تم استخدام الميكروبات فى الجريمتين الأولى والثانية بينما تم استخدام الخنجر فى الجريمة الثالثة ، وعدم التطابق لمصلحة الطبيب دون ريب» .

فقالت السيدة أوليڤر :« أنا لم أعتقد أبدا أننى اعتقدت أنه هو الذى قتل شيتانا لمدة دقيقة واحدة ، إنه أذكى من أن يطعنه» .

وابتسم بوارو إذ تذكر كيف أنها كانت تصر فى ليلة وقوع الجريمة على أن الدكتور روبرتس هو الذى فعلها ولكن بوارو قال :« فلنترك الدكتور روبرتس ونخرجه من دائرة الاتهام. ماذا بشأن الثلاثة الآخرين؟» .

وأشار باتل بيده إشارة تدل على نفاد الصبر وقال : «لقد كانت السيدة لوريمير أرملة منذ عشرين عاما الآن . ولقد عاشت فى مدينة لندن معظم حياتها ، وكانت تسافر أحيانا إلى الخارج فى فصل الشتاء ...أماكن متحضرة مثل الريڤيرا أو مصر أو ما شابه هذه البلاد ولم أستطع أن أكتشف لها أى علاقة بأى جريمة قتل ولوكانت من الجرائم الغامضة المقيدة ضد مجهول أو قضاء وقدرا . ويبدو أنها ظلت طوال عمرها تعيش حياة نموذجية سوية محترمة – حياة امرأة خبرت العالم فى أرقى مستوياته الحضارية . ويبدو أن كل شخص عرفها كان يحترمها ويجل شخصيتها . وأسوأ شىء يقال عنها هى أنها لا يمكن لها أن تطيق صبرا إزاء حماقات الأشخاص الحمقى بأى شىء من التسامح أو التساهل ! وأنا لا أتردد فى أن إخفاقى التام فى أن أعثر على أى شىء ضدها ! كيف بالله ، ولماذا كان شيتانا يعتقد أنه كان يوجد شىء ضدها ؟» .

وتنهد باتل على نحو يدل على انخفاض روحه المعنوية ثم قال :«بعد ذلك توجد الآنسة

آن ميرديث . تتبعت مراحل حياتها بكل وضوح . ابنة ضابط بالجيش . مات أبواها وتركا لها مالا قليلا جدا . كان عليها أن تكسب عيشها . لم تكن مدربة لكى تزاول أى عمل أو مهنة . قمت بعمل التحريات اللازمة عنها فى المرحلة الأولى من حياتها فى تشيلتنهام . وكان كل شىء على ما يرام من حيث سلامة مسلكها فى الحياة . وكان كل الناس يأسفون لحالة البنت الصغيرة اليتيمة الأبوين دون قريب أو معين لها فى الحياة . ذهبت أولاً لتعيش عند أناس فى آيل أوف ويت . نوع من الحضانة عملت فيها كمربية تشرف على سلامة الأطفال أثناء اللعب ، وتساعد صاحبة الحضانة فى أعمال المنزل . ثم سافرت صاحبة دار الحضانة إلى فلسطين ، ولكننى تكلمت مع أخت هذه المرأة وقالت إن أختها السيدة إيلدون كانت تحب البنت حبا جما . وبالتأكيد لم تحدث فى نطاق حياتها حالة وفاة مريبة على الإطلاق .

«وعندما سافرت السيدة إيلدون خارج البلاد و ذهبت الآنسة ميرديث إلى ديڤونشاير وشغلت وظيفة مرافقة لابنة إحدى خالات زميلة لها ، وزميلتها هذه هى التى رشحتها لتعمل عند خالتها هى الآنسة رودا داويز التى تعيش معها آن ميرديث الآن وظلت هناك لمدة عامين ومرضت خالة رودا داويز بالسرطان وأصبحت فى حاجة إلى ممرضة محترفة وربما تكون موجودة على قيد الحياة حتى الآن ، ولكنها استغنت عن خدمات آن ميرديث. زرتها ووجدتها تعيش تحت تأثير المسكنات المخدرة ، واستطاعت أن تتذكر آن ميرديث وقالت إنها كانت طفلة لطيفة . وتكلمت أيضا مع جارة لها كانت تستطيع أن تتذكر أحداث العامين اللذين عاشت خلالهما آن ميرديث عند جارتها . ولم تحدث حالات وفاة غير عادية فيما عدا حالة أو حالتين لأناس متقدمين فى السن لا يمت أى واحد بأى صلة قرابة أو تعامل مع آن ميرديث . وبعد ذلك ذهبت فى رحلة إلى سويسرا . وظننت أننى ربما أجد أثرا لحادثة موت هناك، ولم أجد شيئا من ذلك على الإطلاق . ولا يوجد شىء من ذلك فى وولنجفورد حيث تعيش الآن مع زميلتها رودا» .

قال بوارو : «هل سنستبعد من دائرة الشك والاتهام الآنسة آن ميرديث أيضا» ؟ فقال باتل : «أنا لا أقول هذا . يوجد شىء ما . أقول شىء ما . شىء ما من النظرة القلقة المضطربة الحزينة المترددة المرتبكة بعد موت شيتانا ويستحيل أن تكون هكذا لمجرد الحزن على شيتانا ! إنهاحذرة متوجسة مترقبة. أنا أستطيع أن أقسم أنه يوجد شىء ما ولكن ما نجده حتى الآن هو أنها قد عاشت حياة فى غاية الاستقامة» .

وتنفست السيدة أوليڤر بعمق واضح جدا فى هذه اللحظة كما لو كانت تريد أن تملأ رئتيها إلى أقصى اتساع لهما بالهواء ، وبدت على وجهها أمارات السعادة ، وظن باتل أن

هذه هى مظاهر سعادة السيدة أوليڤر بابتعاد شكوك الاتهام عن الشابة اليتيمة الأبوين ، ولكنه فوجىء بالسيدة أوليڤر تقول دفعة واحدة وبحماس شديد : «ومع ذلك كانت آن ميرديث موجودة فى أحد المنازل عندما تناولت صاحبة البيت السم عن طريق الخطأ وماتت» .

ولم تكن السيدة أوليڤر تستطيع أبدا أن تتخيل مدى التأثير الذى أحدثته كلماتها القليلة التى تدافعت من فمها كاندفاع طلقات الرصاص من سلاح آلى ضغطت أصبع على زناده باستمرار حتى أفرغ كل الطلقات التى كانت موجودة فى جوف ذلك السلاح !

استدار كبير المفتشين باتل فى كرسيه الدوار ليتجه بكل جسمه نحو السيدة أوليڤر وقال : «ماذا؟ هل هذا الذى تقولينه صحيح ياسيدة أوليڤر ؟ وكيف أمكن لك أن تعرفى هذا؟» .

قالت السيدة أوليڤر : «كنت أقوم بعمل تحرياتى السرية الشخصية اشتغلت بعض الوقت مخبرة سرية شخصية غير حكومية . زرت البنتين . وحكيت لهما حكاية قمت بطبخها عن أننى اعتقد اعتقادا جازما أننى أشك فى أن الدكتور روبرتس هو الذى قتل شيتانا ولا أشك فى آن ميرديث على الإطلاق إلى حد أننى طلبت منهما التعاون لتجمعا الأدلة التى تدين الدكتور روبرتس . كانت البنت رودا متجاوبة معى بينما كانت البنت ميرديث ممتعضة من مجرد زيارتى لهما . كانت مرتابة . يبدو أنها كانت تخشى أن تسفر التحريات عن شىء ضدها . ورفضت التعاون رفضا تاما . لماذا ترفض إن لم يكن فى سجلها شىء لا تريد أن يظهر ؟ وطلبت منهما أن يحضرا لزيارتى فى لندن . وزارتنى البنت رودا . وتدفقت من بين شفتيها كل تفاصيل هذه المعلومات التى قلتها الآن . وكان ذلك فى مجال محاولتها تبرير عدم تجاوب آن ميرديث معى إذ إنها عللت ذلك بأننى ذكرت شيئا عن السموم وعن الناس الذين يتناولون السموم على سبيل الخطأ ، وقالت إن زميلتها آن ميرديث صادفت فى حياتها هذه التجربة وحكت لى كل تفاصيلها» .

قال باتل :«هل هى ذكرت لك أين ومتى حدث ذلك» .

فقالت السيدة أوليڤر : «منذ ثلاث سنوات فى ديڤونشاير» . وقال باتل شيئا غير واضح بصوت خافت . وكتب ملاحظة صغيرة فى مفكرته . واهتز تخشبه .

وجلست السيدة أوليڤر تستمتع بانتصارها الكاسح الحاسم . باتل بكل إمكاناته أجرى تحرياته ولم يصل إلى شىء يتعلق بالبنت آن ميرديث، والسيدة أوليڤر فى زيارة واحدة للبنتين وصلت إلى المطلوب المفيد .

وبعد أن انتهى باتل من تدوين الملاحظة التى شاء أن يدونها وضع القلم من يده ، ونظر

نحو السيدة أوليڤر وقال لها : «أنا أخلع لك القبعة ياسيدة أوليڤر . لقد سجلت نصرا حاسما علينا في هذه المرة . هذه معلومة قيمة جدا . وحصولك أنت على هذه المعلومة القيمة يوضح لى كيف يمكن أن أنهزم بسهولة» .

ثم قطب باتل جبينه وقال : «من المستحيل أنها كانت هناك . لقد قضت هناك فترة شهرين فقط . من الضرورى أن ذلك كان فى الفترة التى تقع بالضبط بين مغادرتها آيل آوف ويت وذهابها عند الآنسة داويز .نعم . فى هذه الحالة يمكن أن تكون المعلومة صحيحة تماما . ومن الطبيعى أن أخت السيدة إيلدون تسقط هذه المدة البسيطة من حساباتها تماما .

قال بوارو : «قولى لى : هل كانت السيدة إيلدون هذه امرأة معروفة بالخرق والإهمال بوجه عام ؟» فقال باتل :«هذا سؤال من أسئلتك الغريبة ياسيد بوارو . أنا بالفعل أتذكر أن أختها عندما كانت تتكلم معى عنها قالت عنها إنها كانت خرقاء مهملة فى حياتها ... كيف عرفت أنت ذلك ؟» .

قالت السيدة أوليفر :«لأنها كانت فى حاجة إلى مساعدة فتاة بدلا من المساعدة التى كانت تبذلها أمها فى رعايتها والعناية بها» . فقال بوارو :«لا. لا . ليس هذا هو المهم ... استمر فى فيض معلوماتك يا سيد باتل» .

فقال باتل : «مصدر الخطأ الذى أفلتت بسببه هذه المعلومة المهمة هو أننا افترضنا أن آن ميرديث قد ذهبت عند الآنسة داويز مباشرة من آيل أوف ويت. هذه البنت ماكرة جدا . إنها لم تذكر لى كلمة واحدة عن الشهرين اللذين قضتهما فى ديڤونشاير منذ ثلاث سنوات . خدعتنى وقتا طويلا . أخفت عنى أهم الحقائق . لماذا افترضت أنا أنها قد ذكرت كل الحقائق ولم تخف شيئا من الحقيقة ؟» .

قال بوارو :«الكذب أو إخفاء جزء من الحقيقة ليس دائما دليلا على اقتراف جريمة . ولوكنت تعرف كمية من المعلومات وذكرت لنا معظمها واحتفظت لنفسك بمعلومة أو أكثر لم تذكرها لنا ، فليس معنى ذلك أنك قد ارتكبت جريمة» .

قال باتل : «هذا يتوقف على نوع وأهمية المعلومة والظروف التى تحتم أو لا تحتم الإدلاء بها لمن يهمه الأمر . والكذب فى حد ذاته ليس جريمة لذا لم نكن بصدد التحقيق فى جريمة أما عندما نكون بصدد التحقيق فى جريمة فربما كان للكذب خطورته . ولو كانت قد ذكرت لى هذه المعلومة على نحو ناقص كأن تخبرنى أنها قضت شهرين فى ذلك المكان دون أن تذكر الحادثة المهمة التى صادفتها خلال هذين الشهرين لكان من الممكن أيضا أن تفلت المعلومة نتيجة افتراض طبيعى ومعقول وهو أن الشهرين قد مضيا دون أن يحدث فيهما

شيء كما مضى العامان السابقان لهما دون أن يحدث فيهما شيء . ولكنها أسقطت الشهرين وما حدث فيهما أيضا وذلك عن عمد ممايدل على شيء على مستوى عال من الخطورة . إنها لاتفعل ذلك عن عمد وقصد ما لم تكن مذنبة» .

قال بوارو : «مذنبة هنا تعلق بحادثة الوفاة الشاذة الظروف في ديفونشاير وليست حادثة قتل شيتانا بطبيعة الحال ويستحيل الخلط بين الحادثتين» .

قال باتل : «أريد التأكد من وجود حادثة قتل صريحة ارتكبها بالقطع وليس على سبيل الظن أحد أولئك الأشخاص الأربعة» . فقال بوارو :«وفقا لما قاله شيتانا ، هذا مستحيل . شيتانا قال إنه كان سيقيم حفلة لقتلة مطلقي السراح لم تستطع السلطات إثبات جريمة القتل على أحد منهم ولم يوجه لهم أحد أي اتهام . ومعنى ذلك أن الجريمة التي سبق أن ارتكبها أي واحد منهم لا يوجد دليل حاسم يدل على أنه ارتكبها بالقطع كما تريد أنت الآن» .

قال باتل : «هكذا الشأن في حالة الدكتور روبرتس . سنرى ما إذا كان ذلك هو الشأن في حالة الآنسة آن ميرديث أيضا أنا سأذهب إلى ديفون غدا» .

قالت السيدة أوليفر : « هل تعرف أين ستذهب في ديفون ؟ أنا لم أشأ أن أسأل رودا أسئلة كثيرة» . فقال باتل : «كان ذلك صوابا وحكمة من جانبك . أنا لن أجد صعوبة كبيرة هناك . سأجد ما أريده في سجلات الوفيات هناك . هذا من أعمال الشرطة الروتينية في كل مكان . لقد سجلوا كل شيء وسأجده هناك في صباح الغد» .

قالت السيدة أوليفر:«وماذا بشأن الميجور ديسبارد؟ هل وجدت شيئا بشأنه؟» فقال باتل : «كنت أنتظر تقريرا عنه من الكولونيل ريس .ولقد جعلت رجالي يتعقبونه تماما هنا . بطبيعة الحال ، ومن المثير للدهشة أنه قد ذهب لزيارة البنتين في ويلنجفورد» وقال بوارو :« الآنسة ميرديث بنت جميلة» فقال باتل وهو يضحك :«إنها بالفعل جميلة . وأنا أتوقع كل ما ينتج عن جمالها . وجدير بالذكر أيضا أن ديسبارد لايترك شيئا بالصدفة . لقد لجأ وجعل الفتاة تلجأ إلى محام. وهذا يوضح أنهما يتوقعان شيئا من المتاعب القانونية ويتحسبان له» . فقال بوارو :« إنه رجل ينظر أمامه جيدا . إنه يستعد جيدا لكل احتمال» . فقال باتل : «ولذلك فليس هو الرجل الذي يطعن رجلا بالخنجر في حضور أناس آخرين» . فقال بوارو :« لايفعل ذلك ما لم يكن ذلك ضروريا بالفعل» .

ونظر باتل نحو بوارو وقال له :« والآن ياسيد بوارو ، ماذا عن أوراق تسجيل نتائج أدوار اللعب؟ ألم تكتشف فيها شيئا جديدا» ؟ .

ابتسم بوارو وقال :« فيها القليل جدا. هل تعتقد يا باتل أننى أخفى عنك ماعندى؟ لا ، ليس الشأن كذلك . أنا لم أصل إلى كثير من الحقائق على الرغم من أننى لا أعتمد على تلك الأوراق وحدها . لقد تكلمت مع الدكتور روبرتس ومع السيدة لوريمير ومع ديسبارد ، ويلزمنى أن أتحدث مع الآنسة ميرديث فيما بعد . ماذا حصلت عليه من كل ذلك ؟ كل ما حصلت عليه هو هذا الذى أوجزه لك . الدكتور روبرتس هو الوحيد بينهم الذى يمتلك قوة ملاحظة هائلة للأشياء من حوله. والسيدة لوريمير لديها قوة هائلة فى التركيز العقلى وقوة الذاكرة ، ولكنها لاتكاد تلتفت إلى وجود الأشياء الصغيرة التى يقع نظرها عليها . وهى مغرمة بحب الزهور والورد . وديسبارد يهتم فقط بالأشياء الكبيرة ولايهتم إطلاقا بالأشياء الصغيرة . إنه يهتم فقط بملاحظة ما يهم وإهمال كل ما لايهم» .

قال باتل :«هل هذه هى الأشياء التى تطلق عليها اسم الحقائق؟» فقال بوارو : «إنها حقائق . قطع صغيرة من الحقائق المشوية» . فقال باتل :«وماذا بشأن الآنسة ميرديث؟» فقال بوارو :«تركتها لتكون آخر شخص أقابله ، ولكننى سأقابلها لأعرف ما تستطيع هى أن تتذكره من محتويات تلك الحجرة» فقال باتل :«هذه طريقة عجيبة فى معالجة القضية . طريقة نفسية مائة بالمئة ، هل تعتقد أن هذه الطريقة ستصل بك إلى الطريق المؤدى إلى الحقيقة؟» فابتسم بوارو وقال :«لا ، هذا مستحيل . سواء كانت هذه الطريقة مفيدة أو مجرد إضاعة للوقت والجهد فهى بالضرورة تظهر لنا ما يمكن أن نطلق عليه اسم النمط الذهبى»فقال باتل بعد شىء من التفكير: «فيها شىء من الجدوى دون ريب ، وبالرغم من ذلك لا أستطيع أنا أن أعمل بهذه الطريقة» .

قال بوارو :« أنا أشعر أننى قد أنجزت القليل بالنسبة إلى إنجازاتك وإنجازات السيدة أوليڤر وإنجازات الكولونيل ريس . الأوراق التى أضعها على المنضدة ضعيفة فى قدرتها على الكسب» . فقال باتل :«ربما تستطيع بأضعف الأوراق أن تكسب أقوى الأوراق فى أى وقت . فى اللعب تحدث المفاجآت . والآن ياسيد بوارو أنا أريدك أن تكف عن اللعب بعض الوقت وتبذل بعض الجهد بطريقة عملية» . فقال بوارو : «فيم؟» فقال باتل : «أنا أريدك أن تجرى مقابلة مع أرملة الدكتور لوكسيمور» فقاتل بوارو: «ولماذا لاتجرى أنت معها هذه المقابلة؟» فقال باتل :«لأننى كما سبق أن قلت سأتوجه إلى ديفونشاير» . فقال بوارو مكررا نفس السؤال :«لماذا لاتفعل ذلك بنفسك يا باتل؟» «لأنه لايمكن تأجيل هذه المقابلة المهمة ، هل ستقوم بها . لا مفر يا بوارو من أن أقول لك الحقيقة ، أقصد السبب الحقيقى فى اختيارى لك للقيام بهذه المهمة . أنا أعتقد أنك ستستخرج منها معلومات أكبر بكثير

مما أستطيع أنا أستخرجه منها». فقال بوارو:« هذا على الرغم من أن طريقتى أقل محصولا ؟» فقال باتل:« تستطيع أن تفترض ذلك. لقد سمعت المفتش چاب يقول إن لك عقلا متمايزا عن عقول الناس». فقال بوارو :« مثل عقل السيد شيتانا ؟» فقال باتل : « هل تعتقد أنه من خلال عقليته المتميزة قد استطاع أن ينتزع من صدرها بعض الأسرار وعلى أساسها استدعى ديسبارد لكى ينضم إلى عشاء القتلة ؟» فقال بوارو : «أنا أعتقد بالفعل أنه قد حصل بالفعل على بعض الحقائق منها!» فقال باتل بحدة : «وماذا يجعلك تعتقد ذلك ؟» فقال بوارو : «لقاء بالصدفة مع ديسبارد وعبارة بالصدفة قالها». فقال باتل :« هل أفصح لك عن شيء؟ هذا يتناقض مع شخصيته المكتومة كل الكتمان!» فقال بوارو : «أوه يا صديقى ، من المستحيل أن يظل الرجل كتوما كل الكتمان مالم يكن فم الرجل مغلقا تماما بسبب الوفاة وحدها! الكلام هو الوسيلة الوحيدة للإفضاء بالأسرار» . فقالت السيدة أوليڤر :« حتى لو كان الناس عندما يتكلمون يقولون الأكاذيب؟» فقال بوارو : «نعم ياسيدتى عندما تكتشفين أنهم يقولون نوعا معينا فقط من الأكاذيب» . فقالت السيدة أوليڤر: «أنت تجعلنى أشعر بالتعب الشديد». ونهضت واقفة .

وصاحبها كبير المفتشين باتل إلى الباب . وصافحها عند الباب بحرارة ، وقال لها : «لقد كنت أكثرنا وأعظمنا إنتاجا ياسيدة أوليڤر . أنت مخبرة سرية أفضل بكثير من ذلك المخبر من الأراضى المنخفضة والذى تبتكرين حكاياته فى رواياتك العظيمة» .

فقالت له السيدة أوليڤر :«إنه ليس من الأراضى المنخفضة . إنه فنلندى . وهو بالطبع أخرق وذكى ، ولكن الناس يحبونه . وداعا وإلى اللقاء» .

وقال بوارو :«وأنا أيضا يحسن أن أرحل من هنا». وكتب باتل عنوان شخص ما على قطعة من الورق ودسها فى يد بوارو قبل أن يصافحه ، وقال له : «ستكون هناك. اذهب إليها وتعامل معها». وابتسم بوارو وقال: «وماذا تريدنى أن أكتشف عندها؟» فقال باتل : «الحقيقة بشأن وفاة زوجها البروفيسور لوكسيمور» . فقال بوارو : «ياعزيزى باتل ، هل يعرف أى شخص حقيقة أى شيء؟» فقال باتل : «أنا ذاهب من أجل إحدى المهام فى ديڤونشاير» .

وتمتم بوارو يقول : «أمور عجيبة!» .

الفصل العشرون
إفادة من السيدة لوكسيمور

* * * * *

نظرت الخادمة التى فتحت الباب لبوارو بعدم ارتياح كبير فى منزل السيدة لوكسيمور فى شارع ساوث كينجستون . لم تبد أى ارتياح فى أن تدعه يدخل .

ولم تتضعضع عزيمة بوارو عن الدخول . وضع بوارو بطاقة تحمل اسمه فى يدها وقال لها فى لهجة آمرة : «أعط هذه لسيدتك . أنا أعتقد أنها ستقابلنى» .

وكانت البطاقة الواحدة من بطاقاته ذات التأثير القوى . وكانت كلمات «مخبر سرى خصوصى» مطبوعة فى ركن من البطاقة بخط رفيع بينما كان اسمه مكتوبا فى السطر المتوسط من البطاقة بخط سميك أنيق . وكان بوارو يحتفظ بهذه البطاقات ولا يستخدمها إلا عند ضرورة الدخول وراء الأبواب المغلقة بشدة بينما توجد فى الداخل سيدة ليس من السهل إجراء مقابلة معها . وكانت كل سيدة ترغب بشدة بطبيعة الحال فى أن ترى بعينيها مخبرا سريا من أشهر المخبرين السريين فى العالم لتعرف ماذا يريد منها هى على وجه الخصوص . فرصة للشهرة مع المشهورين!

وإذ تركته الخادمة واقفا فوق السجادة الصغيرة أمام الباب ، أخذ بوارو يتأمل الأكرة الكبيرة الحجم المثبتة فى وسط الباب وهو يتعجب لكمية القذارة التى تعلوها . وتذكر بوارو أكرة باب السيدة لوريمير النظيفة اللامعة ، وقال بوارو فى نفسه : «ألا تجد هذه الخادمة العنيدة خرقة نظيفة وشيئا من البراسو؟!» .

وعندئذ ، عادت الخادمة وسمحت لبوارو بالدخول . واقتادته إلى حجرة فى الدور الأول كانت الإضاءة فيها ضعيفة وكانت تفوح منها رائحة الورد الذابل مختلطة برائحة طفايات السجائر الممتلئة بأعقاب السجائر فى آن واحد. وكانت هنالك كميات كبيرة من الوسائد الصغيرة المكسوة بقماش الحرير ذات الألوان الزاهية وهى تحتاج كلها إلى النظافة ، وكانت الجدران لونها أخضر ، بينما كان السقف نحاسى اللون.

وكانت امرأة طويلة القامة تقف بجوار دولاب للفضيات . تقدمت للأمام عندما دخل بوارو الحجرة وقالت فى صوت معدنى النبرات : «هل أنت السيد هركيول بوارو؟» .

وانحنى بوارو بطريقة لم ينحن بها لسيدة من قبل . انحنى ببطء وببطء شديد ، وخطر فى ذهنه وهو ينحنى على هذا النحو أن شيتانا لابد أنه كان ينحنى بنفس هذه الطريقة ليظهر أعظم الاحترام للسيدة التى يشرف بالكلام معها .

قالت السيدة :«ماذا أردت أن تتكلم معى بشأنه؟» وانحنى بوارو بنفس الطريقة مرة أخرى وقال : «هل يمكن أن تسمحى بالجلوس ؟ ربما أحتاج وقتا قليلا» .

وأشارت بيدها فى شىء من العصبية نحو كرسى ، وجلست هى على طرف أريكة بالقرب من الكرسى الذى جلس عليه بوارو وقالت : «نعم ؟ حسنا؟» فقال بوارو : «الموضوع هو أننى أعمل أبحاثا ياسيدتى - أبحاثا خاصة - أنت تدركين هذا؟!» فقالت : «نعم ، نعم» فقال بوارو بسرعة : «أعمل أبحاثا بشأن وفاة المرحوم البرفيسور لوكسيمور!» .

وتنهدت السيدة لوكسيمور ، وكانت خيبة رجائها واضحة التأثير فى ملامح وجهها وقالت : «ولكن لماذا ؟ ماذا تقصد من وراء هذه الأبحاث ؟ ما أهميتها بالنسبة لك؟» . فقال لها بوارو : «كتاب كبير يجرى إعداده . أنت تفهمين ذلك طبعا . حياة زوجك العظيم . والمؤلف بطبيعة الحال معنى كل العناية بأن يحصل على المعلومات الحقيقية المتعلقة بهذه الجزئية من جزئيات كتابه . إنه يصر على ألا يتم تأليف كتابه إلا إذا استوفى كل الحقائق المتعلقة بوفاة زوجك العظيم. وهو يريد الحقائق ، ولا شىء غير الحقائق . إنه باحث محقق ومدقق . وأنت تعرفين أنه من الضرورى لباحث علمى من هذا الطراز أنه لايبالى بأى جهود يبذلها أو أى أموال يدفعها لتحقيق هذا الغرض . إن إصراره على معرفة الحقائق إصرار بالفعل شديد» .

واندفعت السيدة لوكسيمور تقول : «مات زوجى بسبب الحمى عند نهر الأمازون» واضطجع بوارو فى مقعده إلى أقصى ما يسمح به له اتساع المقعد ، وببطء ، وببطء شديد، وببطء شديد جدا ، أخذ بوارو يهز رأسه ذات اليمين وذات اليسار وهو يقول : «ياسيدتى .. ! ياسيدتى..!» فقالت السيدة : «ولكننى أعرف !أنا كنت هناك فى ذلك الوقت» فقال بوارو : «آه ، نعم ، بالتأكيد ، أنت كنت هناك . نعم ، المعلومات التى توصلت أنا إليها تقول ذلك» . فصاحت فيه قائلة :«ما المعلومات التى توصلت أنت إليها؟» فنظر إليها بوارو نظرة فاحصة مدققة وقال : «عندى معلومات حصلت عليها من المرحوم السيد شيتانا قبل وفاته .وهى موثقة عندى» .

وارتعد جسمها كما لو كان قد ضربها بشدة بسوط جيد الصناعة ، وتمتمت قائلة: «شيتانا؟!» فقال بوارو : «كان شيتانا رجلا لديه كميات كبيرة من الأسرار . كان رجلا من المستحيل تجاهله فى مهمة مثل المهمة التى كلفت أنا بها» . فقالت : «أنا أعتقد فعلا أنه

كانت لديه كميات كبيرة من الأسرار» . وعضت شفتها بأسنانها .

قال بوارو وهو يقترب منها ولمس بأصبع سبابته ركبتها ونقر عليها قائلا : «لقد عرف شيتانا على سبيل المثال لا الحصر أن زوجك لم يمت بسبب الحمى» . وحملقت فى وجه بوارو . وظهر اليأس وظهر الفزع فى عينيها . واعتدل بوارو فى مقعده مرة أخرى وهو يراقب تأثير كلماته على ملامح وجهها. ولاحظ أنها تستجمع قواها لتتكلم فأرهف أذنيه مصغيا لما ستقوله قبل أن تقوله . ولم تلبث المرأة أن قالت : «أنا لا أعرف - لا أعرف ما تعنيه» . وعرف بوارو أن هذا هو الخط الأخير من خطوط مقاومتها فاستعد جيدا للإجهاز الفورى عليه فقال : «ياسيدتى ! أنا سأكون واضحا كل الوضوح . أنا بكل تأكيد سأضع كل الأوراق فوق المنضدة . إن زوجك لم يمت بسبب الحمى . بل مات زوجك بسبب رصاصة» . فقالت : «أوه!»

وغطت وجهها بيديها . وقامت تتمشى جيئة وذهابا ببطء شديد . كانت تبدوكما لو كانت فى محنة حقيقية وليست فى استقبال ضيف فى منزلها . كانت تبدو كما لو كانت موجودة بالقرب من نهر الأمازون وتجرى أحداث مفجعة تحت نظر عينيها ... فغطت عينيها براحتيها . وتأكد بوارو أن هذه الذكريات فيها ما يحزن وفيها أيضا ما يبهج ، وهذه هى حقيقة مشاعر الإنسان عموما والنساء خصوصا عندما يمتزج الألم مع اللذة وأسباب السعادة مع أسباب التعاسة فى مشاعر البشر ويستحيل الفصل بين هذا الشعور المؤلم وذلك الشعور اللذيذ المبهج ، وقرر بوارو الاستفادة من هذا التناقض الضاغط إلى أقصى مدى فقال: «وبناء على ذلك يجب أن تقولى لى الحقيقة بالضبط لكى يتسنى لك تصحيح أى جزئية قد لاتكون صحيحة فى المعلومات المتوافرة عندى فى هذا الشأن ياسيدتى . أنت مرجعية حقيقية فى هذا البحث ياسيدتى . وتقتضى منا الأمانة العلمية أن نسمع منك لأنك شاهدة عيان موثوق بصدق شهادتها حتى لاتسىء معلومة من المعلومات التى لدينا إساءة ما إلى زوجك أو إلى شخصك أو إلى شخص آخر دون وجه حق ياسيدتى . هذا هو ما نحرص عليه كل الحرص ياسيدتى» .

ورفعت السيدة لوكسيمور يديها عن وجهها وقالت : «لم تكن المسألة بأى حال كما تظنها» . وعاود بوارو الاقتراب منها والنقر بسبابته على ركبتها وقال لها : «أنت تسيئين فهمى ! أنت تسيئين فهمى! لو كنت أقبل أى كلام يقال جزافا لقدمت ما عندى من معلومات جاهزة ، ولكننى أريد الدقة . أريد الحقيقة. ولهذا السبب جئت عندك . أنا لم أقل أبدا إنك أنت التى أطلقت الرصاص ، ولكننى أريد الحقائق ، والحقائق وحدها ياسيدتى. لقد كان الميجور ديسبارد هو الذى فعل ذلك ، ويجوز أن يكون السبب شأنا يتصل بوجودك هناك» .

قالت : «أنا لا أعرف . أنا لا أعرف . أنا أعتقد أننى كنت أنا السبب فى ذلك . يوجد نوع من القضاء والقدر يشكل مسار حياتى» . فقال بوارو : «آه ، هذا يبدو صحيحا كل الصحة . كم كان ذلك الاعتبار غائبا عنى؟ هناك نساء كثيرات يتدخل القضاء والقدر فى حياتهن تدخلا واضحا . وحيثما يذهبن تتوالى الأحداث من حولهن دون أى تدخل منهن، ولكنه القضاء والقدر . ودون أن يرتكبن أى خطأ لاتستطيع إحداهن أن توقف الأحداث التى تغير مسار حياتها إلى الأسوأ أو إلى الأحسن وفقا لاختلاف الحظوظ لكل منهن» .

قالت : «أنت هكذا تفهم الموضوع جيدا . أنت بالفعل تفهمه جيدا . لم أكن أتصور أن أجد هذا الفهم عند شخص مثلك ، ويبدو أنكم تدرسون الأمور بعناية كافية. لقد حدثت الأمور كلها بشكل طبيعى جدا» . فقال لها بوارو : «كنتم قد سافرتم سويا إلى داخل القارة؟ أليس كذلك؟» .

قالت السيدة لوكسيمور : «نعم . كان زوجى يعمل على إخراج كتاب جديد عن النباتات النادرة . وقدموا إلينا الميچور ديسبارد باعتبار أنه رجل يعرف طبيعة المنطقة وظروف الحياة فيها ويستطيع أن يرتب لنا كل ما يلزم رحلتنا الاستكشافية هذه . وكان زوجى يحبه جدا ويعتمد عليه اعتماداً تاما، وبدأنا الرحلة» .

وسكتت عن الكلام لمدة دقيقة كاملة ثم لمدة دقيقة ونصف ، وشعر بوارو بالقلق من طول فترة صمتها وخشى أن تراجع نفسها وتحجم عن ذكر كل التفاصيل ، فقال بوارو بصوت خفيض كأنما يكلم نفسه : «نعم . يستطيع الإنسان أن يتصور ذلك . النهر ينثنى ثم يستقيم والمياه تجرى فيه إلى مصب النهر – والليالى تتوالى فى هذه المنطقة من الغابات المدارية – وأصوات الحشرات – وأصوات مختلف الحيوانات – والرجل القوى ذو العضلات والخبرات ، القادر من خلال خبراته العسكرية السابقة على اتخاذ القرارات واختيار أنسب التصرفات – والمرأة جميلة الجميلات التى تعقد بينه وبين زوجها كثيرا من المقارنات فى مختلف المواقف والمناسبات» .

قالت السيدة لوكسيمور : «نعم . كان ذلك بالضبط وبالفعل هو الإطار العام . كان زوجى أكبر منى فى العمر بكثير من السنوات . تزوجته وأنا طفلة صغيرة قبل أن أعرف حقيقة ما أفعله .. أو طبيعة ما يمكن أن يحدث لى من الملمات» .

قال بوارو : «أنا أعرف ذلك . أنا أعرف ذلك . أعرف كم كان عمرك وكم كان عمر زوجك عند الزواج . يحدث هذا فى كثير من الأحيان» فقالت :«لم يكن أحد منا ليوافق على كل ما كان يحدث . لم يقل چون ديسبارد أى شىء أبدا . لقد كان چون ديسبارد مثلا أعلى للشرف» .

قال بوارو : «لكن المرأة دائما تعرف ما يدور فى قلب الرجل بغريزتها فى صمت ودون

كلمة واحدة». فقالت : «كم تقول كلاما صحيحا صائبا ..! المرأة تعرف .. نعم ، المرأة تعرف بغريزتها دون كلمة واحدة .. ولكننى لم أظهر له أبدا أننى كنت أعرف مشاعره المكتومة نحوى . كان الميجور ديسبارد والسيدة لوكسيمور متمسكين تماما بكل ما ينبغى أن يكون . لم يكن أى منا يسمح بحدوث أى شيء غير لائق من البداية حتى النهاية .. وكنا - هو وأنا - مصممين على هذا . كان كل منا قد صمم على ألا يخطئ أى خطأ ، من جانبه أو من جانبى» .

وسكتت تتأمل فى صمت وإعجاب هذا الموقف البطولى من الطرفين ، فقال بوارو: «هذا صواب . من الضرورى أن يمارس الإنسان المتحضر اللعبة بروح رياضية نظيفة وشريفة . ويذكرنى هذا بقول الشاعر : «أنا لا أستطيع أن أحبك كثيرا ياحبيبتى ، سأتحول إلى حب لعبة الكريكت ياعزيزتى» .

قالت السيدة لوكسيمور : «إنه الشرف!» فقال بوارو مشجعا : «نعم ، إنه الشرف . طبعا الشرف . ألم يقل الشاعر أيضا: «ألا أحب أنا الشرف أكثر؟» فقالت السيدة لوكسيمور : «هذه الكلمات تبدو كما لوكان الشاعر قد كتبها خصيصا لنا ، ديسبارد وأنا . ولايهم ماذا كلفتنا هذه الكلمة من متاعب وآلام مكتومة . كنَّا ، كما لَوْكُنَّا ، قد اتفقنا على ألا ننطق الكلمة. الكلمة التى تخط الأيام حروفها بيدها ، وليس بيد أحد من البشر ، وبعدها.....» .

فقال بوارو : «المهم هو بَعْدَها .. ماذا كان بعدها ياسيدتى ؟ كيف تلاعبت الظروف بحياة مجموعة صغيرة من البشر ، ثلاثة أفراد ، رجلان وامرأة وكل منهم فى غاية النبل ، وفى غاية العفة والطهر؟» .

قالت السيدة لوكسيمور : «وبعدها كانت الليلة الرهيبة والحادث الذى لايغتفر» . وارتجفت السيدة لوكسيمور رجفة لم تستطع منها أى مفر .

قال بوارو : «نعم؟» فقال : «فقالت : «أنا أعتقد أنهما تشاجرا ، چون ديسبارد وزوجى تيموثى لوكسيمور .. أعنى أننى خرجت من خيمتى .. خرجت من خيمتى...» فقال بوارو: «نعم ، نعم ؟ خرجت من خيمتك .. وبعد ذلك؟»

واتسعت حدقتا عينى السيدة لوكسيمور ، وظهر الارتياح على ملامح وجهها كما لو كان الشجار بين الرجلين قد تجدد حدوثه أمامها ، وكررت قولها : «خرجت من خيمتى .. چون وتيموثى . كانا ... أوه!....» وازداد ارتجافها ثم قالت : «لا أستطيع أن أتذكر .. لا أستطيع أن أتصور كل ما حدث بوضوح كاف ... جريت من خيمتى بسرعة ووقفت بينهما .. وقلت : لا ، لا ، ليس هذا صحيحا ! ليس هذا صحيحا ! ولم يكن تيموثى ليصغى لكلماتى ! كان يهدد چون ويتوعده .. كان يجب على چون أن يطلق الرصاص دفاعا عن نفسه ...آه!» وبصيحة ألم بصوت عال غطت وجهها بيديها وقالت : مات

تيموثى..! أصبح ميتا كالحجر الجامد الهامد ...! أصابته الرصاصة فى قلبه!».

قال بوارو : «كانت هذه لحظة رهيبة جدا بالنسبة لك ياسيدتى ؟!» فقالت : «ولن أنسى أبدا هذه اللحظة الرهيبة طوال حياتى . كان چون رجلا نبيلا بالفعل . كان يضحى بنفسه وبكل مشاعره كل التضحية .. ورفضت أن أصدّق أنه قد قتله .. وكان يصر على أنه قتله .. وكنت أنا أقول له لا ، أنت لم تقتله . وظللنا نتجادل فى ذلك طوال الليل .. كنت أقول له باستمرار أنت لم تقتله . إقْبَلْ ذلك من أجل خاطرى أنا. وكان يقول إنه قتله . وأخيرا وافق چون على وجهة نظرى من أجل خاطرى أنا .. فى النهاية ! كان من الطبيعى ألا يدعنى أقاسى من جراء فقدان الاثنين معا نتيجة لرصاصة واحدة ! وجعلنا نفكر ، وكنت أنا على وجه الخصوص أفكر ، وأقول له فكر معى ياچون ... فكر معى فى كيفية نشر الخبر فى الصحف العالمية فى هذه القارة وفى أوربا والعناوين التى يمكن أن يكتبوها فوق الخبر بالخط الكبير مثل : «رجلان وامرأة فى الغابة عاطفة متوحشة!» .

سكتت ثم تكلمت وقالت : «وضعت كل ذلك أمام چون . وفى النهاية استسلم چون تماما لوجهة نظرى .. كان الناس المواطنون الأصليون لم يروا ولم يسمعوا أى شىء . وكان من المعروف لديهم أن تيموثى مريض بالحمى. قلنا إنه قد مات بسبب الحمى . وفضلنا أن ندفنه فى ذات الأرض التى كان يجرى أبحاثه فيها ، هناك ، بجوار نهر الأمازون !» وارتجفت تنهيدة خرجت من صدرها! ... وأخيرا قالت : «وبعد ذلك ، عدنا إلى الحضارة لنفترق إلى الأبد!» .

قال بوارو : «هل كان الافتراق بينك وبين چون ديسبارد ضروريا هكذا إلى الأبد ياسيدتى؟» فقالت : «نعم ، نعم . تيموثى وهو ميت كان يقف حائلا بيننا كما كان تيموثى وهو حى يقف حائلا بيننا وأكثر . قلت له : وداعا! وقال : نعم ! قلت : إلى الأبد؟ وقال : إلى الأبد ! أنا أقابل چون ديسبارد أحيانا ، عندما أخرج إلى العالم . نبتسم ، ونتكلم بأدب ولا يشعر أى إنسان أنه كان بيننا كل ما كان فى تلك الأيام بوجه عام وفى تلك الليلة بوجه خاص . ولكننى أقرأ فى عينيه وأشعر أنه يقرأ فى عينى أننا لن ننسى أبدا ...!» .

ساد صمت طويل قطعه بوارو أخيرا بقوله : «يالها من مأساة خطت سطورها بالفعل الظروف» : فقالت السيدة لوكسيمور : «أرجو أن تشاطرنى الاعتقاد الآن ياسيد بوارو أن الحقيقة يلزم ألا تقال » . فقال بوارو : «قد تكون الحقيقة شديدة المرارة ولكن ...» فقالت على الفور دون أن تدع له فرصة أن يكمل ما يريد قوله : «هذا مستحيل ! هذا الصديق المؤلف ، يستحيل أن تكون لديه أى رغبة فى أن يشوه ويدمر امرأة بريئة كل البراءة. يستطيع وتستطيع أنت ياسيد بوارو التصرف على نحو لائق . يمكن القول بأن الحقيقة فى هذا الصدد بعيدة المنال أو ما شابه ذلك من أجل خاطرى حتى لاتدمرا أنتما الاثنين معا حياة

امرأة بائسة بريئة» . قال بوارو : «أنا أوافق على وجهة نظرك تماما ياسيدتى حتى لاندمر حياة امرأة بائسة بريئة ، وحتى لا يشنق رجل برىء تماما . أستطيع أن أتصرف فى هذا الشأن ولن يصل تحت يد مؤلف الكتاب أى شىء يمكن أن يكون سببا فى ذلك ، أنا مقتنع بوجهة نظرك تماما ياسيدتى» .

قالت السيدة لوكسيمور : «هل ترى المسألة على هذا النحو ؟ أنا مسرورة جدا . كان جون ديسبارد بريئا .. الجريمة تحت ضغط العواطف لاتكاد تكون جريمة حقيقية، ولقد كان فى حالة دفاع شرعى عن النفس .. كان زوجى يهاجمه ، وهو برىء لايستحق أبدا أن يثور عليه زوجى تلك الثورة المجنونة لكى يقتله . وكان جون ديسبارد «مضطرا» إلى إطلاق الرصاص حتى لا يقتله زوجى الهائج . هكذا أنت بالفعل تدرك أن الجريمة غير حقيقية يا سيد بوارو. ألا تعتقد ياسيد بوارو أن من الأفضل ومن الأكثر تحقيقا للعدالة من أوسع وأقرب الطرق أن يظل العالم كله يعتقد أن تيموثى كان قد مات بسبب الحمى ؟» .

قال بوارو : «المؤلفون أحيانا متشددون يتبارون فى محاولات الوصول إلى الحقائق وهى ما يعشقونه عشقا شديدا» . فقالت : «هل صديقك المؤلف هذا ممن يكرهون النساء ؟ هل هو يتعمد أن يجعل المرأة تقاسى الآلام ؟ ولو كان صديقك المؤلف من هذا النوع ، لاينبغى عليك وأنت رجل تجيد فهم الأمور أن تمكنه من ذلك أبدا . ولو اقتضت الضرورة ، سأتحمل أنا كل المسئولية. سأقول إننى أنا التى أطلقت الرصاص على تيموثى» .

ونهضت واقفة وشدت قامتها ورأسها إلى الوراء ، ونهض بوارو أيضا واقفا على قدميه ، وانحنى أمامها انحناءة مؤدبة جدا وقال لها : «ياسيدتى ! مثل هذه التضحية النبيلة الرائعة العظيمة بالنفس فى سبيل إنسان آخر لاضرورة لها . كيف سيصل المؤلف إلى الحقيقة إذا لم أطلعه أنا عليها ؟ ولن أطلعه أنا عليها . وسيظل العالم يعتقد أن تيموثى قد مات بسبب الحمى . سأبذل قصارى جهدى حتى تظل الحقائق فى هذا الصدد غير معروفة» .

وتسللت ابتسامة حلوة إلى كل ملامح وجه السيدة لوكسيمور وليس إلى شفتيها فقط . ورفعت يدها فوق يد بوارو وهى تصافحه وتقول له : «إن امرأة تعيسة فى حياتها تشكرك جزيل الشكر ياسيد بوارو» .

وكانت تلك هى الكلمات الأخيرة للملكة التى تم إنقاذها ، همست بها فى أُذُنَىْ البطل الذى خاطر بكل شىء فى سبيل إنقاذها ، وكانت تلك الكلمات الأخيرة التى همست بها الملكة للبطل الذى أنقذها تؤذن بضرورة خروجه من حضرة جلالتها، وبالتالى كان حتما أن يتخذ بوارو طريقه للخروج من حضرتها ، فانصرف بوارو مشيعا بنظرات الشكر والامتنان من سمو جلالتها .

وحالما شعر بوارو أنه يمشى على قدميه فى الطريق ، شعر أنه يتنفس الهواء النقى الطلق.

الفصل الحادى والعشرون
الميچور ديسبارد

* * * * *

وتمتم بوارو يقول لنفسه باللغة الفرنسية المفضلة لديه كلما أراد التعبير عن معان دقيقة ببضع جمل متلاحقة معناها كما يلى : «يالها من امرأة! ماذا تظن نفسها ؟ ملكة الطهر والعفاف والإيثار والتضحية ؟ وتعيش فى هذه الأوهام وتظل تجتر هذه الأحلام ! ويا للرجل المسكين ديسبارد ! كم توجد الآلام فى حياة البشر؟ اللذة قليلة الدوام ! والألم هو لحمة حياة البشر وسداها على مدار الأيام وكرّ الأعوام ! ويالها من رحلة حافلة بالمشاق والمخاطر والأحداث والآلام!» .

وضحك فجأة .

كان بوارو قد وصل فى سيره إلى شارع برومبتون . وتوقف الآن عن المشى. وأخرج ساعته ونظر فيها . وأخذ يجرى حساباته بينه وبين نفسه ويقول فى نفسه : «... ولكن لم لا؟ نعم ، عندى وقت مناسب . وعلى كل حال ، لو انتظرت فلن يصيبه أى ضرر . أستطيع الآن أن أنجز تلك المسألة الأخرى الصغيرة . ماهى الأغنية القديمة التى اعتاد صديقى القديم فى شرطة إنجلترا القديمة أن يتغنى بها دائما منذ أربعين عاما ؟ آه ، تذكرتها. إنها أغنية يقول مطلعها : «قطعة سكر صغيرة للطائر الصغير» .

أنا أريد الآن أن أشترى قطعة سكر صغيرة للطائر الصغير .. قطعة سكر صغيرة للطائر الصغير .. ومشى بوارو يردد بصوت خافت مطلع الأغنية لنفسه حتى دخل من باب محل كبير لبيع ملابس النساء ، ومضى بوارو يمشى وهو يقرأ لافتات أقسام المتجر حتى وقف أمام

لافتة كتبت عليها كلمة واحدة هى : «الجوارب» .

واختار بوارو عاملة متوسطة الجمال وأفصح لها عن طلبه فقال : «جوارب حرير عالية الجودة؟» فقالت له : «أوه ، نعم ، عندنا تشكيلة جميلة جدا هنا. حرير طبيعى نقى مضمون» . وعرضت عليه مجموعة من الجوارب مختلفة الألوان أزاحها بوارو بيده قليلا وقال: «أريد جوارب من الحرير فرنسية الصنع. هل عندكم شيء منها ؟ أنت تعرفين أنها غالية جدا إذ تضاف إلى ثمنها قيمة الجمارك لأنها مستوردة من فرنسا» .

ودون كلمة ، أنزلت العاملة علبة أخرى من الجوارب الفاخرة ، وأخرجت من جوف العلبة عديد من الجوارب المختلفة الألوان ، فقال بوارو : «هذا جميل جدا يا مادموازيل ، ولكننى لا أزال أحتفظ فى ذهنى بنوع أفضل من الجوارب» .

قالت العاملة : «الجوارب التى فى ذهن سعادتك جودتها مائة بالمئة. بالطبع عندنا هذا النوع الفاخر جدا ولا نظهره لكل الناس . ويؤسفنى أن أقول أن ثمن الزوج الواحد منها هو خمسة وثلاثين شلنا . هل أحضرها لتلقى نظرة عليها . إنها مع ارتفاع ثمنها قليلة التحمل مثل نسيج العنكبوت. فقال لها بوارو : «هذا هو النوع المطلوب» .

وغابت العاملة المتوسطة الجمال داخل زقاق بين الرفوف بعض الوقت هذه المرة وعادت وهى تنظر مع التدقيق فى أحد جوارب العلبة ، وأطلعت بوارو على الكلمات والأرقام المكتوبة عليها وهى تقول : «يؤسفنى أن ثمن الزوج الواحد منها هو سبعة وثلاثون شلنا وست بنسات ، ولكنها جميلة جدا، انظر ، ها هى ذى . أليست جميلة؟» وكانت قد فتحت العلبة وأخرجت منها بعض الجوارب .. وفردت أحدها على أقصى امتداده بعد أن أخرجته من جراب من السيلوفان اللامع ، فقال بوارو : «وأخيرا ، هذا هو المطلوب» . فقالت العاملة : «إنه جميل . أليس كذلك ؟ كم زوجا منها تريد يا سيدى؟» فقال بوارو: «أريد – دعينى أفكر – أريد تسعة عشر زوجا» وكادت العاملة المتوسطة الجمال تقع على ظهرها عندما صدمها العدد المطلوب ، ولكنها تعلمت أن تخفى مشاعرها عن زبائنها تماما فقالت : «يوجد خصم معقول عند شراء دستين. أنت تطلب ما يقاربهما» . فقال بوارو : «لا ، أنا أريد تسعة عشر زوجا . ألوانها متغايرة متدرجة فى التغاير والتمايز من فضلك يا مادموزيل» .

وأخرجت الفتاة العدد المطلوب من الجوارب ووضعته فى لفافة أنيقة وقامت بعمل الفاتورة.

وبينما كان بوارو يمشى وهو يحمل مشترواته من الجوارب خارجا من المحل ، قالت فتاة الخزينة لفتاة أخرى بجوارها :«من ياترى البنت المحظوظة التى ستلبس هذه الجوارب الغالية الثمن ؟ يبدو أنه رجل عجوز متصاب ومغرم بفتاة صغيرة . آه إنه يستحق أن تمسك بلجامه جيدا وأن تسوقه حيث تريد . جوارب ثمن الزوج الواحد منها سبعة وثلاثون شلنا وست بنسات! ثم كم تريد يا سيدى ؟ تسعة عشر زوجا ؟ شىء غريب!» .

وكان بوارو يمشى فى الشارع ببطء شديد دون أن يسمع كلمة واحدة من هذا الكلام الذى تقوله إحدى العاملات فى محل هارقى روبنسون لملابس السيدات . اشترى ما يريد ، ولا يعنيه ما يقال .كان سعيدا كل السعادة وهو يمشى فى طريقه إلى منزله بعد أن اشترى من محل ملابس السيدات قطعة سكر صغيرة للطائر الصغير . وعاد بوارو يردد مرة بعد مرة مطلع أغنية قطعة سكر صغيرة للطائر الصغير حتى وصل إلى منزله وهو يحمل بين يديه ما كان يعتقد بشدة أنها قطعة سكر صغيرة للطائر الصغير.

ومضى حوالى نصف ساعة وبوارو جالس فى إحدى الحجرات بمنزله وهو يشعر أنه فى منتهى السعادة إذ اشترى قطعة سكر صغيرة للطائر الصغير عندما دق جرس الباب ، وعندما فتح الباب دخل الميجور ديسبارد وهو يقول بغضب شديد : «لأى غرض تذهب لتقابل السيدة لوكسيمور ياسيد بوارو؟» وابتسم بوارو وقال على الفور : «أنت تعرف أننى ذهبت لمقابلتها لكى أعرف منها بالضبط القصة الحقيقية لوفاة البروفيسور لوكسيمور» .

وعندئذ قال ديسبارد باحتقار شديد: «القصة الحقيقية ؟! هل تعتقد يا سيد بوارو أن تلك المرأة ، وحالتها النفسية كما لمست ، قادرة أن تقول لك الحقيقة عن أى شىء؟» فقال بوارو : « إيه ، حسنا ، لقد كنت أتعجب من كلامها من آن لآخر» . فقال ديسبارد : «هذه المرأة مخبولة . طبيعى جدا أنك أنت نفسك كنت تعجب من كلامها من آن لآخر» . فقال بوارو : «لا إنها ليست امرأة مخبولة إنها امرأة رومانسية تحب بنمط يتذبذب بين الحقيقة والخيال ، وبين الواقعية والرومانسية ، وبين أحداث وقعت وأحلام تبددت» .

قال ديسبارد : «سُحْقاً للرومانسية وللأحلام من هذا النوع المجنون! إنها كاذبة مفضوحة الأكاذيب ! إننى أحيانا أعتقد أنها تصدق الأكاذيب التى تخترعها بنفسها». فقال بوارو : «هذه ممكن » . فقال ديسبارد : « إنها امرأة مختلة العقل مرعبة فى تصرفاتها . قاست من الجحيم بعينه طوال ذلك الوقت الذى قضيته معها هناك فى ذلك المكان من الغابات حول نهر الأمازون» . فقال بوارو :«وهذا شىء يمكن لى أن أصدقه تماما» . وجلس ديسبارد على كرسى بجواره فجأة وقال : «انظر هنا يا سيد بوارو . أنا سأقول لك الحقيقة» . فقال بوارو :

أنت تقصد أنك ستقول لى وجهة نظرك فى رواية القصة ؟» فقال ديسبارد: «روايتى أنا للقصة هى الرواية الصحيحة للقصة» . ولم يرد بوارو ولم يدل بأى تعقيب . التزم بوارو الصمت التام . استمر ديسبارد مندفعا فى الكلام :

«أنا متأكد تماما أننى لا يمكن لى أن أدعى أى فضل لى فى أن أفصح عن هذه الحقائق الآن إذ إننى مضطر إلى ذلك اضطرارا. أنا أقول الحقيقة الآن ، لأن تطور الأحداث فوق مسرح الأحداث يضطرنى إلى قول الحقيقة ولست أنا متطوعا بمحض إرادتى على حد قولها. مجبر أخاك إذن لا بطل أن يحكى حقيقة مما حصل . وأدع لك تماما ما إذا كنت تصدقنى أو لا تصدقنى . وليس عندى أى نوع من الدليل على أن روايتى للحكاية هى الرواية الصحيحة» .

وتوقف ديسبارد عن الكلام برهة ربما ليستجمع قواه لكى يروى ما يعتقد أنه الحقيقة ثم قال : «قمت بعمل كل ترتيبات الرحلة للبروفيسور لوكسيمور وزوجته . كان البروفيسور لوكسيمور ولدا عجوزا لطيفا طيب المعشر مغرما بالطحالب والنباتات وهذه الأشياء .وكانت هى .. حسنا ، كانت هى كما لاحظت أنت دون ريب . كانت هذه الرحلة كابوسا يجثم على قلبى وأنا يقظان . وأنا لم أكن أعبأ إطلاقا بتلك المرأة ، بل إننى كنت أشعر نحوها بشىء من الكراهية على نحو ما ، كراهية لا أستطيع أن أبررها أو أظهرها ربما لغموض أسبابها و يجوز لعدم لياقة إظهارى الكراهية لها . كنت أكرهها ، وكنت لا أستطيع أن أظهر لها الكراهية ، كانت من النوع المندفع المتهور العواطف مما كان يجعلنى أشعر بالخجل الذى لا يحتمل . وعلى كل مشت الأمور على نحو لا بأس به طيلة أربعة عشر يوما . ثم أصبنا جميعا بمرض الحمى واحدا بعد الآخر . كانت الحمى عندها خفيفة . وكانت الحمى عندى خفيفة . وأمكن لكل منا أن يشفى ويسترد عافيته بسرعة . وكانت الحمى التى أصابت البروفيسور لوكسيمور العجوز شديدة عنيفة ، وفى إحدى الليالى – وأرجو أن تسمع جيدا اعتبارا من هذه النقطة– كنت أجلس خارج خيمتى . فجأة رأيت البروفيسور لوكسيمور يمشى مترنحا وهو يستند إلى جذع الأشجار بالقرب من النهر. كان محموما بشدة ، وكان فاقدا للوعى بتأثير الحمى الشديدة ولم يكن يدرى بنفسه ولا بما حوله ولا بما يفعله . وقدرت أنه بعد أقل من دقيقة سيندفع نحو النهر ويغرق . الحمى تلهب جسمه، ويبدو أنه كان يشعر أن ماء النهر سيطفئ نار الحمى داخل جسمه، ومن ثم فهو يندفع نحو النهر لكى يلقى بنفسه فى ماء النهر لتنطفئ نيران الحمى داخل جسمه . كان هذا هو تقديرى للموقف آنذاك. وفى ذلك المكان من النهر حيث العمق فظيع والتيار سريع كان موته محققا مؤكدا لو رمى بنفسه فى النهر، ولن يستطيع أحد أن يمسك به حتى المصب ،

وتكون هذه هى نهاية البروفيسور . ولم تكن هناك أى فرصة لإنقاذه إذ لم يكن هناك وقت يذكر يتيح لى أن أجرى وراءه لأوقفه . كان هنالك شيء واحد هو الذى يمكن عمله ، كانت بندقيتى بجوارى كالمعتاد .. وجذبتها وصوبتها نحوه . وأنا قناص على أحسن مستوى فى دقة التصويب وإصابة أدق الأهداف .كنت متأكدا أننى أستطيع أن أوقف الولد العجوز فى مكانه بحيث لا يتحرك حركة أو خطوة واحدة وذلك بتصويب بندقيتى إلى إحدى ساقيه فأصيبه إصابة غير مميتة ، ويمكن لى شخصيا استخراج الرصاصة من ساقه بسهولة وأكون بذلك قد أنقذته من الهلاك غرقا فى النهر الشديد التيار . وبعدئذ ، والبندقية مصوبة نحو ساقه وأنا أهم بأن أضغط الزناد ، وألقت هذه المرأة الملتاثة العقل كل جسمها على ذراعى وبندقيتى وهى تقول : لا تطلق الرصاص . بالله عليك لا تطلق الرصاص ... وخرجت الرصاصة لتستقر فى ظهره بدلا من أن تستقر فى ساقه كما كنت أنا أريد لها أن تستقر وأصابت منه مقتلا ومات!

وأنا أستطيع أن أقول إن هذه اللحظة كانت لحظة الموت لى أنا أيضا . وجدت نفسى قاتلا وأنا كنت أنوى أن أكون منقذا . وكانت تلك المرأة الحمقاء الملعونة لا تزال لا تفهم الحقيقة . رأتنى أصوب البندقية نحوه وظنت أنى كنت أريد أن أقتله وتصورت أنها كانت تمنعنى من قتله . وكنت فى الحقيقة أريد أن أنقذه لا أن أقتله . ظنت المرأة المخبولة أننى كنت أريد أن أقتل الولد العجوز عمدا مع سبق الإصرار لأنها كانت تظن أيضا أننى أحبها وأنا مغرم متيم فى حبها كما كان يبدو لها . كنت أعرف أنها لم تكن تعرف قصدى . رأت بندقية مصوبة ، ولها الحق فى أن تظن خطأ ما تظن . كان عذرها واضحا ووضوح الخطأ فى ظنها سواء بسواء . الخطأ فى ظنها واضح لى والعذر فى الخطأ فى ظنونها الخاطئة واضح لى . وكان الخطأ فيما تتوهمه من حبى لها هو أخطر ما تمخضت عنه هذه المحنة الرهيبة المحزنة . ولو أنها انطلقت تعلن عن حبى لها سيكون لهذا الإعلان رائحة كريهة تزكم الأنوف كلها . وفى النهاية اضطررت أن أوافق على ما كانت تريده هى وتصر عليه ، من أجل السلامة والهدوء النسبى للأمور إلى حد ما ، وعلى كل حال ليس الفرق كبيرا بين الموت بسبب الحمى والموت بسبب حادث بالصدفة قضاء وقدرا وكان يستحيل تفاديه بأى حال من الأحوال . وأعلنت صباح تلك الليلة أن البروفيسور قد مات بسبب الحمى التى كان الناس يعرفون أن إصابته كانت شديدة بها . وكان بضعة رجال من الحمالين الذين يحملون له متاعه بالأجر يعرفون الحقيقة ، ولكنهم جميعا كانوا يحبوننى ويخلصون لى الود ، وكنت أعرف أن ما أقوله سيقسمون بأغلظ الأيمان أنه هو الحقيقة لو تطلبت الظروف ذلك ، ولم تتطلب الظروف ذلك ، وتم دفنه بهدوء تام وعدنا إلى العالم المتحضر .

ومنذ ذلك الوقت مكثت وقتا طويلا أشعر بالحنق والغيظ من هذه المرأة» .

وتوقف لحظة عن الكلام ثم قال : «هذه هى روايتى للقصة ياسيد بواور» . فقال بوارو: «هل كانت هذه الحادثة هى التى أشار إليها شيتانا أم أنك اعتقدت ذلك أثناء العشاء فى تلك الليلة التى تناولنا فيها العشاء عنده» ؟ وهز ديسبارد كتفيه وقال : « من الضرورى أنه كان قد سمعها من السيدة لوكسيمور . من السهل جدا الحصول على القصة منها كما يحلو لها أن ترويها من خلال أوهامها المرتكزة على بعض الحقائق التى تفهمها كما يحلو لها حتى الآن . وهذا النوع من الحكايات هو النوع الذى يحلو لرجل وضيع مثل شيتانا أن يجرى وراءه فى كل مكان يصل إليه ليتسلى به التسلية الوحيدة التى تطيب له» .

قال بوارو : «لقد كانت هذه الحكاية خطيرة بالنسبة لك وهى فى يد رجل مثل شيتانا» ، وهز ديسبارد كتفيه مرة أخرى وقال : «أنا لم أكن خائفا أبدا من شيتانا» .

وسكت بوارو ولم يعلق بأى كلمة فقال ديسبارد بهدوء شديد : «مرة أخرى يتعين عليك أن تثق فى صدق كلامى . ما قلته لك صحيح تماما من وجهة نظرى . بصرف النظر عن وجود أو عدم وجود دافع عندى لقتل شيتانا فأنا لم أكن أخاف منه أو أخشاه . إنه لم يكن يستطيع أن يثبت ضدى أى شىء . وهذه المرأة المخبولة لم تكن تستطيع أن تثبت مما تقول شيئا. وكل ما تقوله ليس فيه إدانة لى يؤبه لها ، وتستطيع أن تصدق ما قلته لك من الحقائق وتستطيع ألا تصدق» .

ومد بوارو يده وكف يده أمام ديسبارد وهو يقول له : أنا أصدق روايتك لاقتناعى الشخصى بها يا ميجور ديسبارد . وليس عندى أى شك مطلقا فى كل الأحداث فى أمريكا الجنوبية قد حدثت بالضبط كما وصفتها ، ولو كانت عندى أى شكوك فى أى شىء مما قلته لى لناقشتك فيه على الفور . وأنت تدرك ذلك يا ميجور ديسبارد» .

وأشرق وجه ديسبارد وغمرت الراحة ملامحه وصافح بوارو بحرارة ورجولة.

* * * *

الفصل الثانى والعشرون
إفادة من بلدة كومباكر

* * * * *

كان كبير المفتشين باتل فى نقطة الشرطة فى بلدة كومباكر . وكان المفتش هاربر قد ازداد وجهه احمرارا إذ كان يحسب أن كبير المفتشين قد حضر عنده لمراجعة أعماله وسجلاته و لم يكن يعرف أنه قد جاء من أجل مهمة محددة .

وكان المفتش هاربر الآن يقول بهدوء فى لهجته الديفونشايرية الجميلة : «هكذا وقعت تلك الحادثة يا سيدى ، وانتهت ببساطة تامة كما تنتهى زخة من زخات المطر دون أن يسأل أحد كيف كانت البداية ودون أن يسأل أحد كيف كانت النهاية . كان كل شخص يشعر بالرضا التام ولم لا ؟» .

وقال له باتل : «أعطنى كل الحقائق عن الزجاجتين فحسب مرة أخرى . أريد أن تكون هذه النقطة بالذات واضحة كل الوضوح» .

وقال هاربر : «زجاجة عصير التين . كانت تلك هى الزجاجة التى اعتادت تلك المرأة أن تشرب منها بعض العصير باستمرار وبانتظام . ثم كانت هناك أيضا زجاجة تحوى نوعا من دهان القبعات كانت المرأة تستخدمه أو كانت الصبية تستخدمه فى طلاء القبعات لسيدتها . وكان متبقيا فى علبة الطلاء كمية كبيرة من الطلاء. وانكسرت الزجاجة التى تحوى الطلاء، وقالت السيدة إيلدون بنسون بنفسها للصبية : «ضعيه فى زجاجة عصير التين الفارغة » .هذا حدث بالفعل وشهد بذلك كل الخدم الآخرين الموجودين بالمنزل وأجمعوا فى شهادتهم على ذلك . وقالوا إن دهان القبعات تم جمعه من فوق المنضدة وتم وضعه فى زجاجة عصير التين الفارغة ، وتم وضع دهان القبعات الموضوع فى زجاجة عصير التين

فوق الرف بداخل الحمام مع أشياء أخرى كانت موجودة حوله على الرف» .

قال باتل : «ألم يضعوا عليه ورقة تدل على تغيير محتواه؟» .

فقال هاربر : «لا ، كانوا مهملين بطبيعة الحال . كانت تلك هى ملاحظة وكيل النيابة الذى حقق هذه الواقعة» . فقال باتل : «استمر» .

فقال هاربر : « دخلت المرأة إلى الحمام ، وأخذت زجاجة عصير التين وصبت لنفسها جرعة كبيرة منه وشربتها . وتحققت هى بنفسها من أنها قد أخطأت وصاحت مرتاعة تطلب النجدة، واتصلوا بالطبيب ووصل الطبيب ولكن المرأة ماتت . كان الطبيب يقوم بجولة على مرضاه خارج العيادة وكان قد تأخر فى الوصول إليها ، وماتت المرأة» .

قال باتل : «هل كانت المرأة فعلا قبل أن تلفظ أنفاسها تعرف وتقول إنها كانت غلطتها هى؟» فقال هاربر : «أوه ، نعم ، اعتقد كل الناس ذلك . ويبدو من الواضح أن الزجاجات قد اختلطت عليها ، ويظن بعض الناس أن الخادمة غيرت موضع الزجاجات وهى تنظف الرف وتعيد ترتيب الزجاجات عليه فوضعت زجاجة مكان الأخرى دون قصد منها ، ولكنها تقسم أنها لم تنظف ذلك الرف ولم تعد ترتيب الزجاجات عليه بقصد ولا بغير قصد» .

وظل كبير المفتشين باتل صامتا لا يتكلم ويفكر . كانت مهمة سهلة . زجاجة أخذت من الرف العلوى ووضعت بدلا من زجاجة أخرى على الرف السفلى. من الصعب جدا تتبُّع غلطة مثل هذه الغلطة حتى مصادرها الأصلية . وربما تعاملت مع الزجاجتين وغيرت موضعهما ، وهى ترتدى قفازا فى يدها ، وآخر البصمات على كل حال ستكون هى بصمات المرأة التى ماتت . نعم .كانت محاولة سهلة جدا وبسيطة جدا ومن الممكن أن يكون تنفيذها قد تم بكل سهولة وبساطة فى الواقع الفعلى . ولكنها جريمة قتل ، وهى جريمة قتل من النوع الذى يستحيل العثور على أى دليل اتهام ضد القاتل يدينه أنه قد ارتكبها .

ولكن ، لماذا ؟ كان ذلك السؤال لا يزال يحيره . لماذا ؟ وسأل باتل : «هذه الفتاة ميرديث ، ألم ترث أى أموال أو أى شيء من تركة السيدة بنسون هذه بعد وفاتها ؟ ألم تكن قد تركت لها وصية تعطيها شيئا من المال أو التركة؟» وهز المفتش هاربر رأسه نفيا وقال : «لا . كانت قد التحقت بالخدمة فى هذا المنزل منذ ستة أسابيع فقط . وكان مكانا يصعب العمل فيه. وكثيرات من الخادمات الصغيرات فى السن سبق لهن أن تركن العمل فى هذا المنزل ولم تستمر إحداهن فى العمل به كقاعدة عامة» .

كان باتل لا يزال متحيرا . الخادمات الصغيرات فى السنّ لم تكن إحداهن تستمر فى

العمل طويلا فى هذا المنزل كقاعدة عامة . من الواضح إذن أن سيدة المنزل كانت امرأة قاسية متسلطة سليطة اللسان مع الخادمات . ولكن ، لوكانت آن ميرديث قد شقيت بالخدمة فى ذلك المنزل فلقد كان يمكنها أن تترك الخدمة فى ذلك المنزل كما فعلت الخادمات السابقات . إنها لم تكن مضطرة إلى القتل ما لم يكن ذلك السبب رغبة شديدة فى الانتقام . وهز باتل رأسه . هذا الافتراض لم يحظ باقتناعه . وماذا يثبت صحته لو كان بالفرض صحيحا ؟ لا شيء!

قال باتل : «من الشخص الذى حصل على كل ميراث السيدة بنسون بعد وفاتها مسمومة ؟» فقال هاربر : «أنا لا أستطيع تحديد أولئك الأشخاص بالضبط الآن . إنهم أبناء أخيها وأبناء أختها . ويمكن معرفة ذلك بكل دقة لو شئت سيادتك ، ولكن هذه المسألة تحتاج إلى مراجعة الأوراق لدى جهات الاختصاص . ولكنه - على كل حال- كان ميراثا قليلا . لم يكن عندها إلا دخل سنوى ضئيل» .

لا يوجد شيء فى الموضوع إذن . ولقد كانت السيدة بنسون قد ماتت مقتولة بالسم . وكان تقرير الطبيب الشرعى حاسما . ولم يكن هناك أى مسوغ للاعتقاد بأن الوفاة لم تكن صدفة بالقضاء والقدر ولم تكن تلك الآنسة إلا بنتا لطيفة ، ولكنها مهيضة الجناح يتيمة وكانت مضطربة كل الاضطراب حزينة كل الحزن خائفة كل الخوف . وذهب باتل إلى قسيس الكنيسة هناك ، ولم يجد عنده أى شيء يذكر سوى ملاحظات عامة عن أن السيدة بنسون كانت شديدة فى معاملة خادماتها الصغيرات فى السن . وجرب باتل سؤال شخصين أو ثلاثة من الناس الموجودين فى البلدة ، ولكنه لم يحظ بأى طائل . ولم يكن أحد يتذكر آن ميرديث . كانت قد عاشت فى تلك البلدة شهورا قليلة مزوية داخل أحد المنازل ولم يكن يلحظ وجودها أحد ، ولم تكن شخصيتها من القوة بحيث تترك أى أثر أو انطباع عنها عند أى شخص آخر . كان ذلك هو كل ما حصل عليه كبير المفتشين باتل من رحلته هذه إلى هذه البلدة التى كان يأمل أن يكتشف فيها الكثير .

وعلى الرغم من كل ذلك غادر كبير المفتشين باتل بلدة كومباكر وهو تحت تأثير شعور قوى أنه لسبب غير معروف كانت آن ميرديث قد قتلت عن عمد صاحبة العمل التى كانت تعمل عندها !

* * * *

الفصل الثالث والعشرون
دلالة زوج من الجوارب

* * * * *

بينما كان القطار الذى ركبه باتل يندفع شرقا فى طريقه إلى لندن، كانت آن ميرديث ورودا داويز تجلسان فى حجرة الاستقبال عند بوارو . ولقد كانت آن غير راغبة فى تلبية دعوة بوارو لهما لزيارته فى منزله التى كانت قد وصلت إليهما بالبريد ، ولكن رأى رودا انتصر فى النهاية واستطاعت أن تقنع آن بالقدوم إلى لندن لرؤية هذا المخبر السرى الشهير أيضا .

كانت رودا قد قالت : «يا آن – أنت جبانة ، نعم ، جبانة ، وليس من مصلحتك أن تظلى مثل النعامة تدفنين رأسك فى الرمال . كانت هنالك جريمة قتل . وأنت واحدة من المشتبه فيهم – وربما يكون الاشتباه بالنسبة لك هو أقل حالات الاشتباه–» فقالت آن ميرديث وهى تبتسم : «هذا هو أسوأ شىء . يقال إن الشخص الأقل اشتباها هو الذى فعلها» .

قالت رودا دون أن تتأثر بمقاطعة آن لكلامها : «أنت واحدة . ولذلك لا فائدة من أن تغلقى أنفك وأنت تزعمين أن للجريمة رائحة كريهة ولا شأن لك بها» . فقالت آن . : « أنا لا شأن لى بها . أعنى أننى مستعدة أن أجيب أى أسئلة يوجهها لى رجال الشرطة ، ولكن هذا الرجل ، هذا الهركيول بوارو إنما هو شخص من خارج هيئة الشرطة . لماذا يقول فى خطابه . إنه يريد أن يناقش معى ظروف تلك الجريمة؟» .

قالت رودا :«وماذا عساه أن يظن لو أنك تخاذلت وأحجمت عن مواجهة أسئلته؟ سيظن أنك تشعرين بالذنب» . فقالت آن : «أنا لا أشعر أننى مذنبة» . فقالت رودا : «يا حبيبتى . أنا أعرف هذا . أنت لا تستطيعين أن تقتلى أى شخص ولو كنت تحاولين ذلك . ولكن الغرباء الذين يشكون ويرتابون بفظاعة لا يعرفون ذلك . أنا أعتقد أننا ينبغى أن نذهب إلى منزله بكل هدوء وابتهاج وإلا سيأتى عندنا هنا كما أتى غيره من الناس ويحاول أن يحصل على المعلومات منا ومن الناس المتصلين بنا» . فقالت آن : «لا توجد لنا صلة مع الناس» . فقالت رودا : «عندنا الخادمة السيدة آستويل . إنها تستطيع أن تفك عقدة لسانها مع أى شخص ! هيا يا آن . فلنذهب . سيكون هذا مسليا وممتعا لنا أن نتفرج عليه» . فقالت آن بعناد : «أنا لا أعرف لماذا يريدنى أن أقابله» . فقالت رودا : «ليثبت أنه قد نجح وتفوق على

رجال الشرطة الرسميين فيكون قد حقق لنفسه الانتصار عليهم ويزداد شهرة بطبيعة الحال . إن الهواة يفعلون ذلك دائما .، إنهم يحبون أن يظهروا أن رجال سكوتلانديارد إنما هم مجرد أحذية بدون عقول» .

قالت رودا : «هل تظنين هذا الرجل الذى اسمه بوارو رجلا بارعا؟» فقالت رودا : «لا أعتقد أن يبلغ ما بلغه شرلوك هولمز . وأعتقد أنه كان لا بأس به فى أيام شبابه . ولكنه عجوز حطمة الآن بطبيعة الحال . ومن الضرورى أنه يبلغ من العمر أكثر من ستين عاما . أوه ، هيا يا آن ، دعينا نذهب ونتفرج على هذا الولد العجوز . ربما تكون عنده أخبار كبيرة عن الناس الآخرين» . فقالت آن : «وهو كذلك . أنت تستمتعين بمثل هذه الموضوعات يا رودا» . قالت رودا : «أعتقد أن السبب فى ذلك هو أنها ليست جنازتى . ولقد كنت بلهاء يا آن لأنك لم تنظرى إلى أعلى وتتزوجيه فى الوقت المناسب قبل أن يقتل . لو كنت قد تزوجتيه لكان لك أن ترثى كل ثروته لتعيشى مثل واحدة من الدوقات اللاتى استطعن ابتزاز الأثرياء» .

وهكذا كانت رودا داويز وآن ميرديث يجلسان فى حجرة استقبال بوارو الأنيقة وهما تشربان عصير التوت الذى لا تحبانه ولكنهما كانتا تشربانه بالضرورة لأنه المشروب الذى قدمه بوارو إليهما فى كوبين من الأكواب العتيقة الطراز.

وقال بوارو : «كان جميلا منك يا آنسة أن تقبلى رجائى فى الحضور لزيارتى» فقالت آن ميرديث: «أنا متأكدة أننى يسرنى أن أساعدك بأى طريقة أستطيعها» . فقال لها بوارو : «إنها مسألة صغيرة تعتمد على قوة الذاكرة» فقالت آن :«الذاكرة؟» فقال بوارو : «نعم ، لقد وضعت هذا السؤال للسيدة لوريمير وللدكتور روبرتس وللميجور ديسبارد. ولم يستطع أحدهم للأسف أن يعطينى الإجابة التى كنت آمل أن أجدها» . وظلت آن تنظر نحوه مستفهمة. فقال بوارو : «أنا أريد يا آنسة أن تعودى بالذاكرة إلى الوراء إلى تلك الأمسية فى حجرة الاستقبال عند شيتانا» . وطاف الإرهاق من جديد على ملامح وجه آن ميرديث . أليس لهذا الكابوس من نهاية؟!

وقال بوارو: «أنا أعرف يا آنسة . أنا أعرف . هذا مؤلم ، أليس كذلك ؟ هذا طبيعى جدا. أنت ، وأنت شابة كما أنت فى ريعان الشباب ، تجدين نفسك مندمجة فى قضية مرعبة لأول مرة فى حياتك . من المحتمل أنك لم تعرفى ولم تشاهدى أى مشهد من مشاهد الموت المفاجئ العنيف بسبب القتل ؟» وحركت رودا قدميها من تأثير شدة انفعالها . وقالت آن : «حسنا؟» .

قال بوارو : «عودى بذاكرتك إلى الوراء . أنا أريدك أن تخبرينى بكل ما تتذكرينه من محتويات تلك الحجرة» . ونظرت آن نحوه بارتياب وقالت : «لست أفهم !» فقال لها بوارو : «ولكن نعم ، الكراسى ، المناضد ، أدوات الزينة ، ورق الجدران ، الستائر ، المدفأة ، أنت قد

شاهدت أشياء من هذا القبيل» فقالت آن ميرديث : «أوه ، نعم أعتقد أن الجدران كانت مطلية بالزيت – لون مركب من بضعة ألوان . وكانت توجد سجاجيد فوق الأرضية . وكان يوجد بيانو» . هزت بعد ذلك رأسها وقالت : «أنا فى الحقيقة لا أستطيع أن أخبرك عن وجود أشياء أكثر من ذلك» . فقال بوارو : «ولكنك لا تحاولين أن تتذكرى يا آنسة . يجب أن تتذكرى شيئا . شيئا من الحلى مثلا ؟» فقالت : «آه ، كانت توجد حقيبة فيها مشغولات مصرية ، هناك بالقرب من النافذة» . فقال بوارو : «آه ، نعم ، بالقرب من النافذة حيث كان فى الطرف الآخر من الحجرة منضدة عليها خنجر» ونظرت نحوه آن بحدة وقالت: «أنا لست أعرف عن أى منضدة تتكلم » ولم يلبث بوارو أن قال بصوت مسموع : «كنت تقولين إنه كانت توجد حقيبة من المشغولات المصرية ؟» فقالت آن بحماس : «أوه، نعم ، وبعض هذه المشغولات كانت جميلة ، أشياء لونها أزرق وأحمر وزمردى ، وكان هناك زوج أو زوجان من الأساور والأقراط . ولكننى لا أحبهما كثيرا» فقال بوارو : «شيتانا كان مغرما بجمع التحف الجميلة» فقالت آن : «نعم ، من الضرورى أنه كان مغرما بجمع التحف الجميلة ، كانت الحجرة مليئة بالكثير من هذه التحف. ولا يكاد الإنسان يعرف عند أى تحفة منها يتوقف. وإذا نظر الإنسان إلى أولها لا يصل إلى آخرها لفرط كثرتها ... كانت كثيرة ، كثيرة جدا» فقال بوارو : «ولهذا السبب أنت لا تستطيعين أن تذكرى كل هذه المحتويات الكثيرة» فقالت آن : «لاحظت على وجه الخصوص فازة ضخمة فيها ورد وكانت تحتاج بشدة إلى تغيير الماء الذى بداخلها» . فقال بوارو: «آه ، نعم ، الخدم عموما لا يهتمون بمثل هذه الأشياء» .

وسألته آن بخجل : « أنا آسفة أننى لم ألاحظ ما كنت أنت تريدنى أن ألاحظ» فقال لها بوارو وهو يبتسم : «لا تثريب ولا لوم عليك يا ابنتى . لقد كانت بالفعل مناسبة عابرة . قولى لى هل أنت قد تقابلت مع الميجور ديسبارد الرجل الطيب فى الأيام الأخيرة ؟» وطفت الحمرة فوق وجه آن وقالت : «هو أخبرنى أنه سيأتى لزيارتنا بعد أيام قليلة» .

فقالت رودا: «إنه لم يرتكب جريمة القتل التى حدثت . آن متأكدة ، وأنا متأكدة أنه لم يرتكبها» وغمز لهما بوارو بعينه وقال : «ياله من محظوظ ذلك الذى يجد فتاتين جميلتين مقتنعتين ببراءته ؟» وقالت رودا : «ها هو ذا السيد بوارو بدأ يصبح فرنسيا ويتحدث مثل الفرنسيين ويطرى جمال الفتيات . إن هذا يخجل تواضعى الشديد» .

ونهضت رودا وأخذت تتأمل بعض اللوحات المعلقة على الجدار ، وقالت لبوارو: «هذه اللوحات جميلة جدا» فقال بوارو : «هذه اللوحات ليست رديئة» .

ونظر نحو آن وقال لها : «يا آنسة آن ، أرجو أن يكون ممكنا أن أطلب منك أن تسدى نحوى خدمة أنا فى مسيس الحاجة إليها ... إنها لا تتعلق من قريب أو بعيد بجريمة القتل التى تحيرنا . إنها مسألة شخصية تهمنى أنا شخصيا» .

وبدت آن مندهشة من هذا التحول المفاجئ في موضوع الكلام .فقال بوارو : «أنت تعرفين أن العيد قد اقترب جدا . وكان لزاما على أن أشترى هدايا لبنات إخوتى وحفيداتى . ومن الصعب أن أختار ما تحبه البنات في مقتبل العمر فى هذه الأيام. إن ذوقى فى اختيار الأشياء التى تعجب البنات قد انقضت أيامه» فقالت آن بتعاطف شديد : «نعم؟» فقال بوارو: «هل الجوارب الحريرية ذات الألوان الزاهية هدية تروق للبنات؟» فقالت آن بحماس : «نعم ، وبالفعل الجوارب الملونة هدية مناسبة للبنات» . فقال بوارو: «لقد استراح الآن بالى ، وسأطلب منك أن تسدى نحوى معروفا لن أنساه لك . لقد اشتريت بعض الجوارب المختلفة الألوان لهذا الغرض . إنها حوالى خمسة عشر أو ستة عشر زوجا من الجوارب الملونة ، هل تتكرمين بفحص ألوانها لتختارى من بينها نصف دستة تنحينها جانبا باعتبار أنها أحسن الألوان التى تعجب البنات ؟» فقالت آن وهى تنهض ضاحكة : «بالطبع يسرنى ذلك» .

وأشار بوارو إلى الصالة حيث كان الصندوق موضوعا على منضدة فى أحد الأركان، وكان بداخل الصندوق مجموعة الجوارب وأشياء أخرى ، وقام بتوجيه آن إليه لتقوم بالخدمة التى كان بوارو قد طلبها منها .

وقال بوارو: «أنا أرسل الهدايا لهن مقدما قبل مجيء العيد. انظرى يا آنسة آن الجوارب عندك فى الصندوق . اختارى ست جوارب منها لونها هو أحسن الألوان من فضلك» واستدار بوارو ليتحدث إلى رودا مديرا ظهره نحو الباب بحيث لم يكن يرى آن ميرديث بأى حال من الأحوال وقال بوارو مخاطبا رودا : «أما بخصوص الآنسة آن ميرديث ، فأنا قد أعددت لها هدية ، ولم أتوقع حضورك لأعد لك هدية . ولكن الهدية التى أعددتها للآنسة آن ميرديث هدية رائعة» فقالت رودا : «وما هى ؟» فقال بوارو: «خنجر يا آنسة. وبهذا الخنجر طعن اثنا عشر شخصا رجلا فقتلوه فى إحدى عربات قطار الشرق السريع . وكانت إدارة عربات النوم الدولية قد أهدت لى هذا الخنجر كمجرد تذكار بسيط على سبيل الشكر والامتنان لجهودى المتواضعة فى كشف غموض تلك الجريمة» .

وبعد حوالى خمس دقائق قالت آن ميرديث : أنا اخترت لك هذه الستة باعتبار أنها أحسن الألوان يا سيد بوارو» فقال بوارو : «ألف شكر يا آنسة» .

وحاول بوارو أن يقدم لهما مزيدا من العصير ففزعتا واصطحبهما إلى الباب وهو يتحدث معهما بمرح .

وعندما تأكد من رحيلهما من المنزل تماما ، عاد بوارو إلى المنضدة التى كان يضع عليها الجوارب وقام بعد الجوارب وكان مجموع الجوارب الموجودة بعد إضافة الستة التى كانت آن ميرديث قد انتقتها باعتبار أنها أفضل الألوان سبعة عشر زوجا . كان قد اشترى تسعة عشر زوجا . وأصبحت الآن سبعة عشر زوجا .

وهز بوارو رأسه ببطء شديد.

الفصل الرابع والعشرون
استبعاد ثلاثة قتلة ؟

* * * * *

فور وصوله إلى لندن ذهب باتل مباشرة إلى بوارو . وكانت آن ميرديث وزميلتها رودا داويز قد انصرفتا من عند بوارو منذ أكثر من ساعة. وبكل هدوء وحزن حكى باتل النتيجة السلبية التى حصل عليها بتحرياته فى ديڤونشاير ثم اختتمها بقوله : «نحن فى الطريق إليها ولا ريب فى ذلك أبدا. إنها هى التى كان شيتانا يقصدها بقوله: «جريمة الحدث العرضى داخل المنزل» ، ولكن ما أفتقر إليه هو الدافع إلى الجريمة . لماذا كانت آن ميرديث تريد أن تقتل تلك المرأة ؟» فقال بوارو : «أنا أعتقد أننى يمكن أن أساعدك فى هذه المسألة ياصديقى» فقال باتل : «أسرع يابوارو» .

قال بوارو : «اليوم ، بعد الظهر ،قمت بعمل تجربة صغيرة . وطلبت من الآنسة آن ميرديث وصديقتها أن تحضرا عندى هنا . ووضعت أمام آن ميرديث سؤالا : ماذا كان فى حجرة شيتانا ؟» ونظر نحوه باتل مندهشا وقال: «أنت مهتم أكثر من اللازم بهذا السؤال وهو قليل الجدوى» فقال بوارو: «لا ، إنه مفيد جدا ، إنه يدلنى على أشياء معتبرة . وكانت الآنسة ميرديث متوجسة خائفة من إجابة السؤال وتخشى أن يكون وراءه ما وراءه . وتظاهرت أنها لا تفهم المطلوب من السؤال مع بساطته الواضحة . لقد ظنت الآنسة الصغيرة أن هركيول بوارو العجوز المحنك سيقوم بالاحتيال عليها لاستخراج الحقيقة من بين شفتيها، وهو ما عجز عنه غيره ، ظنت أننى قد نصبت فى هذا السؤال الساذج مصيدة هاو عاشق للوصول إلى حل المشاكل فى القضايا العويصة التى يعجز رجال الشرطة بكل مالديهم من إمكانيات فى حلها . وكان من الواضح أنها لا تريد أن تجيب عن سؤالى أنا .بل تحاول أن تضع إجابات لأسئلة ثارت فى ذهنها هى مثل : ماذا يريد منى بوارو بهذا السؤال بالضبط ؟ كيف أهرب من مصيدته ؟ ذلك هو ما كانت تحاول أن تجد له الإجابة المناسبة، وكانت تحاول وتكرر المحاولة لكسب المزيد من الوقت بالتظاهر المتكرر بعدم فهم سؤالى البسيط جدا. ذكرت الآنسة أول ما ذكرت علبة المجوهرات . وقلت لها إن هذه العلبة كانت موجودة

بالقرب من المنضدة التى كان عليها الخنجر . ولم تقع الآنسة الصغيرة فى هذه المصيدة. تجنبتها بمهارة كبيرة . ولاحظت أنها كانت منتشية جدا بمهارتها فى ذلك، كان من الواضح لى أنها كانت تقول فى قرارة نفسها هذا إذن هو الغرض من دعوته لى إلى زيارته . إنه يريدنى أن أعترف بأننى كنت أعرف مكان الخنجر الذى طعن به القاتل شيتانا ، ولكننى لم أمكنه من ذلك وقلت له أى خنجر ، أنا لم ألاحظ أبدا وجود أى خنجر بالحجرة عند شيتانا . كم أنا بارعة ! ارتفعت عند ذلك معنوياتها وظنت هى أننى قد هزمت هزيمة كاملة. ولم تكن رؤيتها أو عدم رؤيتها للخنجر هى هدفى من طلب زيارتها لى» .

قال باتل : «حسنا يا بوارو . وماذا بعد ذلك» فقال بوارو : «حسنا ، فلنفترض أننا لا نعرف أى شىء عن هذه البنت ، وهذا هو واقع الحال بالنسبة لها . أمامنا أخلاقياتها ، لماذا لا ندرس أخلاقياتها ؟ هل أخلاقها أخلاق سوية فاضلة تتمسك بالفضائل وتأبى الرذائل ؟ أم أن أخلاقها منحطة لا تتورع عن اقتراف أى رذيلة أو جريمة ؟» .

قال باتل : «آه ، بدأت ألحظ ماتهدف إليه» فقال بوارو : «باختصار . أنا أضع أوراقى على المنضدة كما قلت لك منذ بضعة أيام . عندما كنت تقص علينا ما كانت قد زودتك به عن تاريخ حياتها فقدمت لك السيدة أوليفر مفاجأة مذهلة . وعند ذلك اتجه ذهنى إلى نقطة مهمة على الفور : إن هذه الجريمة لا يمكن أن تكون قد حدثت من أجل الحصول على المال حيث إن الآنسة آن ميرديث لم تحصل من جراء قتل شيتانا على أى مال وهى لا تزال تعيش حياتها بالضبط كما كانت تعيش حياتها قبل ارتكاب الجريمة . لماذا قتلته إذن؟ لقد كنت أفترض أن أخلاقيات الآنسة ميرديث إنما هى كما كانت تبدو لنا ، فتاة خجولة، فقيرة ، ولكنها تلبس الملابس اللائقة المعقولة ، وهى مغرمة بالأشياء الجميلة .. هذه ليست أخلاقيات لص، ويجوز أن تكون أخلاقيات قاتل . وسألتك ما إذا كانت المرأة التى ماتت مسمومة ، السيدة إيلدون سيدة تحرص على نظام فى حياتها المنزلية ، وأجبت أنت أنها لم تكن كذلك أبدا بل كانت مهملة لا تكترث بالنظام . وتكوَّن عندى افتراض. فلنفترض أن الآنسة آن ميرديث فتاة فى أخلاقياتها ضعف معين ، مثل أن تأخذ الأشياء بسرقتها من أى محل أو مكان . وعندما يروق لها أن تأخذ لنفسها هذه الأشياء ، وليس معها المال الذى تشتريها به ، فهى تحتال لسرقتها . وهكذا يكون من الممكن أن تكون قد سرقت ذات مرة ، وربما مرتين شيئا ثم سرقت شيئا آخر من سيدتها .. بروش مرصع بالماس مثلا .. عقدا ثمينا.. أسورة أو أكثر .. خاتما ثمينا أو غير ذلك . وربما تحسب السيدة إيلدون أن ضياع شىء تكون قد فقدته إنما هو نتيجة إهمالها ... ولكنها تكتشف بما لا يدع مجالا للشك ذات مرة أن الآنسة آن ميرديث هى التى سرقت شيئا من هذه الأشياء ، فتأخذ فى تعنيفها

وتهديدها بتسليمها للشرطة باعتبار أنها قد سرقت بالفعل. إن اتهام آن ميرديث بالسرقة يمكن أن يكون دافعا لارتكابها الجريمة . وكما سبق لى أن قلت فى تلك الليلة إن الآنسة آن ميرديث يمكن أن ترتكب جريمة قتل فى حالة الخوف الشديد من استمرار حياة شخص معين من الناس . إنها تعرف أن سيدتها التى تقوم بخدمتها يمكن أن تثبت عليها الاتهام بالسرقة ، فماذا تفعل الآنسة آن ميرديث؟ إنها تقتلها. وهكذا تعمد إلى تبديل الزجاجتين . وتموت السيدة إيلدون بنسون وهى تعتقد ، وكل الناس يعتقدون ، أن الغلطة التى أفضت إلى موتها إنما هى غلطتها وليست بترتيب من جانب الآنسة آن ميرديث إطلاقا . إن الآنسة آن ميرديث فتاة صغيرة السن ، مترددة ، مرعوبة ، لا تقوى على عمل شىء فظيع من هذا النوع» .

قال باتل : «هذا ممكن . ولكنه بالطبع مجرد فرضية نظرية ، ماذا يثبت صحة هذه الفرضية النظرية ؟» .

فقال بوارو : «هذه الفرضية أكثر من أن تكون ممكنة إنها احتمال يجوز ترجيحه . وأنا اليوم ، بعد الظهر ، أعددت مصيدة صغيرة ، ولكنها كانت هى المصيدة الحقيقية، بعد أن هزمتنى آن ميرديث وأفلتت من المصيدة الوهمية : لو صح ما نفترضه بشأن آن ميرديث فهى لا يمكن أن تقاوم إغراء اختلاس زوج من الجوارب النسائية الراقية الجودة عندما يكون أمامها ويمكن لها أن تختلسه دون أن يراها أحد أو يكتشف اختلاسها لها أحد ما دامت مغرمة بالجريمة التى لا يعرف الجانى فيها أحد . كان عدد الجوارب تسعة عشر زوجا من الجوارب . وذكرت لها أنا أنها حوالى سبعة عشر زوجا من الجوارب ، وطلبت منها أن تختار لى من بينها ستة أزواج من الجوارب أرسلها هدايا لبنات بناتى وأحفادى ، وتشاغلت عنها بالكلام مع صديقتها رودا . واختارت لى الآنسة آن ميرديث ستة جوارب من أفضل الألوان، وانصرفت مع زميلتها، وبعد انصرافها أعدت الجوارب الستة إلى مكانها وقمت بإحصاء عدد الجوارب ووجدت أن الجوارب قد أصبحت سبعة عشر زوجا بدلا من تسعة عشر زوجا. ووضعت الآنسة آن ميرديث زوجين من الجوارب فى حقيبتها .

وقال باتل : «ووُو ! أى مخاطرة تلك التى خاطرت فيها آن ميرديث بكل أخلاقياتها عندما سرقت زوجين من الجوارب بينما هى تحاول جاهدة أن تدحض الشكوك المثارة حولها أنها هى التى ارتكبت جريمة القتل !»

قال بوارو: «إنها مخاطرة من وجهة نظر رجل مثلك ، ولكنها ليست مخاطرة من وجهة نظر الآنسة آن ميرديث . وبصرف النظر عن أن تكون مصابة بمرض الكلبتومانيا أو السرقة

دون حاجة إلى السرقة فهى تعرف شيئين جعلاها تقدم على المخاطرة وهى مطمئنة كل الاطمئنان . وهى تعرف أولا أننى لا أبحث عن لص، ولكننى أبحث عن قاتل . وهى تعرف ثانيا أن عدد الجوارب فى تقديرى هو سبعة عشر زوجا من الجوارب ، ولما وجدتها تسعة عشر زوجا اكتشفت أن سرقة زوجين من الجوارب لن أستطيع أنا أن أكتشفه أبدا . المهم هو أن هذه المصيدة قد جعلتنا نمسك بنوعية تفكيرها». فقال باتل : «ها هى ذى الوقحة تنتقل من جريمة إلى أخرى. الآنسة آن ميرديث لا تتورع عن ارتكاب جريمة . الآنسة آن ميرديث تفضل أن تكون الجريمة التى ترتكبها بغير دليل عليها ويوجه شكوك الاتهام نحوها . ها نحن أولاء قد أمسكنا آن ميرديث متلبسة بالسرقة . وها نحن أولاء نعتقد أن آن ميرديث ربما تكون قد سرقت شيئا من سيدتها وتم لسيدتها اكتشاف السرقة فبدلت آن ميرديث موضع الزجاجات وقتلت مخدومتها باستخدام مادة طلاء القبعات السامة ، والسؤال الآن هو : هل قتلت آن ميرديث شيتانا؟» .

وسكت باتل ثم هز رأسه : «لا يبدو هذا صحيحا كل الصحة ، إنها ليست الشخص الذى يقدم بثبات على هذه المخاطرة الكبرى . تكون قد بدلت موضع الزجاجتين ، نعم ، هذا سهل جدا وجائز الحدوث . إنها تعرف جيدا أنه يستحيل أن يلصق أحد هذه الجناية بها على الإطلاق ! كانت مطمئنة كل الاطمئنان لأنه يجوز أن يكون أى شخص قد فعل ذلك. أيضا ، كان يجوز أن تتنبه السيدة بنسون إلى تبديل موضع الزجاجتين فلا تشرب من المادة السامة ، وعندئذ لا توجد جريمة إطلاقا . اكتفت آن ميرديث بمجرد الأمل فى أن تقع الجريمة وتموت السيدة التى اكتشفت سرقتها . وتحقق أملها . ولكن شيتانا كان حجما آخر من الأحذية من مقاس أكبر كثيرا من قدمى آن ميرديث الصغيرتين ياسيد بوارو. كانت جريمة قتل شيتانا تحتاج جرأة أكبر ، ورغبة فى القتل أقوى ، وطريقة القتل لا تتوقف على مجرد الأمل فى أن يموت شيتانا . كانت الطعنة قوية نافذة قاتلة !» .

وهز بوارو رأسه وقال : «أنا أتفق معك . نمط كل من الجريمتين ليس نمطا واحدا.» حكَّ باتل أنفه ثم قال : «هكذا يبدو لى أن هذا يخرجها من دائرة البحث فى جريمة قتل شيتانا التى تعنينا الآن . الدكتور روبرتس والآنسة آن ميرديث يلزم أن نستبعدهما من دائرة البحث و التحرى من الآن فصاعدا . ماذا بشأن الميجور ديسبارد ؟ ألم يصادفك حظ أى نجاح مع السيدة الأرملة لوكسيمور؟»

وحكى بوارو موجزا ما صادفه مع الأرملة . وزمجر باتل وهو يقول : «أنا أعرف هذا النوع من الناس . أنت لا تستطيع أن تميز أبدا بين ما يتذكرونه عن الأحداث مما يخترعونه عن الأحداث» .

وحكى بوارو أيضا موجزا زيارة ديسبارد له وسرد رواية ديسبارد عن الأحداث ، فقال باتل: «وهل أنت تصدق رواية ديسبارد ؟» فقال بوارو : «نعم ، أنا أصدق رواية ديسبارد» وقال باتل : «وأنا أيضا أصدق روايته . إن ديسبارد ليس رجلا من ذلك النوع من الرجال الذى يقتل آخر لمجرد أن يأخذ زوجته . وعلى كل حال ، لو كانت بينهما عاطفة مشتركة كان من الممكن أن تلجأ إلى محكمة الطلاق ، وليس ديسبارد رجل أعمال يخاف من الفضيحة أو أى شىء من هذا القبيل . لا ، أنا متأكد أن المرحوم شيتانا كان تخمينه خاطئا بالنسبة للميچور ديسبارد. لم يكن يلزم أن يدعوه إلى عشاء القتلة أبدا ، وليته لم يدع أحدا منهم إلى ذلك العشاء الرهيب . القاتل رقم ٣ ، ديسبارد ، لم يكن قاتلا فى حقيقة الأمر» .

ونظر باتل نحو بوارو نظرة فيها كل التساؤل ثم قال : «أما وقد استبعدنا ثلاثة أشخاص من أن يكون أحدهم هو القاتل ، فإن هذا يجعلنا أن الشخص الرابع . هل بقى أمامنا –؟» فقال بوارو : «السيدة لوريمير» .

ودق جرس التليفون . وقام بوارو ليرد على المكالمة المرتقبة . قال بضع كلمات قليلة بصوت خفيض ، وسكت ، وتكلم بضع كلمات أخرى ، ثم وضع سماعة التليفون فى موضعها وعاد إلى باتل . وكان وجه بوارو حزينا جدا . وقال بوارو : «كانت تلك هى السيدة لوريمير. إنها تريد منى أن أذهب لمقابلتها الآن» .

وتبادلا النظرات . وهز باتل رأسه وقال ببطء : «هل أنا مخطئ ؟ أم أنك كنت تتوقع هذا؟» فقال بوارو : «لم أكن أملك إلا التساؤل!»

قال باتل : «من الأفضل لنا أن تذهب فورا إلى السيدة لوريمير. ربما تنجح هذه المرة أن تحصل على الحقيقة فى خاتمة المطاف!» .

✸ ✸ ✸ ✸

الفصل الخامس والعشرون
السيدة لوريمير تتكلم

* * * * *

لم يكن ذلك اليوم يوما مشرقا . وبدت حجرة الاستقبال عند السيدة لوريمير مظلمة وغير مبهجة إلى حد ما . وكانت نظراتها هى نفسها نظرات رمادية غائمة كما لو كان بريق الذكاء المعهود فى عينيها قد خبا هذه المرة، وبدت أكبر سنا عما كانت عندما زارها بوارو فى المرة السابقة .

حيَّتْ بوارو مبتسمة ابتسامتها المكتنزة المعتدة بذاتها كابتسامة محترمة لسيدة محترمة وقورة ثم قالت : «جميل منك جدا أن تحضر عندى بمثل هذه السرعة يا سيد بوارو . أنت رجل كثير المشاغل و أنا أعرف ذلك» فقال بوارو وهو ينحنى بأدب شديد : «أنا فى خدمتك يا سيدتى» .

وضغطت السيدة لوريمير على الجرس الموجود بجوار المدفأة ثم قالت: «سنشرب الشاى أولا . أنا لا أعرف رأيك فى هذا ، ولكننى دائما أعتقد أنه من الخطأ أن نندفع فى تناول الأمور المهمة دون تمهيد ملائم للطريق» فقال بوارو:« وهل توجد أمور مهمة ياسيدتى ؟»

لم تجب السيدة لوريمير عن السؤال لأن خادمتها فى ذلك الوقت كانت قد دخلت الحجرة استجابة لنداء الجرس . وعندما تلقت الأمر من السيدة لوريمير خرجت مسرعة، وقالت السيدة لوريمير باقتضاب : «أنت يا سيدى كنت قد قلت – لوكنت تتذكر– أنك ستأتى عندما أرسل فى طلب حضورك عندى . كانت عندك فكرة ما وأنت تقول لى ذلك فيما أعتقد عن السبب الذى جعلنى أسرع فى طلب حضورك الآن» وكفت السيدة لوريمير عن الكلام إذ إن الخادمة قد أحضرت الشاى . وجعلت السيدة لوريمير تتشاغل بالحديث عن الجو والموضوعات الأخرى وهى تضع اللمسات الأخيرة على الشاى وتقدمه إلى بوارو .

وانتهز بوارو فرصة توقفها عن الكلام وقال لها : «لقد سمعت أنك قد تناولت الشاى مع الشابة الصغيرة الآنسة آن ميرديث أول أمس ؟» فقالت السيدة لوريمير : «نعم. حدث ذلك . هل أنت قابلت الآنسة ميرديث فى الأيام الأخيرة ؟» فقال بوارو: «قابلتها بعد الظهيرة اليوم» . فقالت : «هى قد جاءت إلى لندن إذن ، أم أنك ذهبت عندها فى ويلنجفورد ؟» فقال بوارو:«لا ، لقد كانت هى وزميلتها من الكرم بحيث حضرتا لزيارتى فى لندن» . فقالت : «آه ، زميلتها . أنا قابلتها» .

قال بوارو وهو يبتسم : «هذه الجريمة قد أحدثت تقاربا كبيرا بينك وبين الآنسة ميرديث إلى حد أنكما تناولتما الشاى سويا ، وهذه الجريمة أيضا قد جعلت الميجور ديسبارد أيضا يزيد من تعارفه إلى الآنسة ميرديث والدكتور روبرتس هو الوحيد الذى لم يحم أبدا حول الآنسة ميرديث» فقالت : «لقد قابلته أنا منذ بضعة أيام فى مجلس من مجالس لعبة البريدج ولقد كان كالعهد به شخصية مرحة» فقال بوارو : «ألا يزال مغرما بممارسة لعبة البريدج؟» فقالت : «نعم ، وهو مغرم أثناء اللعب بأن يقوم بأكبر المخاطرات فى المغامرة . وهو يحقق الانتصار فى كثير من الحالات» .

وسكتت لحظة أو لحظتين ثم قالت : «هل قابلت كبير المفتشين باتل في الأيام الأخيرة؟» فقال بوارو : «رأيته مرة أخرى بعد ظهيرة اليوم.كان معى عندما اتصلت أنت بى تليفونيا» وسألت السيدة لوريمير: «وكيف يعمل هذه الأيام ؟» فقال بوارو بحزن شديد : «إن باتل الطيب يتقدم بمجهود شاق ولا يتقدم إلا قليلا جدا . يتقدم ببطء شديد . ولكنه سيصل فى النهاية ياسيدتى» . فقالت :«أنا أعجب . لقد كان يولينى كثيرا من عنايته واهتمامه. لقد تسلل فيما أعتقد إلى ماضى حياتى حتى وصل إلى مرحلة طفولتى . قابل صديقاتى و تكلم مع خادماتى – خادماتى الحاليات والسابقات اللاتى كن يقمن بخدمتى منذ سنوات طويلة ثم تحولن عن خدمتى إلى خدمة أناس آخرين . وأنا لا أعرف ماذا كان يأمل أن يجد فى كل ذلك . ولكننى أعرف أنه بالتأكيد لم يجد ما كان يأمل أن يجده ، إنه لم يجد أكثر مما كنت أنا قد قلته له بنفسى . كان ما قلته له هو الحقيقة بعينها . كانت معرفتى بالسيد شيتانا معرفة ضئيلة سطحية جدا . كنت قد قابلته فى مدينة الأقصر فى مصر كما سبق أن قلت له . معرفتي السطحية به لم تكن أكثر من معرفة سطحية. إن كبير المفتشين باتل لن يستطيع أبدا أن يخرج من إطار هذه الحقائق التى كنت أنا قد ذكرتها له» .

قال بوارو : «ربما لا يستطيع» فقالت السيدة لوريمير :«أنت ياسيد بوارو، هل قمت بأى تحريات ؟» فقال بوارو :« عنك أنت ياسيدتى ؟» فقالت : «هذا هو ما أعنيه بالطبع » وهز الرجل الضئيل الجسم الكث الشارب رأسه ببطء شديد وقال : «لو قمت بأى تحريات عنك لعدت بخفى حنين ولرجعت بغير طائل ، وتضيع جهودى فى التحريات عنك عبثا . عندما أريد أن أعرف شيئا عنك ، أحصل عليه منك» فقالت : «ماذا تعنى بذلك بالضبط يا سيد بوارو؟» .

قال بوارو : «مصداقا لما قلته وإيضاحا لمعناه بالضبط سأتكلم معك بصراحة ياسيدتى. لقد تأكدت منذ البداية أنه من بين الأربعة أشخاص الذين كانوا موجودين فى حجرة شيتانا فى الليلة التى قتل فيها شيتانا كان الشخص الذى يمتلك أحسن عقلاً وأهدأ عقلاً وأكثر العقول اتساقا مع المنطق السليم بين الأشخاص الأربعة الذين يحتمل أن يكون واحد أو واحدة منهم قد قتل أو قتلت شيتانا هو أنت يا سيدتى» .

وارتفع حاجبا عينى السيدة لوريمير وقالت : «هل تتوقع أننى بحاجة إلى من يمتدحنى ويطرينى ؟» .

واستطرد بوارو فى كلامه دون أن يأبه بالرد عن السؤال الذى قاطعته به فقال : «لتكن جريمة من هذا النوع العلنى الجرىء ناجحة ، فمن الضرورى فى العادة أن يكون التخطيط لها تخطيطا مسبقا وذكيا إلى أقصى حد ، تخطيط لا يهمل حساب التفاصيل الدقيقة مسبقا قبل الشروع فى ارتكاب الجريمة . كل الاحتمالات الممكن حدوثها أثناء تنفيذ الجريمة يلزم أن تكون قد أخذت فى الحسبان . توقيت الإقدام على تنفيذ الجريمة فعلا يلزم أن يكون سليما وبكل دقة دون ثوان من التأخير أو ثوان من التقديم . وموضع تسديد الضربة القاتلة نحو الضحية يلزم أن يكون محددا بدقة لتكون الطعنة الوحيدة التى يتم توجيهها إلى الضحية قاتلة على الفور دون حاجة إلى توجيه طعنات أخرى . الميجور ديسبارد من المحتمل أن يكون شخصا تتوافر فيه هذه الصلاحيات والمقومات اللازمة لتنفيذ مثل هذه الجريمة . والآنسة ميرديث يجوز أن تفقد صوابها وتخونها أعصابها إلى حد يستحيل معه أن تقوى على الإقدام عليها ، والدكتور روبرتس يجوز أن يقدم على مثل هذه الجريمة فى عجلة من أمره كما يعطى لشخص كشف عن مؤخرته حقنة فى ثانية واحدة بأقصى سرعة متاحة لطبيب متمرس على إدخال إبرة الحقنة ثم استخراجها بعد إفراغ الدواء بسرعة . وأنت ياسيدتى لا تفعلين أبدا شيئا من هذا القبيل . إذا كانت آن ميرديث فتاة صغيرة ، أنت يا سيدتى امرأة ناضجة لك مقومات شخصية تمتازين بها دون مجاملة أو محاولة إطراء فارغة . أنت سيدة فى كامل التعقل والحكمة متحفظة فى تصرفاتك كل التحفظ لا تسمحين أبدا لنفسك بأى سلوك ولو فى شأن يسير أن يكون على نحو غير لائق . ومن الممكن أن تكونى مستاءة كل الاستياء إلى أقصى مدى، ولكنك لست بأى حال من ذلك النوع من النساء اللاتى يفقدن عقولهن» .

وظلت السيدة لوريمير صامتة لمدة دقيقة أو دقيقتين ، وكانت ابتسامة مكتومة تتراقص حول شفتيها وتتلاعب بهما ، ثم قالت : «هذا إذن هو ما تعتقده أنت بالنسبة لى ياسيد بوارو . أنت تعتقد إذن أننى امرأة من ذلك النوع من النساء التى تستطيع المرأة التى تحظى بشرف الانتماء إليه أن تخطط بدقة كاملة ، وأن تنفذ جريمة قتل كاملة ولا يستطيع العالم كله أن يجد ضدها دليلا واحدا يدل على أنها قد ارتكبتها؟»

قال بوارو : على الأقل أنت لا تستطيعين أن ترفضى هذه الإمكانية . وسواء كنت أنت ترفضين أو تقبلين فهذا هو تصورى لشخصيتك وإمكانات شخصيتك ياسيدتى» .

قالت السيدة لوريمير : «أنا أجد هذا التصور من جانبك لإمكانات شخصيتى تصورا شائقا جدا ومثيرا وطريفا . ولذلك ، هل يكون هذا التصور عندك لشخصيتى هو الذى يجعلك تعتقد أننى الشخصية الوحيدة التى يمكن أن تكون بالفعل قد ارتكبت جريمة قتل

شيتانا؟» فقال بوارو : «توجد صعوبة واحدة تقف عقبة فى سبيل ذلك الاعتقاد يا سيدتى» . فقالت السيدة لوريمير : «أحقا ما تقول ؟ وماهى ؟» .

قال بوارو : « لعلك تذكرين أننى قد قلت منذ قليل إنه لكى تكون الجريمة من هذا الطراز ناجحة فمن الضرورى أن يكون قد تم الإعداد المسبق لها فى كل تفاصيلها الدقيقة عادة . وكلمة عادة هذه الكلمة التى أرجو أن ألفت نظرك إليها . لأنه يوجد بالفعل نوع آخر من الجرائم الناجحة أيضا غير الجريمة الجيدة الإعداد المسبق . هل حدث ذات مرة أن طلبت من شخص أن يمسك بحجر ثم يقذف به الشجرة من مسافة معقولة بحيث يصيب الحجر الشجرة ؟ ربما يمسك هذا الشخص بالحجر ويقذف به الشجرة فيصيبها من أول رمية على نحو تلقائى مفاجئ . وربما تندهشين من براعته فى تصويب الحجر نحو الشجرة فتطلبين منه معاودة الكرة ، ويحاول مرة ثانية ويفشل فى أن يجعل الحجر يصيب الشجرة ، ويحاول مرة ثالثة ويفشل ، لأنه فى هاتين المرتين يفكر ويحاول إحكام التسديد ، وبالرغم من ذلك لا يصيب الحجر الشجرة ، ولكنه عندما رمى الحجر بسرعة نحو الشجرة دون تفكير أصاب الحجر الشجرة ، لقد كانت المحاولة الأولى عملا لاشعوريا . أطاع الجسم العقل كما يطيع جسم الحيوان رغبة الحيوان فى حركة تلقائية . هكذا الحال فى بعض الجرائم الناجحة التى لا يترك القاتل وراءه أى دليل على ارتكابه الجريمة ، لأنه قد ارتكب الجريمة باعتبارها تجاوبا مع إلهام لحظى شعر به فى ومضة من ومضات الإلهام العبقرى ، انبثقت فى ذهنه ، وألهمته أنه يوجد فى هذه اللحظة ظرف موات جدا دون إعداد مسبق من أحد ، وهو يصلح تماما أن يرتكب جريمة قتل نموذجية كاملة لا يستطيع أحد أن يجد ضده أى دليل على أنه قد ارتكبها خصوصا أنه لم يعدْ لها أىَّ إعداد مسبق ، ولكن مسرح الجريمة جاهز تماما لارتكابها ، ويرتكب الجريمة فى ذات اللحظة بنجاح تام وفى لحظة الإلهام يتم التنفيذ» .

وسكت بوارو قليلا ثم هز رأسه وقال : «وهذه الطريقة يا سيدتى لا تتسق أبدا مع الطريقة التى يمكن لى بها أن أتصور أسلوبك فى ارتكاب جريمة قتل على الإطلاق . لو كنت أنت التى ارتكبت جريمة قتْل شيتانا لكانت جريمة قتل شيتانا مسبقة الإعداد. ولم تكن جريمة قتل شيتانا مسبقة الإعداد بأى حال من الأحوال ، إنها وليدة لحظة إلهام مفاجئ ، ولذلك أنا أعتقد اعتقادا جازما أنك لم تقتلى شيتانا يا سيدتى» .

قالت السيدة لوريمير:«لقد فهمت وجهة نظرك ياسيد بوارو جيدا . لم تكن جريمة قتل شيتانا مسبقة الإعداد ، وأنا يستحيل أن أرتكب جريمة قتل غير مسبقة الإعداد ، والنتيجة إذن هى أننى بالقطع – فيما تعتقد – لم أقتل شيتانا . أليس هذا هو موجز وجهة نظرك ياسيد بوارو» ؟ .

وهز بوارو رأسه وهو يقول : «هذا صحيح ياسيدتى» . فقالت السيدة لوريمير: «ومع ذلك – أنا التى قتلت شيتانا بالفعل يا سيد بوارو» .

الفصل السادس والعشرون
الحقيقـــة

★ ★ ★ ★ ★

ساد الصمت بين بوارو والسيدة لوريمير ، ساد الصمت بينهما مدة طويلة نسبيا . توقفا عن الكلام ولم ينطق أحدهما بكلمة بعد أن كان تداول الكلام بينهما لا يكاد يتوقف إطلاقا.

كان المساء يزحف على بقايا النهار فيزداد الجو عتمة بالتدريج ، وكادت الحجرة أن يسود فيها ظلام خفيف مشوب ببقايا ضوء نهار كان يفتقر إلى أشعة الشمس طوال النهار . وكان ضوء المدفأة يتماوج وتتضافر فيها ألسنة اللهب . وكان يبدو كما لوكان الزمان قد استقر واستكان فى ذلك المكان ، ولم يكن أحدهما ينظر فى عينى الآخر أثناء الحقبة الوجيزة من الزمان.

وأخيرا تنهد بوارو ورفع عينيه نحو وجهها وقال لها : «هكذا إذا كانت المسألة – طوال كل ذلك الوقت ... ... لماذا عمدت إلى قتله ياسيدتى» ؟ فقالت على الفور: «أنا أعتقد أنك تعرف لماذا عمدت أنا إلى قتله يا سيد بوارو» . فقال بوارو: « لأنه كان يعرف شيئا عنك – شيئًا كان قد حدث منذ زمان طويل ؟» فقالت : «نعم». فقال بوارو : «وذلك الشىء كان جريمة قتل أخرى ياسيدتى؟» وأحنت السيدة لوريمير رأسها كما لو كانت تشعر فعلا بالخزى الشديد فقال بوارو بلطف شديد : «ولماذا تقولين كل هذا الذى تقولينه لى الآن ؟ ماذا جعلك تتصلين بى لكى أحضر عندك الآن» . فقالت : «أنت كنت قد قلت لى أننى سأفعل ذلك يوما ما» . فقال بوارو «نعم ، هذا صحيح ... هذا هو ما كنت آمله ... لقد كنت أنا أعرف ياسيدتى أنه يوجد طريق وحيد لمعرفة أى حقائق تتعلق بشئونك أنت ولا يمكن لأحد أن يصل إلى شىء من ذلك من أى طريق آخر . ما يمكن أن يعرفه أى شخص عنك لا يمكن أن يتم إلا من خلالك وبمحض رغبتك وإرادتك الحرة دون أى تحايل أو إجبار أو افتعال . لو شئت ألا تتكلمى لا يستطيع أحد أن يجبرك على الكلام . وأنت لن تستسلمى لأى محاولات ضغط على الإطلاق . ولكننى كنت أرى أنه توجد فرصة – فرصة أن ترغبى أنت بنفسك أن تتكلمى» .

وأومأت السيدة لوريمير برأسها موافقة وقالت : «لقد كنت أنت بارعا عندما توقعت ذلك – التعب والإرهاق النفسى – الوحدة القاسية –» وانهار صوتها وخارت قواها.

قال بوارو وهو ينظر نحوها بارتياب ممزوج بشعور بالغرابة : «أهكذا كان الأمر ؟ نعم، أستطيع أن أدرك أن الأمر يمكن أن يكون هكذا» . فقالت السيدة لوريمير : « أنا وحيدة .. وحيدة تماما ، أعيش بمفردى . لا أحد يستطيع أن يعرف ما يعنيه هذا ما لم يعش بالفعل وحيدا بمفرده كما عشت أنا عشرات السنين وحيدة بمفردى مع معرفة الإنسان الذى يعيش وحيدا بمفرده على هذا النحو بما كانت قد اقترفت يداه من الجرم» .

وقال بوارو بكل أدب ولطف : «هل تسمحين لى – ولا تعتبريها شماتة أو وقاحة منى – أن أقدم لك عطفى وتعاطفى الشديد مع مشاعرك هذه ياسيدتى ؟» وأحنت السيدة لوريمير رأسها قليلا وقالت : «أشكرك يا سيد بوارو» .

وساد بينهما صمت من ذلك النوع من الصمت الذى ساد بينهما فى مرات سابقة أثناء هذا الحوار الفريد من نوعه الذى دار بينهما منذ وصول السيد بوارو واستقبال السيدة لوريمير له ،وقطع بوارو هذا الصمت الحافل بالتفكير بقوله : «هل يجوز لى ياسيدتى أن أفهم أنك قد اعتبرت أن الكلمات التى كان يدسها شيتانا فى كلامه أثناء ذلك العشاء كانت تلميحات متعمدة منه للجريمة التى سبق لك ارتكابها منذ سنوات كثيرة ؟» ، أومأت السيدة لوريمير برأسها موافقة وقالت : «لقد تأكدت على الفور أنه يقول هذه التلميحات وهو يقصد بها شخصا واحدا دون سواه من الأشخاص الذين كانوا موجودين أثناء ذلك العشاء اللعين ، وأن ذلك الشخص الذى كان شيتانا يعنيه هو أنا شخصيا . كانت تلميحته فى قوله إن السم هو سلاح المرأة تلميحة يقصدنى أنا بها . كان شيتانا يعرف . كنت قد شككت فى أنه كان يعرف مرة من قبل ذلك . كان قد أدار المحادثة إلى إحدى المحاكمات الشهيرة آنذاك ، ورأيت عينيه تتجهان بثبات وقوة تركيز نحوى أنا وكأنه يراقب ملامح وجهى وما يظهر عليها . وكان فى نظراته ما يدل على نوع من المعرفة الخبيثة الخبيئة فى صدره . ولكن فى تلك الليلة ، عندما تناولنا العشاء عنده وكنت معنا ، تأكدت أنه بالقطع كان يعرف وأنه بالقطع كان يقصدنى أنا بتلميحه إلى أن السم هو سلاح المرأة» .

قال بوارو : «هل كنت أنت متأكدة أيضا مما يمكن أن يفعله بعد ذلك العشاء ياسيدتى ؟» وقالت السيدة لوريمير بجفاء وحزم : «كان من غير المعقول تماما أن يكون وجود كبير المفتشين باتل ووجود رجل مثلك مجرد صدفة . أنا اعتقدت اعتقادا جازما أن شيتانا سيعلن بعد انتهاء العشاء أو السهرة على الأكثر أنه هو قد اكتشف شيئا لم يكن أحد غيره قد اكتشفه أو شك فيه مجرد شك» .

قـال بوارو : «مـتى بالضـبط تم فى ذهنك اتخـاذ القـرار بأن تنفـذى تلك الجـريمة ياسيدتى؟» وترددت قليلا ثم قالت : «من الصعب أن أحدد بالضبط متى جاءت الفكرة فى ذهنى . كنت قد لاحظت وجود الخنجر قبل أن ندخل للعشاء . وعندما فرغنا من العشاء وعدنا للجلوس فى حجرة الاستقبال اختلست الخنجر من فوق المنضدة ودسسته فى كم فستانى . ولم يشاهدنى أحد وأنا أفعل ذلك . كانت هذه مخاطرة يسيرة ويمكن تبريرها لو اكتشفت بأننى أهوى جمع الأسلحة البيضاء . وتأكدت أنه لم يرنى أحد» .

قال بوارو : «كانت مسألة التقاط الخنجر وإخفائه سهلة وقد تمت ببراعة دون ريب يا سيدتى» فقالت السيدة لوريمير: «بعد ذلك قررت فى نفسى ما سوف أفعله بعد ذلك بالضبط . ولم يبق إلا أن أنفذ ما رسمته فى ذهنى بكل دقة وبكل بساطة . كانت الأمور قد بدأت تنكشف لى عن مسرح ممتاز لجريمة يتم ارتكابها فى لحظة واحدة ببراعة تامة . أشخاص يلعبون البريدج . صاحب البيت جالس يغالبه النوم فى كرسى لا يعبأ به أحد من اللاعبين المنهمكين فى الحملقة إلى الأوراق بأيديهم أمام أعينهم وكأنهم يقولون لى افعلى كما تشائين فنحن لا نراك . كانت مخاطرة ، ربما، ولكننى كنت أعتقد أنها تستحق المحاولة ، ونجحت المحاولة» .

قال بوارو : «ذلك إذن هو ما تمتازين به من هدوء الأعصاب ونجاح فى وزن الفرص ، والإقدام على اللعب فى الوقت المناسب . نعم ، أنا مدرك لكل ذلك» .

قالت السيدة لوريمير : «وبدأنا نلعب البريدج . وحانت الفرصة أخيرا ، خرجت من اللعب ، وبقى على الآخرين أن يلعبوا . ويستطيع الشخص الذى فاز وخرج من اللعب أن يترك مقعده ويذهب حيث يشاء حول اللاعبين . يستطيع أن يذهب جوار المدفأة أو يحضر مشروبا أو ما شابه ذلك والآخرون يلعبون وكل منهم يحاول أن يفوز أيضا . وانزلقت أمشى بهدوء فى الحجرة نحو المدفأة وكان شيتانا قد غلبه النعاس . ونظرت إلى الآخرين . كانوا كلهم مستغرقين فى النظر إلى أوراق اللعب فى أيديهم . ذهبت وراء شيتانا – وفعلتها–» .

واهتز صوتها قليلا ، ولكنها استعادت قدرتها على الكلام بسرعة وقالت : «تكلمت معه بعد أن تركت الخنجر فى خلفية رقبته . وخطر فى ذهنى أننى أستطيع أن أتخذ من كلامى معه وأنا أعلم أنه قد مات ولن يجيب طريقة ربما تنفعنى فى التمويه بعد ذلك عندما أقول بعد ذلك إننى قد تكلمت معه وتكلم معى عند عودتى من المدفأة إلى المنضدة ويكون معنى ذلك بكل وضوح هو أن شيتانا كان لا يزال على قيد الحياة وتكلم معى وتكلمت معه فى المرة الوحيدة التى غادرت أنا فيها منضدة اللعب ، ومن الضرورى أن يكون القاتل شخصا غيرى وليبحث عنه من يشاء كما يشاء . كنت قد أبديت له ملاحظة عن نوع المدفأة

وتظاهرت بأنه قد رد على ملاحظتى هذه وقمت بالرد على ملاحظته التى افترضت أنه قالها وهو لم يقلها بقولى على مسمع من اللاعبين : «أنا أتفق معك فى هذا تماما . أنا أيضا لا أحب هذا النوع للمدفأة» .

قال بوارو: «ألم يصح شيتانا عندما تلقى الطعنة ولم يصدر عنه أى صوت بأى درجة» . فقالت : «لا» . فقال بوارو : «وبعد ذلك؟» فقالت : «وبعد ذلك أنا عدت إلى مائدة اللعب. كان آخر لاعبين يحاول كل منهما أن يكسب الآخر» . قال بوارو: «وبعد ذلك أخذت مقعدك حول منضدة البريدج لمواصلة اللعب» فقالت : «نعم» فقال بوارو: «بكل الانتباه والتركيز فى اللعب إلى حد أنه كان باستطاعتك بعد أيام أن تذكرى لى كيف لعب كل لاعب كل لعبة لعبها؟» فقالت السيدة لوريمير : «نعم» فقال بوارو: «مستحيل» .

واضطجع بوارو إلى أقصى اتساع مقعده ، وأخذ يهز رأسه مرارا وتكرارا ولكن ببطء شديد ثم قال : «ولكن يبدو لى أن ركنا مهما جدا لا يزال مفقودا . أنت امرأة تقدر وتزن كل شىء بعناية . وأنت تقررين لأسباب معينة أن تقومى بمخاطرة كبرى . وأنت تنفذين القيام بهذه المخاطرة الكبرى فعلا-وبنجاح تام . والآن ، بعدئذ ، بعد مضى حوالى أسبوعين تغيرين رأيك من الإصرار على عدم معرفة أحد إلى أن تقومى أنت بنفسك بالاعتراف لى بأنك التى قتلت شيتانا . قتلتيه فى الخفاء بكل إصرار على الخفاء وتحقق لك الخفاء ولا يستطيع أحد أن يوجه لك أى اتهام أو يجد ضدك أى دليل، وفجأة بعد أسبوعين تقدمين لى اعترافا كاملا بأنك أنت القاتلة ولا أحد سواك قد قتل شيتانا ؟ هذا الكلام الآن يرن رنينا غير معقول فى مسامعى يا سيدتى» .

وتراقصت الابتسامة المكبوتة مرة أخرى على جوانب شفتيها ثم قالت : «أنت على صواب تماما ياسيد بوارو . يوجد عامل آخر من عوامل التغيير المفاجئ لمسلكى كما لاحظته أنت وأنت لا تعرفه . هل قالت لك الآنسة ميرديث أين تقابلت هى معى آخر مرة ؟» فقال بوارو : «أعتقد أنها قالت إن ذلك قد تم فى محل بالقرب من بيت السيدة أوليڤر» .

قالت السيدة لوريمير : «أعتقد أن هذا صحيح . ولكن يعنينى بالضبط اسم الشارع الذى قابلتها فيه . أنا كنت قد قابلتها فى شارع هارلى» فقال بوارو : «آه ، لقد بدأت أفهم» فقالت السيدة لوريمير : «نعم . أنا أعتقد أنك تفهم . كنت فى زيارة أحد الإخصائيين هناك . وقال لى ذلك الإخصائى ماكنت أنا نصف متأكدة منه وكنت أشك فى النصف الآخر» .

واتسعت ابتسامة السيدة لوريمير . لم تعد ابتسامتها مكبوتة فى مرارة . كانت ابتسامتها على حين غرة قد غدت ابتسامة حلوة منطلقة من أسر الكبت مطلقة السراح غير مقيدة بأى

قيد من قيود التحفظ ومحاولة التمسك بالوقار ... ثم قالت بعد أن لملمت ابتسامتها قليلا :«لن ألعب لعبة البريدج كثيرا أكثر مما لعبتها يا سيد بوارو . أوه، إنه لم يقل لى ذلك بكل هذا الإسهاب . لقد لف لى الحقيقة كلها فى كلمات قليلة ... بعناية شديدة...يجوز أن أعيش سنوات كثيرة ... ولكننى سأموت ... ولن يهتم بموتى أحد اهتماما كبيرا ... لست أنا من ذلك النوع من النساء اللاتى يهتم لموت إحداهن أحد!» .

قال بوارو: «نعم ، نعم ، لقد بدأت أفهم» فقالت : «لقد أفضى ذلك إلى تغيير موقفى . أصبح شيئا مختلفا تماما عن ذى قبل . أنت تدرك ذلك... شهر – شهران – ربما لا أكثر من ذلك – وبعدئذ – الموت ... وبالضبط عندما انصرفت من عند ذلك الإخصائى رأيت الآنسة آن ميرديث . وطلبت منها أن تأتى لتشرب الشاى معى» .

وتوقفت السيدة لوريمير قليلا ثم قالت : أنا لست رغم كل شىء امرأة شريرة تماما. وطوال الوقت الذى كنا نتناول فيه الشاى – آن ميرديث وأنا – كنت أنا أفكر. من جراء فعلتى التى أقدمت عليها فى تلك الليلة لم أسلب الحياة من جسم شيتانا فقط ، بل إننى بدرجات متفاوتة قد جلبت التعاسة لتملأ حياة ثلاثة أشخاص أبرياء أيضا ، وبسبب الجريمة التى كنت أنا قد ارتكبتها فى تلك الليلة كان كل من الدكتور روبرتس ، والميجور ديسبارد والآنسة آن ميرديث ، الذين لم يؤذنى أى شخص منهم أبدا، وكانوا على الرغم من ذلك يمرون فى حياتهم منذ تلك الليلة بمحنة رهيبة محزنة وربما كانوا من جراء جريمتى يعيشون وكل منهم ينتظر خطرا محدقا . ذلك على الأقل هو مالم أكن أستطيع أن أتحمله . ربما كان هنالك سبب يمكننى من أن أتفادى وخز ضميرى من جراء إقدامى على قتل شيتانا ، ولكننى لم أستطع أن أتحمل وخز ضميرى بالنسبة لهؤلاء الأشخاص الثلاثة . وأنا لا أعرف ما إذا كان المهم عندى هو الأسى والأسف بالنسبة إلى الدكتور روبرتس أو الميجور ديسبارد ، ولكننى كنت متأكدة أننى لا أستطيع أن أتحمل الألم والحزن والأسى والأسف بسبب ما سببته لشابة فى مقتبل العمر مثل الآنسة ميرديث من حزن ومتاعب تهدد كيانها وتؤثر بقسوة على مستقبل حياتها وهى الفتاة اليتيمة، التى لا ينقصها تحمل مآس أخرى بعد مأساة يتمها وفقرها وضعف إمكانيات الحياة المريحة لديها لولا كرم استضافة زميلتها الشابة رودا داويز لها . يستطيع كل من الدكتور روبرتس والميجور ديسبارد أن يعنى بنفسه ، ولكننى عندما كنت أفكر فى ظروف الآنسة آن ميرديث-» .

وتوقفت عن الكلام برهة ثم قالت : «كانت آن ميرديث تشرب الشاى أمامى . كانت فتاة صغيرة حلوة مستقبل حياتها يمتد أمامها . وكنت أنا أشرب الشاى أمام آن ميرديث ، امرأة فى آخر أيام الخريف من عمرها . أعوام آن ميرديث الكثيرة تمتد أمامها فى إقبال ،

وأيامى أنا قليلة تتراجع إلى الوراء فى إدبار ... وهذه الجريمة البشعة التى كنت قد ارتكبتها كان يجوز أن تدمر حياتها الواعدة بالآمال التى لا تحدها حدود... يجوز لها أن تتزوج ... ويجوز لها أن تنجب من البنين والبنات من يستطيع أن يفيد أو يسعد حياة الناس ... ولم أرتح فى تلك اللحظات أن أظل صامتة حتى أموت ...... وبعد ذلك ياسيد بوارو ، وبهذه الأفكار تنمو وتزداد وضوحا فى ذهنى تحققت أن توقعك كان صادقا . لم أكن أستطيع أن أظل صامتة... واليوم ، بعد ظهيرة اليوم اتصلت بك وطلبت منك الحضور ، وتحقق بالفعل ما كنت أنت توقعته..................» .

ومرت دقائق لم تكن مثل أى دقائق . ومال بوارو بصدره للأمام .حملق. وأطال الحملقة فى عتمة الغروب وغبشة إدبار النهار وبدء زحف دياجير المساء . حملق فى وجه السيدة لوريمير . وكانت هى أيضا تنظر فى وجهه بكل هدوء وبدون عصبية . كانت قد هدأت وارتاحت .

وأخيرا وبعد لحظات من التفكير العميق المضنى قال بوارو:«يا سيدة لوريمير ، هل أنت متأكدة تأكدا إيجابيا بالإيجاب وليس بالسلب أن جريمة قتل شيتانا هذه لم تكن جريمة مسبقة الإعداد ؟ ستقولين لى الحقيقة . ألن تقولى لى الحقيقة ؟ أليست الحقيقة هى أنك كنت قد تم لك مسبقا تخطيط هذه الجريمة قبل المجىء إلى حفلة العشاء عند شيتانا ؟ ألم تحضرى إلى هذه الحفلة وهذه الجريمة مخططة معدة التفاصيل فى ذهنك من قبل؟» .

قالت السيدة لوريمير : «لا» فقال بوارو : «هل أنت لم تعدى وترتبى هذه الجريمة مقدما؟» فقالت : «بالتأكيد لا» فقال بوارو : «إذن – ...أوه ، أنت تكذبين علىَّ – من الضرورى أنك تكذبين !..»

ومضى صوت السيدة لوريمير ينطلق بين شفتيها ليقطع الهواء ، كما يقطع الهواء قطرات الثلج المتساقطة من الفضاء عبر صفحات الهواء ولا يقطع مسير قطرات الثلج المتساقطة من الفضاء عبر صفحات الهواء أى شىء صاعد من الأرض أو هابط من السماء إذا وصل إلى أذنى بوارو صوتها الهادئ النافذ فى الهواء بكل هدوء وهى تقول: «أنت فى حقيقة الأمر يا سيد بوارو قد نسيت نفسك» .

ونهض الرجل الضئيل الجسم الكث الشارب واقفا على قدميه ... وأخذ بوارو يتمشى فى الحجرة جيئة وذهابا يتمتم بكلماته لنفسه ، وينطق أحيانا بصوت عال لفظة أو أخرى .. ثم قال فجأة : «هل تسمحين لى ؟» ومد يده إلى مفتاح النور وأضاءه ... ثم عاد وجلس على الكرسى الذى كان يجلس عليه ...ومد راحتى يديه على ركبتيه وحدق فى وجه مضيفته ثم قال: «السؤال الآن هو : هل يمكن أن يكون هركيول بوارو مخطئا ؟» فقالت

السيدة لوريمير بهدوء شديد : «لا أحد يستطيع أن يكون على صواب دائما» فقال بوارو : «أنا الذى أستطيع أن أكون على صواب دائما. هذه حقيقة مطردة ثابتة دائما إلى حد يزعجنى . ولكن هذه الحقيقة تبدو لى الآن كما لو كانت خاطئة وأنا أبدو كما لو كنت مخطئا . وهذا يزعجنى ويعكر صفو مزاجي . ومن المفروض طبعا أنك تعرفين كنه ما تقولين. أنت التى ارتكبت جريمة القتل المحيرة ! هذا كلام خيالى ومضحك ! وبعد ذلك ، ومع ذلك هذا الهركيول بوارو يعرف عن كيفية ارتكابك لجريمتك أكثر مما تعرفينه أنت» .

قالت السيدة لوريمير بهدوء أكثر وببرود أعصاب أكثر مما سبق لها أن كانت هادئة الأعصاب : «خيالى ومضحك ومناف للعقل» فقال بوارو : «أنا إذن مجنون . مؤكد وبالتحديد أنا مجنون . لا - إننى اسم مبارك لرجل مبارك - أنا لست مجنونا ! أنا على صواب . لا مانع عندى من أن أصدق كلامك أنك أنت التى قَتلت السيد شيتانا ، ولكن يستحيل أن أصدق أنك قد قتلتيه بالطريقة التى تزعمينها . لا أحد يستطيع أن يعمل شيئا لا يتسق مع طبيعته وخصوصا فى هذا المجال حيث العمل كبير وخطير ولا يتسق مع طبيعتك بأى حال!» .

وسكت بوارو عن الكلام . وأخذت السيدة لوريمير نفسا عميقا بغضب وعضت شفتها بأسنانها ، وكادت تهم بالكلام ولكن بوارو سبقها إلى الكلام فقال : «إما أن يكون مقتل شيتانا مخططا من قبل وإما أنك لم تقتليه على الإطلاق !» .

وقالت السيدة لوريمير : «أنا حقيقة أعتقد أنك بالفعل مجنون ياسيد بوارو. لو كنت أنا راغبة فى أن أعترف أننى قد ارتكبت جريمة القتل فليس من المعقول أن أكذب فى كيفية ارتكابى لها . ماذا عساها أن تكون الفائدة التى أنشدها من ذلك؟» .

ونهض بوارو واقفا مرة أخرى ، ومشى شوطا فى الحجرة. وعندما عاد إلى الكرسى الذى كان يجلس عليه كانت حالته قد تغيرت . كان عطوفا لطيفا، وقال بهدوء : «أنت لم تقتلى شيتانا . أنا أرى ذلك الآن . أنا أرى كل شيء أمامى . أرى شارع هارلى . أرى آن ميرديث وهى تقف متوترة على الرصيف . وأنا أرى أيضا فتاة أخرى كانت منذ وقت طويل جدا فتاة فى مقتبل العمر ... وكانت وحيدة هى الأخرى فى الحياة . نعم ، أنا أرى كل ذلك . ولكن يوجد شيء واحد لا أراه وهو : لماذا تعتقدين أن آن ميرديث هى التى فعلتها ؟» فقالت السيدة لوريمير: «حقا ياسيد بوارو-» .

قال بوارو : «من المستحيل تماما أن تعارضينى ، ومن المستحيل أن تقولى لى أى أكاذيب أخرى ، أنا أقول لك يا سيدتى أننى أعرف الحقيقة . أنا أعرف كنه المشاعر التى عصفت بوجدانك وعواطفك فى شارع هارلى فى ذلك اليوم الذى أتاحت الصدفة وحدها

أن تلتقى فيه مع آن ميرديث . أن لم تكونى لتعملى ما تعملينه الآن من أجل رجل مثل الميجور ديسبارد ولا من أجل الدكتور روبرتس . لا ، أنت تفعلين ذلك من أجل آن ميرديث. آن ميرديث شيء مختلف تماما أنت تشعرين بكل التعاطف معها . وربما كان ذلك بأنها قد فعلت ما سبق لك أن فعلتيه . إنك حتى لا تعرفين - فيما أتخيل - لماذا ارتكبت آن ميرديث هذه الجريمة ، ولكنك متأكدة تماما أنها هى التى فعلتها . كنت متأكدة من ذلك منذ الليلة الأولى عندما استدعاك كبير المفتشين باتل لتقولى ما تعرفينه عن تلك القضية ، نعم ، أنا أعرف هذا كله كما تدركينه الآن . ومن غير المفيد تماما أن تكذبى علىّ أكثر من ذلك . أنت تدركين ذلك ، أليس كذلك ؟»

وانتظر بوارو أن يسمع إجابة سؤاله ولم يكن ثمة مجيب . وهز بوارو رأسه فى سعادة ورضا وقال : « نعم ، أنت سيدة حساسة رقيقة المشاعر . هذا شيء طيب جدا . هذا تصرف نبيل كل النبل أن تعملى ياسيدتى بحيث تتحملين أنت اللوم والعقاب لكى تتيحى الفرصة لهذه البنت لكى تفلت وتهرب من المصير المؤلم» .

قالت السيدة لوريمير : « أنت قد نسيت أننى امرأة ليست بريئة من أى جرم ماض. منذ سنوات ياسيد بوارو ، أنا قتلت زوجى!» .

وساد الصمت لحظة ثم قال بوارو : « أنا أفهم ذلك . إنها العدالة . إنها العدالة وحدها رغم كل شيء وفوق كل شيء . أنت تمتازين بعقل منطقى التفكير محكم التدبير . وكاد التفكير المنطقى والتدبير المحكم ، وهما ميزتان تمتازين بهما يا سيدتى أن يجعلانى أصدق ما عمدت إلى أن توهمينى به وهو غير صحيح بالمرة جملة وتفصيلا . وأنت ترغبين أيضا أن تتحملى آلام عقوبة جرم سبق لك ارتكابه تكفيرا عن هذا الجرم بعد أن عز عليك التكفير عنه فى حينه عندما استطعت الإفلات من الاتهام بقتل زوجك بكل ما لديك من مهارة لا شك فيها . ولكن القتل هو القتل . بصرف النظر عن اختلاف ضحايا القتل وبصرف النظر عن هوية القاتل . القتل جريمة لا ينبغى أن تمر دون عقوبة للقاتل ، ولا يكفى أبدا إنزال العقوبة بشخص آخر غير القاتل نفسه . أنت شجاعة يا سيدتى ... أنت لديك ياسيدتى القدرة العظيمة على أن تكونى سيدة نبيلة بعيدة النظر ... ولكننى أسألك مرة أخرى: كيف تسنى لك أن تعرفى أن آن ميرديث هى التى قتلت السيد شيتانا ؟» .

تنهدت السيدة لوريمير وقالت : «لأنني رأيتها» .

✹ ✹ ✹ ✹

الفصل السابع والعشرون
شاهدة عيان

★ ★ ★ ★ ★

ضحك بوارو فجأة . ولم يستطع أن يتفادى الضحك . مال رأسه إلى الخلف ، وملأت ضحكته المجلجلة الحجرة وقال : «عفوا يا سيدتي . لم أستطع أن أتفادى الضحك . نحن نناقش ونعمل عقولنا ! نحن نسأل أسئلة ! نحن نستعين بنظريات علم النفس ، لكي نعرف الحقيقة ، وهنا ، طوال الوقت ، توجد شاهدة عيان على الجريمة. وتضن علينا بشهادتها ، وتضرب عرض الحائط بالحق والعدل والخير وكل مقومات صلاح حياة البشر ، وهي سيدة راجحة العقل تعرف ما يجب وما لا ينبغي ! قولي لي حقيقة ما شاهدتيه بالضبط . أنا أضرع إليك يا سيدتي أن تقولي لي حقيقة كل ما شاهدتيه في تلك الليلة بعد ذلك العشاء الذي تناولناه عند شيتانا ، وأنا واثق كل الثقة يا سيدتي أنك عندما تتكلمين هذه المرة ستقولين لي الحقيقة ولا شيء سوى الحقيقة» .

قالت : «كان الوقت قد تأخر بنا ونحن نلعب البريدج في تلك الليلة إلى حد ما . واستطاعت آن ميرديث أن تخرج من اللعب ببراعة . وظللنا نحن نلعب وكل منا يجتهد أن يخرج من اللعب مثلها ، ونهضت آن ميرديث عن مقعدها وذهبت تنظر في أوراق زميلها خلف مقعده . ولم تكن الأوراق التي في يدي مفيدة في اللعب ، وكان من المستحيل التوفيق بينها بأي حال ، وأحسست أنني من المستحيل أن أكسب بهذه الأوراق في ذلك الدور، فلم أهتم بالتدقيق والنظر في الأوراق التي في يدي . وكنت أنظر من آن لآخر إلى الفتاة آن ميرديث وهي عند المدفأة . وكانت آن تقف وراء شيتانا وقد انحنت فوقه ، وعندما وجهت نظري إليها اعتدلت في وقفتها . يدها بالفعل كانت موضوعة على صدره ، ولقد اندهشت أنا لذلك . كانت آن ميرديث قد اعتدلت في وقفتها ثم نظرت نحونا . وكان الشعور بالذنب وكان الخوف هما ما وجدته مرتسما بوضوح على وجهها . وبطبيعة الحال لم أكن أعرف ما كان قد حدث آنذاك . كنت فقط أتساءل وأعجب ماذا عساها هذه الفتاة أن تكون قد فعلت مع السيد شيتانا ؟ هل هي تحاول أن تسرقه ؟ هل تحاول أن تعابثه ؟ وفور أن عادت وجلست إلى المنضدة قمت أنا وتظاهرت بالذهاب نحو نار المدفأة ، وعرفت حقيقة ما قد حدث» .

وأومأ بوارو برأسه وقال : «ولكنها لا تعرف أنك قد عرفت ؟ هل هى لا تعرف أنك قد شاهدت ما فعلته ؟» فقالت السيدة لوريمير: «ياللطفلة المسكينة ! صغيرة السن ! خائفة ! مذعورة! ماذا عساه أن يكون مصيرها ؟ هل أنت تسأل أو تعجب لماذا أمسك لسانى ؟ لم أستطع أن أروى ما شاهدته لأحد إلا فى هذه اللحظة ومعك أنت الآن فقط» فقال بوارو : «لا ، لا ، أنا لا أعجب ولا أتساءل» . فقالت السيدة لوريمير : «خصوصا أننى ، أنا نفسى كنت قد ...» واعترتها رجفة فلم تكمل الجملة ثم قالت : «لم يكن مكانى الصحيح هو مكان شاهدة الإثبات ضد آن ميرديث، ولكن مكانى الصحيح هو المكان الذى أعترف فيه بجريمتى أنا القديمة» . فقال بوارو : «هذا صحيح ، ولكنكِ اليوم ترغبين فى أن تذهبى إلى ما هو أكثر وأبعد من ذلك . أنت ترغبين فى أن تتحملى وِزر وعقوبة جناية شخص غيرك» .

قالت السيدة لوريمير : «أنا لم أكن أبدا امرأة رقيقة القلب عطوفة على الضعفاء ، ولكننى أعتقد أن هذه الصفات تفرض نفسها على الإنسان عندما يتقدم العمر به . وأنا أؤكد لك أننى لم أتصرف فى حياتى من قبل من منطلق الشفقة على الآخرين» .

قال بوارو : «ليس هذا غريبا يا سيدتى . الآنسة آن ميرديث صغيرة السن ، ضعيفة ، وهى تبدو خجولة ، مترددة ، خائفة ، أوه ، إنها تبدو مسكينة تستحق العطف تماما وبكل الاستحقاق .. ، ولكن ، أنا ، أنا لا أوافق . هل أقول لك أنا يا سيدتى لماذا قتلت آن ميرديث السيد شيتانا ؟ السبب فى ذلك هو أنه كان قد عرف أنها كانت قد قتلت امرأة متقدمة فى السن كانت تقوم بخدمتها لأن تلك السيدة العجوزة كانت قد اكتشفت أن آن ميرديث كانت سارقة متلبسة بارتكاب السرقة» .

وبدت السيدة لوريمير منزعجة إلى حد ما وقالت : «هل هذا صحيح ياسيد بوارو؟» فقال بوارو : «ليس عندى شك أى شك فى هذا . إنها رقيقة جدا ، لطيفة جدا ، يمكن لأى إنسان أن يقول هذا ولا جدال فيه . ولكن - يالالأسف - إنها خطيرة يا سيدتى ، هذه الآنسة الصغيرة آن ميرديث ! حيثما تكون سلامتها وحيثما يكون أمنها ستضرب ضرباتها القاتلة ، ولو عرف أى شخص أى شىء عن أى من هذه الضربات ستقتله هو الآخر بضراوة وبكل غدر وخسة ونذالة . وبالنسبة للآنسة آن ميرديث لن تكون جريمتا القتل هاتان هما النهاية . إنها ستستمد منهما الثقة فى قدرتها على أن ترتكب جرائم قتل أكثر ...» .

قالت السيدة لوريمير : «هذا الذى تقوله فظيع ياسيد بوارو» فقال بوارو وهو ينهض واقفا: «يا سيدتى . أنا سأصرف فكرى فى كل ما قلته لك» .

وبدت السيدة لوريمير لأول مرة غير واثقة من نفسها ولكنها حزمت رأيها بسرعة وقالت : «سأفكر ، ولو وجدت أنه يناسبنى ياسيد بوارو ، فأنا سأنكر كل ما دار بيننا من كلام لو لزم الأمر وكأننى وكأنك لم يقل أى منا أى شىء خلال زيارتك هذه عندى. وتذكر يا سيد بوارو أنه ليس لديك أى شهود سمعوا أى كلمة منك أو منى طوال هذه المناقشة التى دارت

بيننا . أعنى أن كل ما قلته لك عن كل ما رأيته فى ذلك المساء الرهيب إنما هو حديث خاص بيننا وليس لاطلاع أى شخص آخر عليه» .

قال بوارو : «لاشىء سيتم عمله بدون موافقتك ياسيدتى . وأنا أدعو الله أن تظلى فى أمن وسلام . أنا لى منهجى الخاص بى ولى أسلوبى و طريقتى فى العمل . وأنا أعرف ما أهدف إليه ، وأعرف كيف أصل إليه-» .

وصافحها بيده ثم قال لها : «اسمحى لى ياسيدتى أن أقول إنك أجدر سيدة بالاحترام . اسمحى لى أيضا أن أقدم لك احترامى وتقديرى . نعم ، أنت امرأة لا نظير لها فى ألف امرأة . وكيف لا ، وأنت قد عملت بالفعل ما لا تستطيع تسعمائة وتسعه وتسعون امرأة أن يفعلنه ولو اجتمعن على محاولة أن يفعلنه ، ولكنهن لن يستطعن» .

قالت السيدة لوريمير : « وما ذاك ؟» فقال بوارو : «اعترافك لى أنك كنت قد قتلت زوجك ، وإن كنت لا أعرف أسباب ذلك لأنك لم تشيرى إلى بأى أسباب» .

قالت السيدة لوريمير : «حقيقة يا سيد بوارو ، أسباب ذلك تخصنى أنا وحدى بكل ما فى الخصوصية من معان» .

قال بوارو : «عظيم» ورفع يده ملوحا بالرحيل ثم غادر الحجرة ثم غادر المنزل .

وكان الجو باردا خارج المنزل ، وجعل بوارو ينظر ذات اليمين وذات اليسار بحثا عن سيارة أجرة ، ولم يبد فى مجال بصره ذات اليمين أو ذات اليسار أى سيارة أجرة ، وبدأ بوارو يمشى على قدميه فى شارع كينجز .

وكان يفكر بعمق وتركيز شديد . وكان يهز رأسه من آن لآخر . ونظر بوارو وراءه ، وشاهد فى الظلام شخصا يصعد درجات سلم السيدة لوريمير . وكان هذا الشخص تشبه هيئته هيئة جسم الآنسة آن ميرديث . وتردد بوارو لحظة يتساءل ما إذا كان يعود أم لا يعود . وفى النهاية استمر فى المشى.

وعندما عاد إلى منزله وجد أن باتل قد انصرف دون أن يترك أى رسالة ، وتقدم نحو التليفون لكى يتصل به وقال باتل : «أهلا ، هل حصلت على أى شىء ؟» فقال بوارو : « أنا أعتقد بشدة يا صديقى أننا يجب أن نقتفى أثر البنت آن ميرديث وبسرعة» فقال باتل : « أنت تعرف أننا نقتفى أثرها ، ولكن لماذا بسرعة ؟» فقال بوارو : «لأنها يا صديقى يمكن أن تكون خطيرة» . وسكت باتل دقيقة أو دقيقتين ثم قال : «أنا أعرف ما تقصده . وعلى كل حال أنا أرسلت لها مذكرة أخطرها فيها أننى ذاهب غدا لمقابلتها. وأعتقد أن ذلك سيجعلها تدرك أننا وراءها بوضوح كاف» فقال بوارو . «هذا ممكن . هل أستطيع أن أكون معك . يهمنى أن أرى وأن أسمع» فقال باتل : «بالطبع يشرفنى جدا أن أكون فى صحبتك» ووضع بوارو سماعة التليفون ، وذهب إلى فراشه وهو يقول : « فى صباح الغد سنرى» .

الفصل الثامن والعشرون
انتحـار

★ ★ ★ ★ ★

وصلت الأنباء بالتليفون في اللحظة التي كان بوارو يبدأ فيها تناول قهوته. ورفع سماعة التليفون وسمع صوت باتل يقول : «السيد بوارو ؟» فقال بوارو: «نعم ، أنا ، ماذا هنالك؟» .

وكان مجرد سماع صوت باتل يدل على مصاب جلل قد وقع . وسرعان ما تلاحقت الأنباء من بين شفتي باتل إذ قال :«إنها السيدة لوريمير» .

قال بوارو بلهفة :«لوريمير . نعم ؟» فقال باتل :«ماذا كنت قد قلت لها – وماذا كانت هي قد قالت لك أمس ؟ أنت لم تقل لي أى شيء على الإطلاق في حقيقة الأمر . لقد اكتفيت يا سيد بوارو بأن تشغلني بطلبك مني الإسراع في إثر البنت ميرديث وأخفيت عني كل شيء عن السيدة لوريمير لكي توهمني أن البنت ميردبث هي التي يلزم أن نكون في إثرها»

قال بوارو بهدوء :«ماذا قد حدث؟» فقال باتل :«انتحار» فقال بوارو : «هل أقدمت السيدة لوريمير على الانتحار؟» فقال باتل :«هذا صحيح . يبدو أنها كانت مكتئبة جدا ولم تكن في حالتها الطبيعية في الأيام الأخيرة. وأمر لها الطبيب المعالج أن تتعاطى دواء منوِّمًا . وفي الليلة الماضية تناولت جرعة كبيرة أكبر بكثير من أن تتحملها لكي تموت ، وماتت بالفعل» .

وتنفس بوارو بعمق بعد أن كان محتبس الأنفاس ثم قال : «ألم تعملوا أى تحريات عن احتمال وجود حادث أو تدخل من شخص آخر في موتها؟» فقال باتل :«لا مجال ولا مسوغ لهذا على الإطلاق . لقد تم حسم هذا الموضوع . لقد كتبت رسائلها إلى الأشخاص الثلاثة الآخرين قبل إقدامها على الانتحار» فقال بوارو :«أى ثلاثة أشخاص

تقصد؟» فقال باتل : «الأشخاص الثلاثة الآخرون روبرتس والميجور ديسبارد والآنسة آن ميرديث . وكلها واضحة للدلالة . لا مجال للحفر بعيدا عن الشجرة لاقتلاعها . كتبت إلى كل منهم تقول إنها هى التى قتلت شيتانا وأنها تعتذر لكل منهم ، تعتذر! تعتذر لكل منهم من أجل الإجراءات غير اللائقة والمضايقات التى قاسوا منها بسبب جريمتها ! خطاب هادئ تماما مثل الخطابات الرسمية التجارية. ولغة الخطابات وأسلوبها يتسق تماما مع شخصية المرأة . لقد كانت تتسم بهدوء الأعصاب دائما» .

ولم يتكلم بوارو لمدة دقيقة أو دقيقتين . وجرت خواطر كثيرة فى ذهنه . هكذا إذن كانت كلمة السيدة لوريمير الأخيرة . كانت إذن قد صممت أن تدرأ التهمة عن آن ميرديث . فضلت موتا سريعا دون ألم على الموت البطيء المؤلم . وكان آخر تصرف لها تصرفا فيه إيثار للغير على نفسها - قررت أن تنقذ فتاة كانت ترتبط بها برابطة سرية من العطف والحنان . وتم تنفيذ كل شيء بعد تخطيطه بكفاءة وثبات أعصاب .. بالانتحار ! انتحار أعلنت عنه بنفسها إلى ثلاثة أشخاص ممن يهمهم الشأن كل الأهمية . يا لها من امرأة. وأسرعت لدى بوارو نبضات الإعجاب بها . كان انتحارها المفاجئ تصرفا حاسما شأن كل تصرفاتها الحاسمة ومواقفها الحاسمة وأساليب تعبيراتها الحاسمة . وكان انتحارها يتسق كل الاتساق مع حزمها وسرعة حسمها للأمور وإصرارها على تنفيذ ما كانت ترغب فى تنفيذه دون أى تردد أو تراخ. وكان بوارو يظن أنه كان قد أقنعها بوجهة نظره - ولكن من الواضح الآن أنها كانت قد فضلت حكمها هى على كل الأمور المتعلقة بشئونها فى الحياة. امرأة قوية الإرادة دون ريب أو جدال فى ذلك .

ووصل إلى بوارو صوت باتل يقطع عليه تأملاته إذ قال له باتل :«ماذا كنت قد قلت لها أمس ؟ من الضرورى أنك كنت قد قلبت لها الدنيا رأسا على عقب ، وكانت هذه هى النتيجة . ولكنك ذكرت لى أن نتيجة زيارتك لها كانت قد استقرت على أن البنت آن ميرديث هى القاتلة» .

وظل بوارو صامتا لمدة دقيقة أو دقيقتين . كان يشعر أن موت السيدة لوريمير يشده بقوة لمساندة وجهة نظرها بأكثر مما كانت تشده وجهة نظرها وهى موجودة على قيد الحياة . ولذلك قال بوارو ببطء شديد :«كنت مخطئا...» .

ولقد كانت هنالك كلمات مثل هذه الكلمات لم يكن بوارو قد تعود على استخدامها طوال حياته . وقال له باتل :«ارتكبت غلطة ؟ إيه ؟ على كل حال ، لقد كانت هى تعرف أنك فى الطريق إليها . هذه قضية قذرة . لقد تسللت من بين أصابعنا بهذه الطريقة» فقال

بوارو :«ألم تكن قد استطعت أن تعثر على أى دليل ضد السيدة لوريمير يا باتل ؟» فأجاب باتل بقوله : «لا ، وأنا أعتقد أنه لا يوجد بالفعل أى دليل ضدها ويثبت ارتكابها لأى جريمة على الإطلاق . وربما كان كل ما حدث هو أفضل ما يمكن أن يحدث لننتهى من هذه القضية . أنت لم تكن تقصد أن يحدث هذا يا بوارو؟ ألم تتسبب فيه ؟» فقال بوارو : «قل لى بالضبط ما الذى حدث؟» .

قال باتل :«فتح روبرتس الخطابات التى وردت إليه فى حوالى الساعة الثامنة صباحا. ولم يضع روبرتس وقتا . انطلق بسيارته إليها فى الحال وترك لممرضته مهمة الاتصال بنا ، وهو ما فعلته الممرضة . ووصل إلى البيت ولم يكن أحد قد ذهب إلى منزلها حتى ذلك الحين . واندفع إلى حجرة النوم - ولكن كان الوقت قد فات . وحاول أن يعمل لها التنفس الصناعى ، ولكن لم يجد شىء فى إنقاذها . ووصل طبيبنا الشرعى هناك فى الحال وأقر طريقة معالجة الدكتور روبرتس للحالة وأقر وفاة السيدة لوريمير من جراء إقدامها على الانتحار» .

قال بوارو :«ماذا كانت المادة المنومة؟» فقال باتل :«ڤيرونال فيما أعتقد ، أحد المجموعة البيربتيوتيك على كل حال . كانت هناك أنبوبة من الحبوب بجوار فراشها» .

قال بوارو :«وماذا بشأن الشخصين الآخرين ؟ هل اتصلوا بك أيضا ؟» فقال بوارو: «ديسبارد خارج المدينة ، ولم يستلم بريد الصباح حتى الآن» . فقال بوارو :«والآنسة ميرديث؟» فقال باتل :«اتصلت بها أنا ، وقالت إنها قد استلمت خطاب السيدة لوريمير منذ لحظات» فقال بوارو :«وماذا كان تأثير الخبر عليها ؟» فقال باتل :«لا شىء . مجرد شعور بالراحة كانت تحاول إخفاءه مع إبداء الحزن وأشياء من هذا القبيل» .

وسكت بوارو قليلا ثم قال :«أين أنت الآن يا صديقى؟» فقال باتل :«أنا موجود فى شين لين» . فقال بوارو :«حسنا ، أنا سأحضر عندك حالا» .

وكان الدكتور روبرتس على وشك أن يرحل عندما وصل بوارو . وكانت طبيعة الدكتور روبرتس المرحة غائبة عنه تماما آنذاك . كان يبدو شاحب الوجه مهزوزا . وبادر روبرتس بوارو بقوله :«هذه مهمة قذرة يا سيد بوارو . لا أستطيع أن أقول إنها قد أزاحت عن كاهلى عبئا - من وجهة النظر الخاصة بى - ولكن ، لو شئت أن أقول الحقيقة ، هذه صدمة كبيرة . أننى فى حقيقة الأمر لم أكن أتصور لحظة واحدة أن السيدة لوريمير هى التى طعنت شيتانا. لقد كانت تلك هى أكبر مفاجأة مدهشة صادفتها فى حياتى» فقال بوارو :«وأنا أيضا مندهش» فقال الدكتور روبرتس :«سيدة حسنة التربية تماما، ومتحفظة ومستقلة بحياتها . أنا

لا أتصور إقدامها على تصرف عنيف يصل بها إلى حد أن تقتل رجلا مثل شيتانا على هذا النحو . أنا أتساءل : ماذا كان الدافع لديها حتى تقدم على قتل شيتانا ؟ أوه ، لن نعرف ذلك الآن . أنا أعترف أننى أشعر بالغرابة» فقال بوارو :«من الضرورى أن هذا الحدث قد تطلب منك جهدا عقليا كبيرا» فقال الدكتور روبرتس : «أوه ، أجهدنى هذا الحدث كثيرا من الناحية العقلية دون ريب . تكون سفسطة منى لو لم أعترف بذلك ، ليس شيئا سارا بطبيعة الحال أن تجد الشك والاتهام يحلقان فوق رأسك باستمرار . أما بالنسبة للمرأة المسكينة التى انتحرت فهى قد اختارت أحسن طريق كان يمكن لها أن تسلكه» فقال بوارو: «هل هى قد فكرت على هذا النحو؟» وهز الدكتور روبرتس رأسه وقال:« الضمير ، فيما أعتقد» ومشى فى طريقه إلى الخروج من المنزل .

وهز بوارو رأسه وهو يفكر بعمق شديد . لقد قرأ الطبيب الموقف بطريقة خاطئة تماما . لم يكن الندم هو الذى جعل السيدة لوريمير تقدم على الانتحار لو كانت قد انتحرت . وفى طريقه إلى الصعود توقف عند الخادمة التى كانت تبكى فى صمت ليقول لها بضع كلمات على سبيل المواساة ، ولكنها كانت هى التى تكلمت فقالت: «هذا شىء رهيب يا سيدى رهيب. كنا جميعا نحبها . وأنت كنت قد شربت الشاى معها أمس وهى بحالة طيبة وهادئة تماما . والآن اليوم ماتت . لن أنسى أبدا هذا الصباح – لن أنساه ما بقيت على قيد الحياة . ضغط الرجل على الجرس ثلاث مرات قبل أن أتمكن أنا من النهوض والذهاب إليه ثم قال :«أين سيدتك؟» وملأنى الرعب لدرجة أننى لم أستطع أن أجيب سؤاله . أنت تدرك أننى لا أذهب عند سيدتى إلا إذا دقت الجرس مستدعية لنا . كانت تلك هى أوامرها . وأنا لم أكن أعرف أى شىء إطلاقا . وفوجئت بالطبيب يقول لى : أين حجرتها؟» وجرى يصعد السلم ، وكنت أنا وراءه . وأرشدته إلى الباب ، ودخل مندفعا إلى حجرتها ، وبمجرد أن نظر إليها سمعته يقول : لقد تأخرت جدا ولا فائدة» . كانت قد ماتت يا سيدى . ولكن الطبيب أرسلنى لأحضر له بعض الكحول والماء الساخن . وحاول دون جدوى أن يعيدها إلى الحياة ولكنه لم يستطع . ثم جاء رجال الشرطة والناس الآخرون – هذا شىء محزن . هذا شىء محزن يا سيدى . السيدة لوريمير لم تكن تحب مثل هذا الأمر أبدا . ولماذا تحضر الشرطة ؟ ليس هذا من شأن الشرطة بالتأكيد ، حتى لو كانت سيدتى قد أخذت جرعة أكبر مما يلزم بطريق الخطأ» .

ولم يجب بوارو سؤالها ولكنه قال لها :«هل كانت سيدتك فى حالتها المعتادة هادئة فى الليلة الماضية؟ أم هل تبدو مضطربة منزعجة؟» فقالت الخادمة :«لا ، لم تكن مضطربة ولا منزعجة . ربما كانت متعبة قليلا . وأعتقد أنها كانت تتألم . لم تكن صحتها بوجه عام

على ما يرام فى الأيام الأخيرة . لم تكن سيدتى ممن يشكون من آلامهم يا سيدى . وأنا أعتقد أن السيدة الشابة التى جاءت بعد انصرافك كان حضورها فى ذلك الوقت مرهقا لسيدتى»

كان بوارو يهم بالمضى فى صعود السلم ، وكان قد وضع إحدى قدميه على درجة من درجات السلم فأنزلها مرة أخرى وقال للخادمة :«السيدة الشابة ؟ هل جاءت سيدة شابة هنا فى الليلة الماضية ؟» فقالت الخادمة :«نعم يا سيدى . مباشرة بعد أن كنت أنت قد انصرفت من عندها . كان اسمها الآنسة ميرديث» فقال بوارو:« هل مكثت مع سيدتك وقتا طويلا» فقالت الخادمة : «حوالى ساعة يا سيدى» وظل بوارو صامتا حوالى دقيقة ثم قال : «وبعد ذلك» فقالت الخادمة :«دخلت سيدتى فى الفراش . وتناولت العشاء وهى فى الفراش . قالت لى إنها متعبة مجهدة» فقال بوارو : «هل تعرفين أن سيدتك كانت قد كتبت أى خطابات مساء أمس ؟» فقالت الخادمة: «هل تقصد بعد أن كانت قد دخلت فى فراشها ؟ لا يا سيدى ، أنا لا أعتقد ذلك» فقال بوارو :«ولكنك لست متأكدة إن كانت قد كتبت خطابات أم لم تكتب قبل نومها ؟» فقالت الخادمة :«كانت هناك بعض الخطابات على منضدة الصالة جاهزة لنأخذها إلى صندوق البريد يا سيدى . ونحن عادة كنا نأخذ هذه الخطابات معنا قبل الانصراف من المنزل . ولكننى أعتقد أن هذه الخطابات كانت موجودة منذ أول نهار أمس» .

قال بوارو :«وكم كان عدد الخطابات التى كانت موجودة على المنضدة فى الصالة من أول النهار؟» فقالت الخادمة :«اثنان أو ثلاثة ، أنا لست متأكدة تماما يا سيدى – ثلاثة فيما أعتقد» .

قال بوارو :«ألم تلاحظى أنت أو الطباخة اسم أى شخص من الأشخاص الذين كانت آخر خطابات سيدتك مرسلة إليهم؟ لا تنزعجى من أسئلتى . وأرجو أن تعرفى أنها أسئلة مهمة لتجيبى بكل دقة ممكنة من فضلك» .

قال الخادمة :«نعم يا سيدى . أنا ذهبت بها إلى مكتب البريد بنفسى ياسيدى . أنا أتذكر المرسل إليه بالنسبة للخطاب الأول . كان الخطاب الأول على وجه الخطابات ، وكان مرسلا إلى فورتنم آند ماسون . وأنا لا أستطيع أن أعرف اسم المرسل إليه فى باقى الخطابات» كانت لهجة الخادمة جادة ، ومخلصة .

قال بوارو :«هل أنت متأكدة أنه لم يكن معك أكثر من ثلاثة خطابات؟» فقالت الخادمة : «نعم يا سيدى ، أنا متأكدة تماما من أنها لم تكن أكثر من ثلاثة خطابات» .

وهز بوارو رأسه بحزن . وبدأ يصعد السلم ثم التفت إلى الخادمة وقال لها: «هل تعرفين أن سيدتك كانت تأخذ دواء منوما لكى يجعلها تنام ؟» فقالت الخادمة :«نعم، يا سيدى كانت هذه هى توصية الطبيب ، الدكتور لانج» .

قال بوارو :«وأين كانت تحتفظ بذلك الدواء؟» فقالت الخادمة :«فى الدولاب الصغير فى حجرة نوم سيدتى» .

ولم يسأل بوارو أسئلة أخرى . وأخذ يصعد درجات السلم ببطء وهو يفكر. وكان وجهه حزينا .

وعلى آخر درجة من درجات السلم قدم له باتل التحية . وكان كبير المفتشين هو الآخر يبدو متعبا متهالك القوى ، وبادر بوارو بقوله :«أنا مسرور أنك قد حضرت . اسمح لى أن أقدم لك الدكتور ديفيدسون.» وصافح الطبيب الشرعى بوارو . وكان ذلك الطبيب رجلا طويل القامة حاد الملامح، وبادر إلى القول :«كان الحظ ضدنا . لو كنا قد وصلنا قبل ساعة أو ساعتين لكان من الممكن أن ننقذها» .

وقال باتل :«أنا لا أستطيع أن أقول ذلك بطريقة رسمية ، ولكننى لا آسف لذلك التأخير. لقد كانت هذه السيدة - حسنا ، أنا لا أعرف ما السبب الذى جعلها تقتل شيتانا ، ولكن يجوز أنه كان لديها سبب كاف» .

فقال بوارو :«على أى حال ، من المشكوك فيه أنها كانت تستطيع أن تتحمل إجراءات محاكمتها . لقد كانت امرأة مريضة جدا» وقال الطبيب: «أنا معك فى ذلك تماما . وعلى كل حال يجوز أن يكون كل شىء قد حدث على أحسن وجه» وبدأ ينزل السلم . ونزل باتل فى إثره .

ونادى بوارو الطبيب بقوله :«دقيقة واحدة يا دكتور» وفتح باب حجرة النوم ، «هل أستطيع أن أدخل؟» فقال باتل :«كل شىء على أتم ما يرام» ودخل بوارو الحجرة ، ومشى نحو فراش المرأة المتوفاة . ووقف ينظر إلى الوجه الهادئ الميت . وكانت عواطفه تعصف بكل كيانه .

هل كانت هذه المرأة الميتة النبيلة قد ماتت وهى الآن فى طريقها إلى قبرها لأنها كانت قد قررت أن تنقذ فتاة فى مقتبل العمر من الموت شنقا بعد عار محاكمة قاسية؟ أم أنه توجد إجابة أخرى مختلفة وأكثر إجراما من كل الجرائم السابقة ؟

كانت حقائق معينة قد بدأت تجد طريقها إلى الوضوح .. وفجأة انحنى بوارو يتأمل ويدقق ويحدق النظر فى موضع دخول إبرة للحقنة فى ذراع المرأة الميتة .

واعتدل بوارو فى وقفته بعد ذلك ، واخضرار عينيه قد ازداد اخضرارا ولمعانا . وغادر الحجرة بسرعة ونزل درجات السلم بسرعة أيضا . كان مساعد باتل يتكلم فى التليفون وباتل يقف وراءه . وقال المساعد :«إنه لم يعد إلى لندن حتى الآن يا سيدى» . وقال باتل : «ديسبارد . كنت أحاول أن أتصل به. يوجد خطاب خاص به فى مكتب بريد تشيلسى» .

وتجاهل بوارو كلام باتل وسأله :«هل كان الدكتور روبرتس قد تناول إفطاره قبل المجىء هنا؟» فقال باتل :«لا ، أنا أتذكر أنه ذكر لى أنه كان قد حضر هنا بدون إفطار» فقال بوارو :«إذن ، سيكون فى منزله الآن . نستطيع أن نصل إليه» فقال باتل : «ولكن لماذا؟» ولكن بوارو كان يدير الأرقام فى قرص التليفون ثم بدأ يتكلم : «الدكتور روبرتس ؟ هل أنت الدكتور روبرتس؟ ولكن نعم . أنا بوارو . مجرد سؤال واحد يا دكتور روبرتس : هل تعرف جيدا خط كتابة يد السيدة لوريمير ؟ بالنسبة لى أنا ؟ أنا لم أره من قبل أبدا أشكرك» ووضع بوارو سماعة التليفون .

وكان باتل يحملق فيه ثم سأله بهدوء :«ما هذه الفكرة الكبيرة يا سيد بوارو ؟» وأمسك بوارو بذراع باتل قال له :«أصغ يا صديقى . بعد بضع دقائق من مغادرتى هذا المنزل أمس وصلت هنا الآنسة آن ميرديث . أنا شخصيا رأيتها تصعد السلم مع أننى لم أكن أستطيع أن أتبين ملامحها فى ذلك الوقت من الليل . وبمجرد أن غادرت آن ميرديث المنزل توجهت السيدة لوريمير إلى فراشها . وفى حدود ما تعرفه خادمتها فهى لم تكتب أى خطابات فى ذلك الحين . ولأسباب ستتفهمها عندما سأحكى لك تفاصيل كلامى معها وكلامها معى فى آخر مقابلة لنا ، فأنا لا أعتقد أنها كانت قد كتبت أى رسالة من الرسائل الثلاث قبل زيارتى لها . فمتى كتبت هذه الرسائل الثلاث إذن ؟» .

قال باتل : «يجوز أن تكون قد كتبتها بعد أن ذهب الخدم إلى فراشهم وناموا» فقال بوارو : «هذا ممكن ، نعم . ولكن هناك احتمال آخر ، وهو ممكن أيضا . وهو أنها لم تكتب هذه الرسائل الثلاث على الإطلاق» .

وأطلق باتل صفيرا بشفتيه وقال : «يا إلهى ، هل تقصد –؟» .

ودق جرس التليفون بعنف . والتقط الرقيب السماعة . واستمع لمدة دقيقة، ثم استدار نحو باتل وقال :«الرقيب أوكونور يتكلم من شقة ديسبارد يا سيدى ، ويوجد سبب قوى للاعتقاد بأن ديسبارد قد ذهب إلى وولنجفورد على نهر التيمس يا سيدى» .

وأمسك بوارو بذراع باتل وهو يقول له : «أسرع يا صديقى . نحن أيضا، يجب أن نذهب إلى وولنجفورد . أصارحك القول إن ذهنى غير مستريح . ربما لا تكون هذه هى آخر الجرائم ، أقول لك مرة أخرى يا صديقى . هذه البنت الصغيرة ، إنها خطيرة» .

الفصل التاسع والعشرون

حادثـــة

* * * * *

قالت رودا : «يا آن ، اسمعينى جيدا . أنا أنادى عليك لأتحدث معك وأنت لاتريدين أن تتركى هذه الكلمات المتقاطعة؟!» فقالت آن : «ها أنذا أترك الصحيفة من يدى وأترك الكلمات المتقاطعة . أنا أستمع إليك الآن . ماذا تريدين أن تقولى يارودا؟» .

قالت رودا : «هكذا أحسن . انظرى هنا يا آن . ماذا عن هذا الرجل الذى أرسل يقول لنا إنه قادم إلينا؟» فقالت آن : «كبير المفتشين باتل؟» فقالت رودا : «نعم يا آن. أنا أريد أن تخبريه عن مدة خدمتك للسيدة بنسون» . فقالت آن ببرود شديد : «هذا هراء ولماذا أخبره عن ذلك؟» فقالت رودا : لأنه إن لم تخبريه سيظن أنك تخفين عنه شيئا . أنا متأكدة أنه سيكون من الأفضل لك أن تخبريه» . فقالت آن بنفس الدرجة من برود الأعصاب: «أنا لا أستطيع أن أخبره بذلك الآن . وعلى كل حال أنا لا أفهم لماذا أخبره عن ذلك . لا علاقة لذلك بما نحن فيه الآن» . فقالت رودا : «لا . لاتوجد علاقة» . فقالت آن : «وأنا مكثت هناك لمدة شهرين فقط . وهو يريد أشياء مهمة . أشياء يمكن أن يرجع بشأنها إلى الناس ويسألهم ويتأكد منهم من صحة كلامى . ولا أحد يعرفنى هناك لأننى قضيت مدة شهرين فقط هناك» . فقالت رودا : «أنا أعرف ذلك ولكن ذلك يزعجنى إلى حد ما . وأيضا أشعر شعورا ما أنه كان يجب أن تخبريه. ولو عرف هو بذلك من طريق آخر ، ربما يبدو هذا سيئا، أعنى تجاهلك لذكر هذين الشهرين . هذا هو ما أقصده» .

قالت آن : «أنا لا أعرف كيف يمكن له أن يعرف ذلك ، لا أحد يعرف ذلك غيرك؟» فقالت رودا : «لا أعتقد ذلك» . وقفزت آن نحو رودا وهى تقول لها منزعجة: «كيف هذا ؟ من الذى يعرف ذلك غيرك؟» وترددت رودا قليلا وقالت : «كل الناس فى كومباكر» .

فقالت آن : «أوه ، هذا لايهم . إنه لن يذهب إلى هناك ولن يقابل أحدا منهم . ستكون هذه مصادفة غريبة لو فعل ذلك» . فقالت رودا : «تحدث مصادفات كثيرة غريبة» . فقالت آن: «رودا ، أصبح شأنك غريبا جدا بالنسبة إلى هذه المسألة . إنها لا شيء ، لا شيء ، لا شيء» .

قالت رودا : «أنا آسفة جدا ياحبيبتي . كل ما في الأمر أنك تعرفين ماذا يكون من شأن رجل الشرطة عندما يعرف أنك – أنه قد أخفيت عنه معلومة» . فقالت آن : «هو لن يعرف . من سيخبره ؟ لا أحد يعرف غيرك» .

وبعد قليل قالت رودا : «شيء جميل . الميجور دريسبارد أيضا سيعاود المجيء عندنا» . فقالت آن : «ماذا تقولين ؟ أوه ، نعم» . فقالت رودا : «آه ، إنه رجل جميل . إذا كنت أنت لاتريدينه ، من فضلك ، من فضلك ، من فضلك ، دعيه لي . تنازلي عنه لي» فقالت آن: «لا تكوني سخيفة يا رودا. إنه أصلا لايهتم بي» . فقالت رودا : «ولماذا إذن يعاود الحضور؟ بالطبع هو مهتم بك أنت . أنت الآنسة الحزينة التي يريد أن ينقذها . جمالك في ضعفك يا آن» . قالت آن : «هو رجل مناسب لكل منا بالتساوي بيننا» .

قالت رودا : «ذلك فقط بسبب لباقته وكياسته وذوقه ولكن إذا كنت أنت لاتحبينه، أستطيع أنا أن أقوم بدور الصديقة المتعاطفة معه التي تواسي قلبه الكسير إلخ ..... إلخ ...... إلخ.... وفي النهاية أتمكن أنا من الحصول عليه وإدخاله في حوزتي تماما ولا يستطيع الخروج من حوزتي أبدا . ومن يدري؟» فقالت آن وهي تضحك : «أنا متأكدة أنك مقبولة عنده تماما ياحبيبتي» . وتنهدت رودا وهي تقول : «خلفية رقبته جميلة جدا . لونها أحمر طوبي اللون ، وهي رقبة قوية» . فقالت آن : «ياحبيبتي، هل يصح أن تكوني هكذا زائغة العين متهالكة على الرجال؟» فقالت رودا : «هل أنت تحبينه يا آن؟» فقالت آن : «نعم ، أحبه حبا كبيرا جدا جدا» .قالت رودا : «ومتى سيحضر عندنا أيضا ذلك الشرطي؟» فقالت آن : «قال إنه سيحضر في الساعة الثانية عشر ظهرا . والساعة الآن هي العاشرة والنصف . هيا نخرج لنذهب عند البحر ونشم الهواء جيدا قبل أن يأتي ويجلسني أمامه» .فقالت رودا : «ولكن ، يا آن ياحبيبتي، ألم يقل ديسبارد إنه سيحضر عندنا في الساعة الحادية عشرة اليوم أيضا؟» فقالت آن : «ولماذا ننتظره . نستطيع أن نترك له رسالة مع السيدة آستويل نخبره فيها عن مكاننا ليحضر إلينا عند البحر» .

قالت رودا : «في الحقيقة أنت لاترخصين نفسك كما كانت توصيني أمي . أنت تريدين ألا يصل إلى مكانك بسهولة. هيا بنا» .

وخرجت رودا من الحجرة ، وخرجت وراءها آن. ووصل الميجور ديسبارد إلى ويندون كوتاچ حوالى الساعة الحادية عشرة وعشر دقائق . ولذلك لم يندهش عندما عرف أن البنتين قد خرجتا من المنزل . وعرف بالطبع المكان الذى ذهبتا إليه .

ومشى الميجور ديسبارد فى الحقول ثم انعطف يمينا ونظرت إليه السيدة آستويل وهو يمشى حيث أشارت إليه ليجد الفتاتين وقالت فى نفسها : «رجل جميل جدا يصلح لإحدى البنتين . أعتقد أنه للآنسة آن ولكننى لست متأكدة . إنه لايسفر عن وجهه ولا وجهته. وهو يعاملهما على قدم المساواة. وأنا لست متأكدة ما إذا كانتا حلوتين فى نظره على قدم المساواة أيضا . ولو كان ذلك صحيحا فلن تظل الصداقة قائمة بينهما أبدا . ليس هناك أخطر من وجود رجل بين فتاتين فى سن الشباب» .

وكانت السيدة آستويل منتشية بهذه التأملات فى قصة حب يحتمل أن تكون رواية غرامية ذات فصول مثيرة فى المستقبل القريب وعادت إلى داخل المنزل لتقوم بغسل أوانى الطبخ . وأطباق بقايا طعام إفطار الفتاتين ، وبينما هى مستغرقة فى أفكارها وتأملاتها وعملها سمعت طرقات على الباب فقالت : «سحقا لهذا الباب ، هل اتفق الناس جميعا على المجىء هنا فى هذا النهار؟» ومشت إلى الباب وفتحته . ووجدت أمامها رجلين أحدهما ضخم متخشب الهيئة والآخر ضئيل الجسم ذو شارب كث هو أهم ما يلفت النظر نحو الرجل .

وسألها الرجل الضخم المتخشب الهيئة : «هل الآنسة ميرديث موجودة هنا؟» فقالت السيدة آستويل : « خرجت وذهبت عند النهر» .فقال الرجل ذو الشارب الكث: «وسيدتك الأخرى ، الآنسة داويز؟» فقالت السيدة آستويل: «هما ذهبتا إلى النهر سويا» . فقال باتل : «آه قولى لنا فقط أى طريق يؤدى إلى النهر لنجدهما؟» فقالت : «امش فى هذه الحارة الصغيرة ثم انحرف جهة اليسار لتصل إلى مكانهما» . وكانت السيدة آستويل قد مشت معهما قليلا حول البيت حتى تمكنت من أن تشير لهما بيدها إلى الطريق الذى يسلكانه والاتجاه الذى يقصدانه ثم عادت إلى حوض غسيل الأطباق وأوانى الطهى .

كان بوارو يسرع خطاه وكان باتل يعجب من تعجل بوارو فى المشى . ولم يلبث أن سأله : «هل تتوقع حدوث شىء آخر يا بوارو ؟ إنك تكاد تجرى» . فقال بوارو : «هذا صحيح. أنا غير مطمئن ياصديقى» . فقال باتل: «هل تتوقع حدوث شىء غير عادى؟» فقال بوارو : «لا شىء محدد ، ولكنها مجرد احتمالات» فقال باتل : «لديك شىء فى رأسك ياصديقى . لقد كنت متعجلا أن نأتى هنا قبل الموعد الذى كنت قد حددته للآنسة

آن ميرديث . وأنت الآن أيضا تكاد تجرى . ماذا تخشى بالضبط؟» ولم يرد بوارو وظل صامتا. وكرر باتل السؤال : «مم تخاف؟» فقال بوارو : «أخاف مما يخشى منه عادة فى هذه القضايا عندما يكون القاتل فى خوف من أن يكتشف فيقتل كل شخص يمكن أن يكون سببا فى اكتشافه». وهز باتل رأسه وقال: «أنت على صواب فى ذلك أنا أعجب ـــــ» فقال بوارو: «مم تعجب ياصديقى؟» فقال باتل : «أخشى أن تكون الآنسة ميرديث قد عرفت أن صديقتها رودا قد أخبرت السيدة أوليفر عن حقيقة معينة». فقال بوارو : «أسرع إذن ياصديقى . النهر مكان ملائم لجريمة قتل نموذجية».

وكان قد وصلا إلى النهر . كانا يمشيان على إحدى ضفيته الآن. ولم يكن يظهر على الضفة أو على سطح ماء النهر أحد على الإطلاق . ووصلا الآن إلى انحناءة كبيرة فى مجرى النهر وبالتالى فى ضفتيه . وتوقف بوارو فى مكانه لايتحرك خطوة أخرى . وقال باتل: «الميجور ديسبارد».

كان الميجور ديسبارد على مسافة مائتى ياردة منهما يسير على ضفة النهر. وعلى مسافة منه كانت البنتان تجلسان تماما على حافة النهر تتعابثان وتضحكان وهما تنظران إلى مياه النهر المتدفقة تحت أقدامهما مباشرة . وفجأة حدثت الحادثة فى لمح البصر . هجمت آن ميرديث على رودا داويز وأزاحتها فسقطت فى الماء فجأة وتعلقت رودا بأحد أكمام آن ميرديث وجذبتها معها إلى النهر . وسرعان ما كانت الفتاتان تتصارعان فى ماء النهر.

صاح باتل يقول وقد بدأ يجرى : «هل ترى يابوارو؟ البنت ميرديث أمسكت برقبة البنت داويز وتحاول أن تبقيها تحت الماء . هذه هى جريمة القتل الرابعة التى ترتكبها!».

كانا يجريان كليهما بكل قدرتهما على الجرى . وكان ديسبارد يسبقهما بمسافة وكان أقدر منهما على سرعة الجرى . كان من الواضح أن الفتاتين كلتيهما لا تجيدان السباحة ، ولكن ديسبارد كان قد وصل إلى أقرب نقطة من الشاطئ إليهما واندفع نحو الماء يسبح بقوة وبسرعة فى اتجاه البنتين .

قال باتل : «هذا شىء مثير ! إنهما فتاتان لافتاة واحدة هذه المرة ، ترى من الفتاة المحظوظة منهما التى سيحاول إنقاذها أولا؟» .

ولكن البنتين لم يكونا مشتبكتين فى عراك الآن . كانت قواهما قد خارت تماما . وكانت مسافة تزيد على عشرين ياردة تفصل بينهما الآن . وكان ديسبارد يسبح بسرعة وبقوة الآن ويشق طريقه نحو رودا داويز ، ونجح ديسبارد فى إحضار رودا إلى الشاطئ ، ووضعها على الشاطئ ، ثم استدار نحو النهر ، وأخذ يسبح نحو النقطة التى كانت آن

ميرديث قد اختفت فيها تحت الماء ، وصاح باتل يقول : «كن حذرا من الطحالب!» وكان باتل وبوارو يسبحان فى النهر أيضا ويتجهان إلى نفس النقطة التى اختفت فيها آن ميرديث تحت الماء ، ولكن آن ميرديث كانت قد غرقت تماما قبل أن يصل أحد إليها . وعثروا على جثتها فى النهاية ، وحمل الرجال الثلاثة جثتها إلى شاطئ النهر .

وأشرف بوارو على إسعاف رودا داويز . وكانت رودا داويز قد تمكنت من الجلوس الآن ، وكانت لاهثة الأنفاس . وكان ديسبارد وباتل قد وضعا جثة آن ميرديث على الأرض . وقال باتل : «فلنحاول أن نعمل لها التنفس الصناعى . هذا هو الشىء الوحيد الممكن ، وإن كنت أعتقد أنها قد ماتت» .

وشرع باتل فى عمل التنفس الصناعى لها بطريقة نموذجية كما يقول كتاب الإسعافات الأولية بينما كان بوارو يشرف عليه وهو على أتم استعداد لمساعدته بينما انشغل ديسبارد مع الآنسة رودا وقال لها : «هل أنت بخير؟» فقالت ببطء : «أنت أنقذتنى . أنت أنقذتنى ...» ومدت يدها نحوه ، وعندما أمسك يدها انفجرت رودا تبكى ، فقال لها : «رودا..» وظلت يداهما متماسكتين...

كان ديسبارد يستطيع الآن أن يتخيل أنه فى رحلة إلى إحدى غابات إفريقيا ، ورودا داويز تصحبه فى الرحلة .

✸ ✸ ✸ ✸

الفصل الثلاثون

جريمة قتل

★ ★ ★ ★ ★

قالت رودا : «هل تقصد أن تقول إن آن كانت قد تعمدت أن تدفعنى للسقوط فى النهر. أنا أعرف أن المنظر كان يبدو كذلك . ولكن هل تعتقد أنها تعمدت ذلك؟» فقال بوارو : «هى بالتأكيد كانت قد تعمدت ذلك». فقالت رودا : «ولكن - ولكن- لماذا؟» .

ولم يجب بوارو عن هذا السؤال . كان يعرف سببا كافيا لذلك ، وكان سبب آخر . كان يجلس بجوار رودا فى السيارة التى كانت تقلهم جميعا متجهة إلى لندن . كان يجلس بجوارها الميچور ديسبارد .

وسعل كبير المفتشين باتل ثم قال : «يلزم أن تجهزى نفسك يا آنسة رودا لكى تتلقى صدمة . السيدة بنسون التى كانت تعمل معها صديقتك الراحلة آن ميرديث لم تكن قد ماتت بسبب حادث عرضى بالصدفة ، ولكنها ماتت مقتولة عن عمد . كانت آن ميرديث هى التى دبرت موتها فيما نعتقد لأسباب قوية». فقالت رودا : «ماذا تقصد أن تقول؟» فقال بوارو : «نحن نعتقد أن آن ميرديث كانت قد بدلت عن عمد موضع الزجاجتين». فقالت رودا : «أوه ، لا . لا . هذا فظيع ! هذا مستحيل ! آن ؟ لماذا تفعل ذلك؟» فقال باتل : «كانت لديها أسبابها . ولكن المهم الآن هو أنك أنت يا آنسة داويز كنت الوحيدة التى عرفت الآنسة ميرديث أنه يمكنك أن تعطى لنا مفتاحا للوصول إلى حادثة جريمة قتل السيدة بنسون هذه . أنت لم تقولى لها إنك قد أخبرت السيدة أوليڤر بذلك فيما أعتقد؟» فقالت رودا : «كنت على وشك أن أقول لها ذلك ، ولكننى أمسكت نفسى فى آخر لحظة، قررت ألا أخبرها بذلك حتى لاتغضب منى». فقال باتل : «كانت ستغضب منك غضبا شديدا بكل تأكيد . وإذ لم تقولى لها ذلك ، ظنت أنك مصدر الخطر الوحيد عليها . وكان

ذلك هو السبب فى أنها كانت قد قررت التخلص منك بالتصفية الجسدية . القتل فى النهر. كانت صديقتك بارعة فى اختيار كيفية ارتكاب الجريمة بحيث تبدو كما لو كانت حادثة عرضية وقعت قضاء وقدرا» .

قالت رودا : «تصفية جسدية ؟ لى أنا ؟ ياللوحشية والغدر ! يستحيل أن يكون هذا صحيحا» . فقال باتل : «حسنا . إنها ميتة الآن ، ولذلك يحسن بنا أن ندعها لمصيرها ذاك ، ولكنها لم تكن صديقة مناسبة لك يا آنسة داويز – وهذه حقيقة لاجدال فيها» .

وكانت السيارة قد وقفت أمام باب أحد المنازل فى لندن . وقال باتل : «سندخل بيت السيد بوارو ونتكلم فى كل هذه الموضوعات» .

ورحبت بهم السيدة أوليفر فى حجرة الاستقبال فى منزل بوارو حيث كانت موجودة هناك تسامر الدكتور روبرتس بتعليمات مسبقة من باتل شددت على ضرورة حضورهما فى منزل بوارو لحين رجوع بوارو والمفتش باتل إليه .

كانت السيدة أوليفر والدكتور روبرتس يشربان عصير الفراولة ، وكانت ترتدى قبعة جديدة من قبعات الفروسية فوق فستان من قماش مخملى وقد طرز عليه قوس على الصدر يمر بتفاحة غير مكتملة الاستدارة.

قالت السيدة أوليفر تخاطب كلا من بوارو وباتل : «تفضلا بالدخول . تفضلا بالدخول» . كما لو كان المنزل منزلها وليس منزل بوارو . ثم استطردت قائلة : «بمجرد أن تلقيت مكالمتك التليفونية اتصلت تليفونيا بالدكتور روبرتس وجئنا مباشرة إلى هنا ، وكل مرضى الدكتور يموتون الآن إلا إننى جعلته يتركهم رغم أنفه ، ولكنه لايعبأ بذلك . ولكنهم فى حقيقة ستتحسَّن حالتهم الصحية عندما يتوقفون عن الخضوع لعلاج الدكتور روبرتس فى حقيقة الأمر . نحن الآن نريد أن نسمع تفاصيل كل شىء كما وعدتنى يا سيد باتل» .

وقال الدكتور روبرتس : «نعم ، فعلا ، من أجل هذا وافقت على دعوة السيدة أوليفر لى المجىء هنا . قالت إننا سنسمع تفاصيل كل شىء إننا قد أصبحنا فى ضباب كثيف» .

قال بوارو : «إيه ، حسنا . انتهت القضية . لقد أمكن لنا العثور على قاتل السيد شيتانا أخيرا» .

قال الدكتور روبرتس: «هذا هو ما قالته لى السيدة أوليفر ، قالت لى تليفونيا لقد تم العثور على قاتل السيد شيتانا أخيرا ودعتنى للمجىء هنا لمعرفة التفاصيل منك ياسيد بوارو . هل تمخضت الأمور فى قضية قتل السيد شيتانا أخيرا عن ذلك الشىء الصغير، تلك الفتاة

الصغيرة ، الآنسة آن ميرديث . أنا لا أكاد أصدق ذلك . إنها قاتلة يستحيل تصوُّر أنها قاتلة» .

قال باتل : «كانت آن ميرديث قاتلة بالفعل ارتكبت ثلاث جرائم قتل دون ريب – ولم تكن غلطتها أنها لم ترتكب الجريمة الرابعة ، جريمة قتل شيتانا» . فتمتم الدكتور روبرتس يقول : «هذا هو ما لايمكن تصديقه» . وقالت السيدة أوليفر : «ولماذا تكون هذه الحقائق لايمكن تصديقها . تحدث فى الواقع الفعلى فى حياة الناس أشياء مثل الأشياء الخيالية التى نكتب عنها فى الكتب» .

قال الدكتور روبرتس : «لقد كان يوما محيرا . وصلنى فى بدايته خطاب السيدة لوريمير. أعتقد أنه كان خطابا مزورا ، إيه؟» فقال بوارو : «بالضبط كان مزورا من ثلاث نسخ» فقال الدكتور روبرتس : «هل كانت آن ميرديث قد زورت خطابا أرسلته لنفسها أيضا؟» فقال بوارو : «طبعا ، كان التزييف محكما بمهارة فائقة – ولكنه لايخدع خبيرا بطبيعة الحال – ولكن كان من غير المحتمل إلى حد كبير أن يتدخل خبير فى الموضوع ويكتشف التزوير. كانت كل الشواهد تدل على أن السيدة لوريمير قد كتبت الخطابات وأقدمت على الانتحار» .

قال الدكتور روبرتس : «أرجو أن تعذرنى فى حب الاستطلاع ياسيد بوارو، ولكن ما الذى جعلك تشك فى أن السيدة لوريمير قد انتحرت؟» فقال بوارو : «محادثة صغيرة مع خادمتها فى شين لين» . فقال الدكتور روبرتس : «هل أخبرتك الخادمة عن زيارة الآنسة آن ميرديث للسيدة لوريمير فى تلك الليلة التى ماتت فيها السيدة لوريمير؟» فقال بوارو : «أخبرتنى بذلك مع أشياء أخرى . وبالإضافة إلى ذلك كنت أنا قد توصلت إلى قناعة فى ذهنى بالنسبة إلى شخصية الشخص القاتل ، أعنى الشخص الذى قتل السيد شيتانا . لم يكن ذلك الشخص هو السيدة لوريمير» .

قال الدكتور روبرتس : «ما الذى جعلك تشك فى أن الآنسة آن ميرديث هى التى قتلته؟» فقال بوارو وهو يرفع كفه مفتوحة نحو الدكتور روبرتس بما يفيد رغبته فى أن يكف روبرتس عن الكلام : «دقيقة من فضلك دعنى أوضح هذه المسألة من الطريق الذى أعتبره هو الطريق الصحيح وبطريقتى الخاصة الموجزة . قاتل شيتانا لم يكن هو السيدة لوريمير ، ولا الميچور ديسبارد ، ومن أغرب الغرائب أنه لم يكن الآنسة آن ميرديث...» .

ومال بوارو بصدره قليلا إلى الأمام ، وتدفق صوته هادئا ناعما وهو يقول: «ومن ذلك تستطيع يا دكتور روبرتس أن تدرك أنك كنت أنت الشخص الذى قتل السيد شيتانا وأنت

أيضا قتلت السيدة لوريمير....» .

وامتدت جبال الصمت حتى وصلت إلى الثانية الأخيرة من خمس دقائق من الصمت المطبق على الأقل ... وبعد ذلك ضحك الدكتور روبرتس ضحكة مصطنعة لايدرى أحد كيف أفلح فى اصطناعها وليس فى الموقف ما يضحك إطلاقا ، ولكنه نجح فى افتعال ضحكة مصطنعة ، ثم قال : «هل أنت مجنون جنونا كاملا ياسيد بوارو ؟ أنا بالتأكيد لم أقتل السيد شيتانا ولم يكن من الممكن لى أن أقتل السيدة لوريمير . يا عزيزى باتل ، هل أنت توافق على هذا؟» .

قال باتل بهدوء : «أنا أعتقد أنك يلزم أن تصغى إلى ما يقوله السيد بوارو. إنه لم ينته من كلامه حتى الآن» .

وعندئذ قال بوارو : «صحيح أننى على الرغم من أننى قد عرفت منذ وقت طويل أنك أنت – وأنت وحدك – الذى قتلت السيد شيتانا إلا أن إثبات ذلك لم يكن مسألة سهلة فى بداية الأمر . ولكن كان الأمر مختلفا فى قضية قتل السيدة لوريمير . لم تعد المسألة مجرد أننى أعرف وتوجد عندى قناعة معينة . كانت مسألة معرفة القاتل فى قضية السيدة لوريمير أكثر وضوحا ويوجد لدينا الدليل ضد القاتل الذى ارتكب جريمة قتلها لأنه عندنا شاهد عيان شاهدك وأنت تقتل السيدة لوريمير» .

واستكان الدكتور روبرتس للهدوء التام ، وكان عيناه متوهجتين ، وقال بشىء من الحدة: «أنت تقول هراء!» .

قال بوارو : « أوه ، لا ، لا ، أنا لا أقول هراء . كان ذلك فى الصباح الباكر . وكنت أنت قد مضيت فى طريقك إلى حجرة السيدة لوريمير ، حيث كانت هى لاتزال تحت تأثير الدواء المنوم الذى تناولته قبل نومها فى موعد متأخر فى تلك الليلة . وعمدت إلى التحايل أيضا فى هذه المرة كعادتك دائما ، وتظاهرت بأنك ستحاول إنقاذ امرأة فى حالة احتضار باعتبار أنك طبيب ! وجعلت الخادمة تنشغل بأن تحضر لك الكحول والماء الساخن وغير ذلك من طلباتك التى تستلزم خروجها من الحجرة وغيابها خارجها مدة من الوقت . وهكذا أصبحت أنت بمفردك مع السيدة لوريمير فى الحجرة ، وبعد ذلك ، ماذا حدث ؟ ربما لم تدرك أنت حقيقة كل ما يحدث فى ذلك الوقت لأنك كنت مشغولا تماما فى مهمتك التى جئت من أجلها فلم تدرك أنه توجد شركة لتنظيف النوافذ فى الصباح الباكر كل يوم. وكان أحد عمال شركة تنظيف النوافذ هذه قد وصل معه السلم إلى منزل السيدة لوريمير وبدأ تنظيف نافذة حجرة نومها عندما شاهد كل ما كان يحدث داخل الحجرة قبل أن يشرع

فى تنظيف النافذة وتوقف عن تنظيفها ، واستمر فى مشاهدة ما يجرى حدوثه داخل حجرة السيدة لوريمير ، ثم عدل عن تنظيف هذه النافذة ، ونزل عن السلم ، وسحبه إلى مكان آخر ، ولكنه كان قد شاهد كل ما حدث داخل حجرة نوم السيدة لوريمير وهو سيحكى لنا عنه الآن» .

ومشى بوارو بخفة ورشاقة بضع خطوات وأدار أكرة الباب فى حجرة مجاورة وقال : «تعال ياستيفنز» .

ودخل حجرة الاستقبال عند بوارو رجل ضخم الجسم خجول أحمر الشعر وهو يحمل فى يده قبعة مكتوب عليها شعار الشركة التى يعمل بها : «شركة تشيلسى لتنظيف النوافذ» .

وقال له بوارو : «هل يوجد أى شخص سبق لك أن رأيته فى هذه الحجرة؟» وأدار الرجل نظره فى الحاضرين وأومأ نحو الدكتور روبرتس ، وقال: «هذا» .

قال بوارو : «قل لنا متى رأيته آخر مرة ، وماذا كان يفعل ؟» فقال ستيفنز: «كان ذلك فى صباح اليوم . وكنت أقوم بعملى فى الساعة الثامنة صباحا فى بيت سيدة فى شين لين. وعندما بدأت تنظيف إحدى النوافذ شاهدت السيدة فى فراشها . كانت تبدو مريضة . كانت تدير رأسها على الوسادة عندما بدأت أنظر نحوها . ولقد خمنت أن هذا السيد طبيب . شمر عن ذراع السيدة وحقن شيئا فى ذراعها . وهى غابت عن الوعى وكفت عن الحركة تماما فى الحال . وقررت أن أترك هذه النافذة دون تنظيف وأنتقل إلى النوافذ الأخرى . وآمل ألا أكون قد أخطأت فى أى شىء» .

وقال له بوارو : «لم تخطئ فى أى شىء ياصديقى . أنت قد تصرفت على أفضل نحو» .

والتفت بوارو إلى الدكتور روبرتس وقال له : «إيه ! هل هذا يكفى يادكتور روبرتس؟» فقال الدكتور روبرتس : «هذا ، هذا دليل واه . هذه محاولة متهافتة لإلصاق التهمة بى . هذا توحش ــــــ» .

قال بوارو : «هل هذا دليل واه ؟ وتحليل عينة من جثة السيدة لوريمير عندما يجد الطب الشرعى أن سبب وفاتها هو مادة نيميثيل سيكلو - هلكسينيل - مالونيل - وهى نوع من الأملاح السامة التى صنع الصيادلة منها محلول «ايڤيبان» لاستخدامه كمخدر بكميات ضئيلة عند إجراء العمليات الجراحية، ولكنه قاتل لو زادت نسبته فى الجسم على حد معين ، هل هذا أيضا دليل واه يادكتور روبرتس ؟ أنت طبيب وتعرف جيدا أن استخدام هذه المادة لشخص سبق له أن تعاطى دواء الڤيرونال المنوم يؤدى حتما إلى وفاة هذا الشخص . لايزال مكان إدخال الحقنة فى ذراع السيدة لوريمير موجودا يادكتور روبرتس وقد شاهدته بنفسى

هذا الصباح . هل هذا أيضا دليل واه يا دكتور روبرتس؟ لقد شاهده، شاهد مكان إدخال إبرة الحقنة طبيب الشرطة ، وتحت أيدينا تقرير إدارة الطب الشرعي يحمل توقيع السير تشارلس إيمفرى مدير مصلحة الطب الشرعي نفسه ، هل هذا دليل واه يا دكتور روبرتس ؟» .

قال باتل : «حصحص الحق . لا حاجة بنا إلى حشد أدلة الاتهام فى قضية مقتل السيد شيتانا ، وإن كنا نستطيع أن نوفر أدلة الاتهام فيها ، وكذلك نستطيع أيضا أن نوفر أدلة الاتهام فى قتل السيد كرادوك وربما قتل زوجته السيدة كرادوك أيضا ،ولكن أدلة الاتهام المادية القاطعة الدلالة فى قضية قتل السيدة لوريمير تكفى وحدها لتفى بالمطلوب» .

وكان نطق باتل بهذه الأسماء كافيا بالفعل . لقد كف الدكتور روبرتس تماما عن المقاومة وإنكار تهمة قتله للسيدة لوريمير . لقد تراجع بكل جسمه إلى الوراء فى مقعده بكل تخاذل فاقد القوى تماما ثم قال : «لقد أسقط فى يدى . لقد تغلبتم وانتصرتم وحاقت بى الهزيمة التامة ، أنا أعتقد أن هذا الشيطان شيتانا قد جعلكم تمتازون بالحكمة والمهارة قبل حضوركم هنا هذا المساء . ولقد كنت قد ظننت أننى قد اجتثثت جذوره الشريرة تماما من الوجود ، ولكن مجرد حضور العشاء عنده كان يشير إلى أنه عشاء للقتلة ، واستطعتم أنتم أن تصلوا من هذا المنطق إلى الحقائق الكاملة بفضل ما أوحاه لكم مجرد حضورى العشاء عند شيتانا» .

قال باتل : «لاتشكر شيتانا وحده ، ولا تقصر الفضل فى اكتشاف القاتل وجمع الأدلة ضده على شيتانا وحده ، بل من الضرورى أن تشكر أيضا السيد بوارو . إن للسيد بوارو أعظم الأفضال فى هذه القضية» .

واتجه باتل إلى باب الحجرة وأمر رجلين من رجاله بالدخول وأشار لهم نحو الدكتور روبرتس . وانطلق صوت كبير المفتشين فى لهجة رسمية يقول الصيغة الرسمية عند إلقاء القبض رسميا على الدكتور روبرتس لارتكابه جريمة قتل .

وعندما تم إغلاق الباب وراء الطبيب المتهم بالقتل قالت السيدة أوليفر بسعادة وإن لم يكن بشماتة : «كنت دائما أقول إنه هو الذى فعلها منذ بدء البداية فى تلك الليلة عندما كانت الأوراق لا تزال فوق المائدة!» .

* * * *

الفصل الحادى والثلاثون
الأوراق فوق المنضدة

* * * * *

كان الحاضرون الذين لم ينصرفوا مع الدكتور روبرتس لايزالون جالسين فى أماكنهم حول بوارو ، وكانت تلك اللحظات هى لحظات أَوْج انتصار بوارو انتصارا كاملا حاسما نهائيا . وكانت كل الوجوه تتجه نحوه ، وكانت كل العيون تتطلع إلى وجهه متطلعة إلى بقية التفاصيل ، تفاصيل هذا الانتصار المؤزر الذى حققه بوارو رغم كل الصعوبات والعراقيل . وطلبوا من بوارو أن يشرح لهم بالتفصيل كيف توصل إلى معرفة الحقيقة ، وكانوا فى شوق مقدما إلى سماع كل ما يقول .

وقال بوارو : «أنتم كرماء معى إذ تنظرون بعين الاعتبار إلى جهودى المتواضعة فى حل ألغاز هذه القضية المعقدة الصعبة . سأشرح لكم كيفية وصولى إلى الحقيقة بشأن هذه القضية كما ترغبون ، وأعتقد أن من حقى أن أستمتع بأن ألقى على مسامعكم محاضرة وجيزة ، وأنا أعرف جيدا أننى محاضر مقتدر من الطراز القديم.

لقد بدت هذه القضية فى ذهنى قضية من القضايا الشائقة التى لم يكد يصادفنى مثيل لها من حيث شدة تشويقها لى ، وأنتم تعلمون جيدا أننى أعشق التصدى لمثل هذه القضايا المعقدة الشديدة الغموض» .

«أنتم تدركون أنه لم يكن يوجد شىء أى شىء البته للاسترشاد به فى حل معضلات هذه القضية للوصول إلى القاتل الحقيقى . كان هنالك أربعة أشخاص، وكان من اللازم أن يكون أحدهم قد ارتكب جريمة قتل شيتانا ، ولكن أى شخص منهم الأربعة دون سواه هو الذى قتله ؟ لقد كانت طعنة واحدة بالخنجر هى التى أودت بحياة شيتانا . وينتج عن ذلك

بالضرورة أن قاتل شيتانا إنما هو شخص واحد من الأربعة ، فمن منهم الذى طعنه الطعنة القاتلة؟ من منهم القاتل ؟ هل كان يوجد شيء - أى شيء - ليدل على شخص معين من الأشخاص الأربعة باعتبار أنه هو القاتل ؟ لا . لم تكن توجد على الإطلاق أية أدلة مادية ملموسة تحسم هذه المسألة . لابصمات . لا أوراق مكتوبة تشير إلى القاتل وتدل عليه من قريب أو من بعيد . لا وثائق مكتوبة يمكن الاعتماد عليها فى الاتهام . كان يوجد فقط الأشخاص الأربعة ، مجرد أربعة أشخاص من الناس وهم جميعا يعتبرون فى مستوى واحد من حيث ظروف الشك والاتهام ومن حيث ظروف الخروج من دائرة الشك والاتهام ، أى شخص منهم يجوز أن يكون قد قتل شيتانا ويجوز فى الوقت نفسه ألا يكون هو الذى قتل شيتانا ، ويستحيل أن يكون قد قتل شيتانا إلا شخص واحد ، وهو شخص من بين أولئك الأشخاص الأربعة دون سواهم من البشر جميعا» .

«واكتشفت أنه يمكن لى الاعتماد على الشيء الوحيد الموجود أمامى مما يمت بشيء من الصلة لأولئك الأشخاص الأربعة وهو أوراق تسجيل نتائج لعب أوراق البريدچ فيما بينهم . عندى خط يد كل من هؤلاء الأشخاص الأربعة . وربما لا يأبه أى شخص بمثل هذه الأوراق الخاصة بتسجيل نتائج لعب أدوار البريدچ لضآلة ما يمكن استنتاجه منها ، ولكننى وجدت أنها هى الشيء الوحيد المتاح الذى يمكن أن أبدأ به الدخول إلى هذه القضية التى ارتكبها القاتل على مسافة أمتار قليلة من الكرسى الذى كنت أجلس عليه ، وهكذا وجدت نفسى مشدوداً إلى القضية التى تجاسر القاتل على أن يتحدانى ضمنا بارتكابه لها على هذا النحو الجرىء ، وكانت جرأة القاتل من أكبر طلاسم هذه القضية.

«وربما يتذكر بعض الأشخاص الذين شهدوا بداية القضية وبداية عملى بها مدى اهتمامى الكبير بأوراق تسجيل نتائج أدوار البريدچ هذه . لقد أرشدتنى هذه الأوراق إلى حقائق كثيرة عن أولئك الأشخاص الأربعة الذين سجل كل واحد منهم أحد أدوار اللعب كل فى دوره ، ولاحظت على الفور ، فى الدور الثالث الذى قام بتسجيله الدكتور روبرتس أنه قد ضاعف الجائزة على هذا الدور وأوجد فيه ما يسمى بالجائزة الكبرى إذ بدأه بتحديد رقم ١٥٠٠ فى قمة ورقة التسجيل على الدور ، ولا ريب أنه قد أخطر زملاءه فى اللعب بهذه الجائزة الكبرى» .

«والآن ، لو أن أحد هؤلاء الأشخاص الأربعة قد رتب فى ذهنه وخطط لارتكاب هذه الجريمة فى مثل هذه الظروف الحرجة بسبب ضخامة الجائزة فمن الضرورى أن هذا الشخص يتعين عليه أن يواجه مصدرين للخطر يهددانه بفشل خطته فى أن يرتكب جريمة القتل التى يريدها دون أن يتم اكتشافه . أول هذين المصدرين من مصادر الخطر هو أن شيتانا ربما يصيح عندما يتلقى منه الطعنة القاتلة قبل أن يموت ، وكان الخطر الثانى يتمثل فى أنه

حتى ولو لم يصح شيتانا فور توجيه الطعنه القاتلة إليه، فمن الجائز أن يرفع أحد الأشخاص الثلاثة رأسه عن أوراقه ويشاهد القاتل وهو يطعن شيتانا.

«وبالنسبة للمخاطرة الأولى لم يكن القاتل يستطيع أن يفعل أى شىء . كانت المسألة عبارة عن مخاطرة مغامر . يجوز أن يصيح شيتانا أو يجوز ألا يصيح . مسألة حظ. ولكن يمكن عمل شيء بالنسبة للمخاطرة الثانية. من المعقول أنه أثناء دور مثير حافل بالتحدى مضاعف الجائزة التى يمكن لأى لاعب أن يضاعفها أيضا أثناء اللعب إذا آنس أن الأوراق فى يده تسعفه على مضاعفه الجائزة ، ومن الممكن فى هذه الحالة أن ينهمك كل لاعب فى النظر بكل تركيز فى أوراقه لترتيبها وتنسيقها والاستغناء عن أى ورقة لاتتسق مع بقية الأوراق ، وطلب أو عدم طلب ورقة جديدة . وهكذا يندمج اللاعبون الثلاثة فى اللعب تماما ولا يرفعون رؤوسهم ولا أعينهم عن أوراق اللعب بأيديهم ولا يرون الطعنة التى يتم توجيهها فى لمح البصر إلى شيتانا . كان من الممكن إذن أن يتم ارتكاب الجريمة فى مثل هذا الدور الحساس الذى فيه أكبر جائزة فى الأدوار كلها . وصممت أن أعرف كيف تمت ممارسة اللعب فى هذا الدور الثالث بكل دقة فى معرفة كل التفاصيل».

«اكتشفت بسرعة أن الدكتور روبرتس هو الذى رفع قيمة الجائزة فى هذا الدور الثالث إلى ١٥٠٠ ووضع بنفسه هذا الرقم فى أعلى الورقة ووضع تحته خطا . واكتشفت أيضا أنه كان هو أول من خرج منتصرا من هذا الدور الثالث ، وكان بذلك هو الشخص الذى يستطيع أن يترك معقده دون أى تأثير فى مجريات اللعب ، وهو قد ترك مقعده بالفعل مرة واحدة . وبعده فازت الآنسة آن ميرديث وتركت مقعدها هى الأخرى وذهبت نحو المدفأة أيضا بعد أن كان الدكتور روبرتس قد عاد إلى مقعده. ووضعت هاتين الحقيقتين فى ذهنى بادئ ذى بدء ، اكتشفتهما من الدراسة الدقيقة لورقة تسجيل نتائج لعب الدور الثالث من أدوار البريدچ لأولئك الأشخاص الأربعة. وبعد ذلك عالجت القضية من زاوية اقتراب أخرى».

«كانت السيدة لوريمير أيضا من الناحية السيكولوچية التى تهتم بدراسة القدرات النفسية فى كل شخصية تبدو لى من بين الشخصيات الأربعة شخصية قادرة بما لديها من إمكانات عقلية ممتازة وهدوء أعصاب على أن تخطط وتنفذ جريمة قتل بفعالية وإحكام تدبير واقتدار . ولكننى لم أستطع أن أتصور إطلاقا أنها تستطيع أن تقدم على ارتكاب جريمة وليدة تفكير اللحظة التى يتم فيها ارتكاب الجريمة . ولكى يترك شخص له مقومات شخصية السيدة لوريمير جريمة قتل يلزم أن تفكيره وتخطيطه للجريمة تفكيرا وتخطيطا مسبقا وليس وليد اللحظة كما هو الشأن فى هذه الجريمة ، ومن جهة أخرى كان مسلكها فى ليلة ارتكاب

الجريمة قد سبب لى كثيرا من الحيرة. كان مسلكها يوحى بأنها إما أن تكون هى نفسها قد ارتكبت الجريمة أو أنها تعرف الشخص الذى كان قد ارتكب الجريمة . وكانت الآنسة ميرديث ، والميچور ديسبارد ، والدكتور روبرتس أيضا من الناحية السيكولوجية أشخاصا يجوز أن يكون كل منهم هو الذى كان قد ارتكب الجريمة . وإن لم تكن هذه الزاوية السيكولوچية ذات جدوى كبيرة بالنسبة لهولاء الأشخاص الثلاثة فلقد كان لها عظيم الجدوى بالنسبة للسيدة لوريمير كما سيتضح فيما بعد» .

«وأجريت بعد ذلك اختبارا ثانيا . جعلت كل واحد من الأشخاص الأربعة يخبرنى فقط بما كان يستطيع أن يتذكره من محتويات الحجرة التى كانوا يلعبون فيها البريدچ وهى الحجرة التى وقعت فيها جريمة قتل شيتانا . وحصلت من ذلك على معلومات مهمة ذات قيمة كبيرة . وأول معلومة من هذه المعلومات القيمة هى أن الدكتور روبرتس كان هو الشخص الوحيد من بينهم الذى لديه قوة ملاحظة كبيرة هائلة تمكنه من ملاحظة وجود خنجر ضمن الأشياء الكثيرة جدا التى كانت موجودة فى تلك الحجرة . كان الدكتور روبرتس ربما بحكم طبيعة عمله يتمتع بقوة ملاحظة وجود الأشياء الصغيرة على نحو متميز، وهو الأمر الذى أكدته لى بالقطع نتيجة هذا الاختبار العملى الذى كنت أريد منه أن أتأكد أولا من قوة ملاحظة الدكتور روبرتس لوجود الأشياء الصغيرة وكنت أريد أن أتأكد ثانيا أنه هو الوحيد من بين الأشخاص الأربعة الذى يتمتع بهذه الميزة المهمة من القدرات الشخصية الذهنية . إنه شخص يطلق عليه وصف الرجل ذى القدرة العالية على الملاحظة . أما عن قدرته على أن يتذكر مجريات اللعب فى الأدوار المتلاحقة فلقد كانت قدراته فى هذا الصدد جد قليلة ومحددة ولم يستطع أن يتذكر منها شيئا على الإطلاق . ولم أكن أتوقع منه الكثير فى هذا الصدد ، ولكن انعدام قدرته تماما على أن يتذكر أى شىء من مجريات اللعب فى الأدوار المتلاحقة لفت نظرى إلى حقيقة مهمة أخرى هى أن الدكتور روبرتس لم يكن يهتم إطلاقا وبالفعل بمجريات اللعب ، ولكنه كان يهتم تماما وبالفعل بشىء آخر ، كان يشغل تفكيره كله أثناء اللعب . وهكذاكان الدكتور روبرتس مرة أخرى مرشحا بقوة لكى يكون هو القاتل» .

«ولقد وجدت أن السيدة لوريمير لديها ذاكرة قوية جدا بحيث إنها كانت تستطيع أن تتذكر مجريات اللعب فى كل دور و لعبة من كل لاعب أو لاعبة مع الإدلاء بملاحظات دقيقة تتعلق بمدى البراعة أو عدم البراعة فى بعض الألعاب ذات الأهمية فى حسم الأدوار . واتضح لى من خلال هذه الملاحظة أنها كانت تركز كل تفكيرها وكل انتباهها فى اللعب وفى مجريات اللعب وليس فى أى شىء آخر مثل التفكير فى ارتكاب جريمة قتل فى ذات

الليلة وفى ذات الحجرة مثلا بعكس الدكتور روبرتس الذى لم يكن يركز ولم يكن يهتم باللعب ولا بمجريات اللعب . وكانت لهذه الملاحظة أيضا فائدة أخرى أدت إلى قناعتى بأن السيدة لوريمير يمكن بالنظر إلى شدة تركيزها فى اللعب أن يفوتها شيء تكون لم تستطع أن تلاحظه بشأن الجريمة لو كان نظرها قد وقع على أى جزئية من جزئيات ارتكابها . ربما تكون قد لاحظت شيئا وغابت عنها أشياء . ولاحظت أيضا أن الجائزة الكبرى كان الدكتور روبرتس هو الذى اقترحها ، وهو قد اقترحها ولم تكن أوراق اللعب التى فى يده تمكنه من كسبها وربحتها بالفعل السيدة لوريمير، مما يقطع كذلك بأنها منهمكة فى تأمل الأوراق التى بيدها لكى تكسب الجائزة الكبرى التى اقترحها الدكتور روبرتس» .

«وكان الاختبار الثالث هو الاختبار الذى كنت أنا وكان كبير المفتشين باتل يعلق عليه أهمية كبيرة وأملا عظيما وهو دراسة ماضى كل شخصية من الشخصيات الأربعة ومحاولة اكتشاف ما إذا كان أحدهم قد ارتكب فى الماضى جريمة قتل مشابهة فى طريقة ارتكابها لجريمة قتل شيتانا . ولقد كان لكبير المفتشين باتل بما لديه من إمكانات الشرطة اليد الطولى فى هذا المجال . والفضل فيما توصلنا إليه من معلومات فى هذا الصدد يرجع إلى باتل ، والسيدة أوليفر ، والكولونيل ريس . وبمناقشة كل ما توصلنا إليه فى هذا الصدد مع باتل اعترف صديقى باتل بأنه قد خاب أمله فيها إذ لم يجد جريمة قتل سابقة مما ارتكبه أى شخص من الأشخاص الأربعة تشبه فى طريقة تنفيذها طريقة تنفيذ جريمة قتل شيتانا . ولكن، لم يكن هذا الاستنتاج صحيحا لو صرفنا النظر عن الوسيلة المستخدمة فى ارتكاب جريمة القتل ، وهو النقطة التى كان صديقى باتل يركز نظره عليها فى حين أننى كنت أجد أوجها أخرى كثيرة للتشابه من حيث طريقة التفكير فيما بعد وقوع الجريمة كان هناك تشابه كبير بالفعل من وجهة نظرى فى طريقة قتل شيتانا والجرائم السابقة التى عرفنا أن كل واحد من هذه الشخصيات كان قد ارتكبها ، ويتعلق هذا التشابه بشدة فى صعوبة اقتفاء أثر القاتل بعد ارتكابه لجريمة القتل لاختياره المسرح المناسب ، والظروف المناسبة لارتكابه جريمة القتل فى كل مرة . واستبعدت من الحساب أى شخص ارتكب جريمة قتل واحدة فى ظروف يستحيل التحقق منها ، وكان ذلك ينطبق على ديسبارد والسيدة لوريمير ، ويبقى الدكتور روبرتس والآنسة آن ميرديث لتكرار احتمال ارتكاب كل منهما لأكثر من جريمة قتل من الصعب ملاحقة أى منهما بالاتهام بارتكابها ، كانت هنالك بالنسبة للدكتور روبرتس جريمة قتل السيد كرادوك وربما زوجة السيد كرادوك أيضا أحدهما بدس ميكروب الحمى فى فرشاة الحلاقة والأخرى خلال عملية تطعيمها ضد التيفود . وهما جريمتان ارتكبهما الدكتور روبرتس علنا تحت الأسماع والأبصار دون أن يستطيع أحد

اتهامه اتهاما حقيقيا مؤكدا بالفعل. وتصرف الرجل فى كل جرائم القتل له نمط واحد عندما كان يجد نفسه فى ركن صعب يخشى منه على نفسه أى خطر كان يتصرف بجرأة شديدة لكى يزيل من الوجود تماما أى مصدر للخطر ، بجرأة، وعلنا ، وتحت الأبصار والأسماع ، وبطريقة صاخبة مثل طريقته وهو يلعب البريدج . طعن شيتانا وهو يلعب البريدج كما قتل الرجل كرادوك وهو يغسل يديه فى حمام كرادوك وقتل زوجة كرادوك وهو يتظاهر بأنه يجرى لها التطعيم ضد الجدرى ، وقتل السيدة لوريمير وهو يتظاهر بمحاولة إنقاذها من محاولة الانتحار التى رغم أنها قد أقدمت عليها ، وأرسلت له خطابا بذلك هو الذى زوره مع بقية الخطابات إلى الأشخاص الآخرين ، فهب لإنقاذها ، ولكن محاولة إنقاذه لها فشلت وماتت السيدة لوريمير» .

«وبالضبط عندما كنت قد وصلت إلى قناعة تامة بأن روبرتس هو القاتل فى جريمة قتل شيتانا استدعتنى السيدة لوريمير إلى منزلها . واتهمت نفسها بطريقة مقنعة جدا أنها هى التى ارتكبت جريمة قتل شيتانا . وكنت قد اعتقدت بصدق كلامها تقريبا ! لمدة دقيقة أو دقيقتين صدقت كلامها واعترافها على نفسها أنها هى التى كانت قد ارتكبت جريمة قتل شيتانا بالفعل – وبعد ذلك عملت ونشطت فى ذهنى الخلايا الصغيرة الرمادية اللون وقالت لى : هذا غير ممكن .هذا مستحيل. السيدة لوريمير لم تكن هى التى قتلت شيتانا . وصدقت الخلايا الصغيرة الرمادية اللون فى ذهنى ، ولم تكن السيدة لوريمير هى التى كانت قد قتلت شيتانا» .

«ولكن ما قالته لى السيدة لوريمير كان لا يزال من الصعب إزالته بغير دليل قوى . أعلنتها أننى لا أصدق أنها هى التى قتلت شيتانا لأن طريقة قتل شيتانا لاتتسق أبدا مع أسلوبها فى التفكير . لقد قتل شيتانا نتيجة تفكير تلقائى فى ذات لحظة ارتكاب الجريمة ، وهى لكى ترتكب جريمة قتل لابد أن تكون جريمة سابقة الإعداد ، وقلت لها إنها تحمى باعترافها الكاذب على نفسها الآنسة آن ميرديث التى بدا لى أنها تعتقد أنها هى التى قتلت شيتانا ، واعترفت لى بصحة تقديرى للموقف على هذا النحو ، وذكرت لى أنها شاهدت آن ميرديث وهى منحنية على كتف شيتانا وراء الكرسى الذى كان يجلس عليه شيتانا والخنجر مغروس فى رقبته . ولذلك اعتقدت السيدة لوريمير أن آن ميرديث هى القاتلة ، وكانت تعطف على الفتاة وآثرت أن تضحى بنفسها فى شيخوختها لتحمى فتاة فى مقتبل العمر من الفضيحة والهلاك كما اعترفت لى بذلك صراحة» .

«ولقد كانت السيدة لوريمير فيما ذكرته لى من أنها قد شاهدت الآنسة آن ميرديث وراء كرسى شيتانا منحنية على كتفه والخنجر مغروس فى رقبته صادقة كل الصدق فى ذلك ،

ولكنها أخطأت فقط فى فهم حقيقة الموقف آنذاك . حقيقة الموقف آنذاك هى أن الفتاة أن ميرديث ذهبت بالقرب من المدفأة لتحصل على مزيد من الدفء بعد أن خرجت من لعب أحد الأدوار . وفى طريق عودتها إلى مقعدها لمحت شيتانا مطعونا فى رقبته بالخنجر ، فاقتربت منه ، وحاولت أن تتأكد من مقتله ولمحت رأس الدبوس الذهبى الذى كان شيتانا يتحلى به على صدر ملابسه ، وحاولت أن تنتزعه لنفسها، وفى هذه اللحظة رفعت السيدة لوريمير عينيها عن أوراق اللعب التى فى يدها ، ولمحت آن ميرديث فى هذا الموقف فاعتقدت خطأ أن الآنسة آن ميرديث هى التى كانت قد قتلت شيتانا ، والحقيقة هى أن الآنسة آن ميرديث كانت قد وجدت شيتانا مقتولا ، وحاولت أن تحرك شفتيها صارخة ، ولكنها فتاة جسورة ثابتة الأعصاب فكتمت الصيحة داخل شفتيها لأنها لو صرخت ستتهم هى على الفور بأنها طعنته بالخنجر ولذلك قررت ألا تصرخ وقررت أن تسرق ، وانتزعت الدبوس الذهبى بالفعل ودسته فى صدرها داخل ملابسها وعادت بهدوء إلى مقعدها مضطربة بعض الشيء ولكنها استمرت فى اللعب».

«وهكذا كانت السيدة لوريمير على صواب عندما اعتقدت أن الآنسة آن ميرديث هى التى كانت قد قتلت شيتانا وكانت تعتقد أنها قد رأت آن ميرديث وهى ترتكب الجريمة ، ولكننى كنت أنا على صواب أكثر لأنها لم تر بالفعل الجريمة أثناء ارتكابها . كانت السيدة لوريمير ببساطة ووضوح قد رأت الجريمة بعد ارتكابها . والفرق شاسع بين الرؤية أثناء ارتكاب الجريمة ، والرؤية بعد ارتكاب الجريمة» .

«ولما كان روبرتس قد كف يده عن ارتكاب جريمة قتل السيدة لوريمير نفسها ، لكان من الصعب أن نستطيع أن نثبت عليه جريمة قتل شيتانا لأسباب قانونية محضة تتلخص فى عدم كفاية الأدلة ضده... ولكن الدكتور روبرتس كان بالفعل قد بدأ يشعر بالقلق من احتمال الوصول إلى أدلة كافية ضده. كان الدكتور روبرتس يعلم جيدا أن باتل يتشمم الجو حوله باستمرار. ووجد أن تطورات غير عادية وذات دلالة قد بدأت تظهر فى الأفق ، ولا يزال رجال الشرطة يعملون بهمة وبسرعة وبقوة وكأنهم مصممون على أن يعرفوا ، وبدا له أنه من الممكن أن يعرفوا وهو يريد أن ينهى القضية، ولا تنتهى القضية إلا إذا كف رجال الشرطة عن البحث بشأنها لسبب قوى يجبرهم على ذلك . ولمعت فى ذهنه من هنا فكرته العبقرية فى أن يجعل السيدة لوريمير كبش فداء له وللشخصين الآخرين اللذين شاركاه اللعب فى ليلة قتل شيتانا وتحوم الشبهات حولهما أيضا . ولمحت عين الطبيب المدربة على معرفة الحالة الصحية العامة لأى شخص تقع عليه أنظار الطبيب أن السيدة لوريمير سيدة متقدمة فى السن تعانى دون ريب من مجموعة من الأمراض ، وهى لن تعيش طويلا أكثر مما عاشت . كم سيبدو طبيعيا جدا لو أنها اختارت طريقة سريعة أقل آلاما للوفاة ، وقبل أن

تموت بهذه الطريقة تعترف بأنها هى التى قتلت شيتانا ، وهى واحدة من الأشخاص الأربعة الذين كانوا موجودين فى الحجرة فى تلك الليلة ، واعترافها هذا سيكون مقبولا على الفور من الجميع ، ولن يشك فيه أحد أبدا فيما اعتقد الدكتور روبرتس .

وهكذا نجح الدكتور روبرتس فى الحصول على عينة من كتابتها بخط يدها . وهكذا يقوم الدكتور روبرتس بتزوير ثلاثة خطابات بصيغة واحدة تعترف فى كل منها السيدة لوريمير أنها هى التى قتلت شيتانا مع اختلاف فى شخص المرسل إليه فقط . وهكذا يصل الدكتور روبرتس إلى منزل السيدة لوريمير بحجة أنه من أوائل الأشخاص الذين أرسلت لهم الخطابات التى يتضمن كل منها اعترافها بقتل شيتانا وإقدامها على الانتحار لكى يحاول بأقصى ما يستطيع من سرعة أن ينقذ امرأة يائسة إن أمكن له من محاولة الانتحار بعد إعطاء خادمتها الأوامر بأن تتصل بالشرطة وتبلغهم عن محاولة السيدة لوريمير الانتحار وأن الدكتور روبرتس قد ذهب إليها دون إضاعة لحظة من الوقت لإنقاذها ولذلك تتصل هى بالشرطة بدلا منه . ورجال الشرطة بالطبع سيلزمهم بعض الوقت لكى يصلوا عند السيدة لوريمير . والآن أصبح كل ما يحتاج إليه الدكتور روبرتس هو مجرد أن يبدأ . ولقد وصل بالفعل إلى نقطة البداية . وعندما يصل طبيب الشرطة فى صحبة رجال الشرطة إلى منزل السيدة لوريمير سيكون كل شىء قد انتهى كما خطط له الدكتور روبرتس أن ينتهى . والدكتور روبرتس جاهز بمحاولة عمل تنفس صناعى لهذه السيدة المريضة المتقدمة فى السن التى لديها شعور بالذنب وأقدمت على الانتحار بعد اعترافها كتابة أنها هى التى قتلت شيتانا . كل شىء جاهز سلفا ، وكل شىء قد تم إعداده وتنفيذه مقدما قبل مجئ طبيب الشرطة ورجال الشرطة إلى منزل السيدة المنتحرة» .

«فى تلك الترتيبات لم يكن لدى الدكتور روبرتس أى فكرة عن إلقاء الشك على الآنسة آن ميرديث . إنه حتى لايعرف أى شىء عن زيارتها للسيدة لوريمير ليلة وفاة السيدة لوريمير. إنه يركز على فكرة الانتحار وفكرة تأمين نفسه فقط .

«ولقد كانت لحظة مرعبة له دون شك عندما سألته ما إذا كان له سابق معرفة بطريقة خط يد السيدة لوريمير . ولو أمكن اكتشاف التزوير فى الخطابات فلقد كان يستطيع أن يقول إنه لم يكن يعرف طريقة خط يدها . ويعمل عقله بسرعة ، ولكنها سرعة غير كافية» .

«ومن منطقة ويلنجفورد حيث يقع منزل السيدة لوريمير اتصلت هاتفيا بالسيدةأوليفر لتلعب دورها بكثير من الجودة والإتقان لتثير الشكوك فى عقل الدكتور روبرتس لكى تجعله يحرص ويرغب بشدة فى المجىء هنا عندى ليجلس معها فى هذه الحجرة فى انتظار وصولنا .

وبعدئذ ، وبينما هو يهنئ نفسه لنجاحه التام فيما عدا أن الشكوك فى تزوير الخطابات قد بدا له أنها تتجه نحو الآنسة آن ميرديث ولكن جوهر الأمور كما يريدها هو لايزال هو هو لم يتغير ، تقع الضربة القاضية على رأسه . يقفز عليه هركيول بوارو بحشد من الأدلة ضده وهكذا لم يتمكن الطبيب المغامر من اختراع خطط ماكرة أخرى . لقد رمى أوراق اللعب التى بيده كلها باعتبار أنها أوراق خاسرة لاتفيد فوق المنضدة . انتهت اللعبة . انتهت القضية» .

وساد صمت رهيب بين المستمعين قطعه صوت تنهيدة صادرة عن الآنسة رودا داويز التى قالت بعد أن تنهدت : «ياله من حظ مدهش أن عامل تنظيف النوافذ قد تصادف أنه كان موجودا هناك!» .

قال بوارو : «حظ ؟ حظ؟ لم يكن هنالك أى حظ فى ذلك يا آنسة . كانت هنالك فقط الخلايا الصغيرة الرمادية اللون فى ذهن هركيول بوارو ! ملاحظتك هذه يا آنسة رودا تذكرنى بشىء مهم ـــــ» .

ومشى بوارو إلى باب حجرة مجاورة لحجرة الاستقبال وفتحه وقال : «تعال، تعال ياصديقى العزيز . لقد أديت الدور أداء رائعا متقنا» . ورجع بوارو إلى مقعده وهو يتأبط ذراع عامل النظافة الذى كان الآن يحمل شعره الأحمر المستعار فى يده ويبدو شخصا مختلفا تماما عن عامل شركة تنظيف النوافذ . وقال بوارو قبل أن يجلس فى مقعده : «اسمحوا لى أن أقدم لكم صديقى السيد چيرالد هيمنجواى . ممثل صاعد واعد» .

وصاحت رودا تقول : «لم يكن هناك إذن عامل تنظيف النوافذ؟ هل كانت هذه خدعة؟» فقال بوارو : «لم يكن هنالك عامل تنظيف النوافذ وكانت هذه مجرد خدعة تساعد على استسلام المتهم ليعترف بالحقيقة التى كان يراوغ ويقاوم ولايريد الاعتراف بها تحت ضغط الأدلة الأخرى الحاسمة الصحيحة دون أى ريب . كنت أنا الذى رأيت حقيقة ما حدث داخل حجرة نوم السيدة لوريمير بعينى عقلى ، وعينا العقل تريان مالاتراه العينان المثبتتان فى وجه كل إنسان . يستطيع إنسان مثلى أن يجلس فى مقعده ويغمض عينيه ليرى مالم تره ولاتراه ولن تراه عيون الأبدان» .

قال ديسبارد وهو يضحك : «هيا يا رودا نقتل هذا البوارو لنرى ما إذا كانت روحه تستطيع أن تعود لتكتشف القاتل الذى قتل بوارو» .

انتهت

رقم الإيداع: ٩٩ / ١٣٠٢١
977-271-385-3

طُبع بمطابع ابن سينا
تليفون : ٣٢٠٩٧٢٨